

ذووا الاحتياجات الخاصة من الصحابة  
ودورهم في خدمة الدعوة الإسلامية  
(نماذج وشواهد)

اعداد

د/عبداللطيف محروس محمد نورالدين

قسم التفسير والحديث - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - الكويت - الكويت

abdellatif.noureldein@ku.edu.kw

## مستخلص البحث باللغة العربية

ذووا الاحتياجات الخاصة من الصحابة ودورهم في خدمة الدعوة الإسلامية

: [abdellatif.noureldein@ku.edu.kw](mailto:abdellatif.noureldein@ku.edu.kw) البريد الإلكتروني :

### ملخص البحث:

الهدف من البحث : عرض نماذج من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ممن يطلق عليهم حديثاً " ذووا الاحتياجات الخاصة " حتى يتأسى بهم أصحاب العلل ممن ابتلي بشيء من الإعاقات الجسدية أو العقلية.

المنهج الذي اتبعته هو المنهج الوصفي التحليلي، وقد قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة

ومما خلص إليه البحث:

- مزيد الاهتمام بذوي الاحتياجات الخاصة .
- الاستعانة بذوي الخبرات الشرعية والتربوية والاجتماعية لمعالجة ما يستجد من أمور تخص ذوي الاحتياجات الخاصة.
- اماطة اللثام عن تراثنا الثقافي لذوي الاحتياجات الخاصة .
- ربط ذوي الاحتياجات الخاصة بدينهم وتراثهم وثقافتهم.
- سيتبع هذا البحث - إن شاء الله - سلسلة أبحاث عن ذوي الاحتياجات الخاصة من التابعين ومن تبعهم بإحسان.

### الكلمات المفتاحية:

ذووا، ذوي، الاحتياجات، الخاصة، الصحابة، خدمة، الدعوة الإسلامية.

## The Summary of the Research

**People with special needs from the Companions and their role in the service of the Islamic call**

**Abdul Latif Mahrous Mohammed Nouredine**

**(Delegated) Department of Interpretation and Hadith –  
College of Sharia and Islamic Studies – Kuwait –  
Kuwait.**

**Email: [abdellatif.noureldein@ku.edu.kw](mailto:abdellatif.noureldein@ku.edu.kw)**

### **Research Summary:**

**The aim of the research: To present examples from the companions of the Messenger of God – may God bless him and grant him peace – of those who have recently been called "people with special needs", so that those with disabilities who are afflicted with some physical or mental disabilities are consoled by them.**

**The curriculum that I followed is the descriptive and analytical approach. The research has been divided into an introduction, an introduction, three topics and a conclusion.**

**And from the results of the research:**

**–More attention to people with special needs.**

-Seeking the help of people with legal, educational and social experiences to deal with new matters pertaining to people with special needs.

Uncover our cultural heritage for people with special needs.

Connecting people with special needs to their religion, heritage and culture.

This research will be followed – God willing – a series of studies on the people with special needs among the followers and those who followed them with kindness.

key words:

Families, people, needs, special, companions, service, the Islamic call.

### المقدمة

إن الحمد لله الذي برأ وصور ، والذي خلق فهدى ، والذي خلق الانسان في أحسن تقويم ، وصوره في أحسن تصوير ، وهو على كل شيء قدير ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

نوع خلقه - سبحانه وتعالى - بين العافية والابتلاء ، والصحة والمرض ، والسعة والضيق ، والقدرة والضعف ، ليكون في ذلك العبرة والعظة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، وجعل ذلك ذكراً لأولي الألباب الذين يتفكرون في خلق الله جلّت قدرته وتعالّت حكمته.

فهو - سبحانه - لم يجعل الصحة والعافية اصطفاً لأهل قربه ومحبته ، ولم يجعل المرض والابتلاء عقاباً لمن أصابه وهواناً عليه.

بل جعل الابتلاء من نصيب أهل قربه ومودته ، كما ورد في الحديث ( أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى المرء على قدر دينه )

لذلك رأيت أن من الواجب علي أن ألقى نظرة على ذوي الاحتياجات الخاصة ، من أصحاب الهمم العالية ، والعزائم القوية من تراثنا الغابر ، يكون نبزاً لأمتنا تسير على ضوئه وتنسج على منواله لتتعرف كيف تتعامل مع أصحاب الاحتياجات الخاصة وفق تاريخنا وتراثنا وثقافتنا وما يتماشى مع بيئتنا ، بدل أن نستورد نظريات من الشرق أو من الغرب لكي نتعلم منها كيف تتعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة .

ورأيت أن خير من يمثل تراثنا وثقافتنا هم صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فهم كما قال عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - ( من كان منكم متأسياً فليتأس بأصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - فإنهم كانوا أبرّ هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً وأقومها هدياً وأحسنها حالاً ، قوموا اختارهم الله تعالى

لصحبة نبيه - صلى الله عليه وسلم - فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم<sup>١</sup>

لذلك عرضت في هذا البحث الموجز لبعض أهل البلاء من ذوي الاحتياجات الخاصة - كما يطلق عليهم في العصر الحديث - من صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

والهدف من هذا البحث :

١- عرض نماذج حية من ذوي الاحتياجات الخاصة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

٢- اتخاذ قدوات صالحة يهتدي الناس بنورها ويسيرون على نهجها.

٣- بيان كيف تعامل هؤلاء الأصحاب - ذوي الاحتياجات الخاصة - مع اعاققتهم ، وكيف كانت دافعاً لهم على خدمة الإسلام والمسلمين.

٤- اطلاق الطاقات الكامنة في ذوي الاحتياجات الخاصة لاستثمارها فيما ينفع الفرد والمجتمع.

٥- تسليط الضوء على الاهتمام بذوي الاحتياجات الخاصة .

٦- بث الثقة في نفوس ذوي الاحتياجات الخاصة .

٧- تغيير نظرة المجتمع السلبية إلى ذوي الاحتياجات الخاصة على أنه عالة وعبء على المجتمع.

٨- لفت نظر الأسر إلى الاهتمام بأبنائهم من ذوي الاحتياجات الخاصة وعدم اهمالهم بتركهم فريسة للجهل والمرض.

٩- بيان عظم المبتلى الصابر في الدنيا والآخرة.

١٠- بيان أن الصحة والعافية نعمة يجب شكرها ، كما يجب الصبر على فقدتها كلياً أو جزئياً.

<sup>١</sup> ابن عبد البر جامع بيان العلم وفضله باب ما يكره فيه المناظرة و الجدل والمرء ج ٢ ص ٩٧ ط العلمية

### عملي في هذا البحث :

- ١- تحرير مصطلحات البحث ذات الصلة بالموضوع.
- ٢- بيان المصطلحات التي أطلقها القرآن والسنة على ذوي الاحتياجات الخاصة.
- ٣- بيان فضل الله ونعمته على ذوي الاحتياجات الخاصة عند الصبر على ما ابتلوا به ، وعاقبة ذلك في الدنيا والآخرة.
- ٤- بيان واجب صاحبة الحاجة نحو نفسه ، وواجب المعافى نحوه ، وواجب المجتمع المسلم نحوه.
- ٥- ذكر بعض النماذج والشواهد من صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من ذوي الاحتياجات الخاصة .
- ٦- التنوع في ذكر النماذج بين أصحاب الإعاقات والعاهاات المختلفة التي تراوحت بين العمى والعرج ، وكذلك التنوع بين الرجال والنساء ، وما يترتب على هذا التنوع من اختلاف في طرائق التعامل والمعالجة.
- ٧- عزو النصوص إلى المصادر والمراجع ذات الصلة وتحليل المواقف ، واستخلاص الدروس والعبر .

والله سبحانه من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل ، أسأل الله أن ينفع به كاتبه وقارئه وناشره وعموم المسلمين ، وآخر دعوانا بتوفيق ربنا أن الحمد لله رب العالمين  
كاتبه

د.عبداللطيف محروس محمد نورالدين



## التمهيد

: تحديد المصطلحات الخاصة بالبحث.

إن مصطلح ذوي الاحتياجات الخاصة لم يكن معروفاً من قبل عند علماء الشريعة الإسلامية فلم نجد له عندهم ذكراً أو تعريفاً خاصاً به، وإنما كانت هناك بعض المصطلحات التي تستخدم للدلالة ولو جزئياً على أصحاب الاحتياجات الخاصة.

من هذه المصطلحات:

### ١ - العاهة .

العاهة في اللغة : الأفة. يُقَالُ: (عِيَة) الرَّزْغُ عَلَى مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ فَهُوَ (مَعِيُوَةٌ) <sup>١</sup> ويقال " أعاه القوم إذا أصاب زرعهم عاهة وآفة من اليرقان ونحوه فأفسده " <sup>٢</sup> وعيه الرجل فهو معيه ومعيوه إذا أصابته عاهة " <sup>٣</sup>.

في الاصطلاح: لا يخرج لفظ العاهة الاصطلاحي عن معناه اللغوي، وهو: ما يعرض للبدن فيخرجه عن حالة الاعتدال الخاص. <sup>٤</sup>

### ٢ - العيب .

العيب يستعمل بمعنى الشين ، وبمعنى الوصمة وهو العيب يكون بالإنسان، وفي كل شيء منه يقال : ما في فلان وصمةٌ إلا كذا وكذا يعني العيب. <sup>٥</sup>، وبمعنى العاهة ، وقد استعمله الفقهاء في المعنى الأخير كثيراً ، سواء أكان في الانسان أم الحيوان أم الزرع أم

<sup>١</sup> زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي مختار الصحاح ص ٢٢٢ المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا

الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م

<sup>٢</sup> العين باب العين والهاء ج ٢ ص ١٦٩

<sup>٣</sup> جمهرة اللغة باب (ع ا و ي) ج ١ ص ٣٤٣ وانظر: تاج العروس باب عوه ج ٣٦ ص ٤٤٩

<sup>٤</sup> الموسوعة الفقهية الكويتية ج ٢٩ ص ٢٣٧

<sup>٥</sup> غريب الحديث ج ٣ ص ٢٩٦



غيرها فالعيب أعم من العاهة<sup>١</sup> وعاب الشيء عيباً: صار فيه عيبٌ، وعَيْبته: نسبت إليه العيب<sup>٢</sup> و[العَيْبُ]: النقص<sup>٣</sup> و "خيارُ العيب عند الفقهاء: هو أن يجد بالمبيع عيباً ينقص الثمنَ فله الخيارُ، إن شاء يختار المبيع بكل الثمن أو يرده إلى البائع."<sup>٤</sup> ومعنى العيب يطلق على من به نقص أو عاهة في عضو أو منفعة تجعله ناقص الأهلية عن الشخص سليم الحواس أو المنافع.

ومنه قول حسان بن ثابت في مدحه - صلى الله عليه وسلم - فقال

( وأحسن منك لم ترقط عيني ... وأجمل منك لم تلد النساء )

( خلقت مبرأ من كل عيب ... كأنك قد خلقت كما تشاء )<sup>٥</sup>

**٣- عجز.** العجز لغة: مصدر الفعل عجز، يقال عجز عن الأمر يعجز عجزاً، وعجز فلان: رأي فلان: إذا نسبه إلى خلاف الحزم، كأنه نسبه إلى العجز، والعجز الضعف، والتعجيز التشييط<sup>٦</sup> وفي المصباح: أَعْجَزَهُ الشيء فاته<sup>٧</sup> وفي مفردات الراغب: العجز أصله التأخير عن الشيء، وصار في المتعارف اسماً للقصور عن فعل الشيء وهو ضد القدرة<sup>٨</sup>

#### ٤- زمانة:

الزمانة: زَمناً وزمنة وزمانة مرض مَرَضاً يَدُومُ زَمَاناً طَوِيلاً وَضَعَفَ بِكِبَرِ سِنِّ أَوْ مَطَاوِلَةِ عِلَّةٍ فَهُوَ زَمَنٌ وَزَمِينٌ

<sup>١</sup> الموسوعة الفقهية ج ٢٩ ص ٢٣٧

<sup>٢</sup> كتاب الأفعال لابن القوطية ج ١ ص ١٩٥

<sup>٣</sup> الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقى ج ٤ ص ٤٤١

<sup>٤</sup> التعريفات الفقهية ج ١ ص ٩٢

<sup>٥</sup> المستطرف في كل فن مستطرف ج ٢ ص ٢٩ ط العلمية

<sup>٦</sup> جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ) لسان العرب ج ٥ ص

٣٦٩ دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ

<sup>٧</sup> أحمد بن محمد بن علي الفيومي المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ج ١ ص ٢٠٤

المكتبة العلمية - بيروت

<sup>٨</sup> أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني المفردات في غريب القرآن

ج ١ ص ٣٢٢ محمد سيد كيلاني الناشر: دار المعرفة - لبنان

و(أزمن) بِالْمَكَانِ أَقَامَ بِهِ زَمَانًا وَالشَّيْءَ طَالَ عَلَيْهِ الزَّمَنُ يُقَالُ مَرَضَ مَرْمَنٌ وَعَلَّةٌ مَزْمَنَةٌ وَيُقَالُ أَزْمَنَ عَنْهُ عَطَاؤُهُ أَبْطَأَ وَطَالَ زَمَنُهُ، وَأَزْمَنَ اللَّهُ فَلَانًا وَغَيْرَهُ ابْتِلَاهُ بِالزَّمَانَةِ وَ(الزمانية) مَرَضٌ يَدُومٌ<sup>١</sup>

ولا يخرج استعمال الفقهاء لهذا اللفظ عن المعنى اللغوي ، قال زكريا الأنصاري : الزمن هو المبتلى بأفة تمنعه من العمل<sup>٢</sup>

**٥- الإعاقة:** من المصطلحات التي ظهرت حديثاً وظلت مستخدمة على نطاق دولي لوصف من به نقص ذهني أو بدني ، لفظ ( معاق ) وهو من أكثر الألفاظ شيوعاً لتوصيف هذه الحالة ، كما أنها أكثر الألفاظ مطابقة لذوي الاحتياجات الخاصة.

المعاق في اللغة : العَوَقُ: الحَبْسُ والصَّرْفُ. يُقَالُ: عَاقَهُ مِنْ كَذَا يَعُوقُهُ: إِذَا حَبَسَهُ وَصَرَفَهُ وَالْعَوَقُ أَيضاً: التَّشْبِيهُ كالتَّعْوِيقِ وَالاعْتِيَاقِ يُقَالُ: عَاقَهُ عَنِ الْوَجْهِ الَّذِي أَرَادَهُ عَائِقٌ وَعَقَّاهُ وَعَوَّقَهُ وَاعْتَاقَهُ كُلُّهُ بِمَعْنَى، وَفِي التَّنْزِيلِ: قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوَّقِينَ مِنْكُمْ<sup>٣</sup> وَهُمْ قَوْمٌ مِنَ الْمِنَافِقِينَ كَانُوا يُثَبِّطُونَ أَنْصَارَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ نُصْرَتِهِ - ﷺ - وَيُقَالُ: عَاقَنِي عَنِ الْأَمْرِ الَّذِي أَرَدْتُ عَاقِنِي وَعَقَّانِي عَائِقٌ. وَعَوَّقُ، بِالْفَتْحِ، وَالضَّمِّ، وَكَكَيْفٍ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، أَي: صَارِفٌ وَمُثَبِّطٌ وَشَاغِلٌ. " وهو اسم مفعول من أعاق وهو من تمنعه عاهة جسدية أو عقلية عن النشاط الإنساني المعتاد"<sup>٥</sup>

<sup>١</sup> المعجم الوسيط ج ١ ص ٤٠١

<sup>٢</sup> مغني المحتاج ١ / ١٥٤ راجع الموسوعة الفقهية ج ٢٩ ص ٢٨٤

<sup>٣</sup> الأحزاب ١٨

<sup>٤</sup> محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي تاج

العروس من جواهر القاموس ج ٢٦ ص ٢٣٤ الناشر: دار الهداية

<sup>٥</sup> معجم اللغة العربية المعاصرة مادة عوق ج ٧ ص ١٥٧٧

أما في الاصطلاح: فقد عرفت منظمة الصحة العالمية الإعاقة على أنها " حالة من القصور أو الخلل في القدرات الجسدية أو الذهنية ترجع إلى عوامل وراثية أو بيئية تعيق الفرد عن تعلم بعض الأنشطة التي يقوم بها الفرد السليم المشابه في السن" <sup>١</sup> وجاء كذلك أنها " حالة تحد من قدرة الفرد على القيام بوظيفة واحدة أو أكثر من الوظائف التي تعتبر من العناصر الأساسية للحياة اليومية من قبيل العناية بالذات أو ممارسة العلاقات الاجتماعية أو النشاطات الاقتصادية، وذلك ضمن الحدود التي تعتبر طبيعية" <sup>٢</sup>

كما عرفه البعض " أنه من فقد قدرته على مزاوله عمله، أو القيام بعمل آخر نتيجة لقصور بدني أو جسمي أو عقلي ، وسواء كان هذا القصور بسبب إصابته في حادث أو مرض أو عجز ولادي" <sup>٣</sup>

فيطلق المعاق على الشخص الذي استقر به عائق، أو أكثر يوهن قدرته، ويجعله في أمس الحاجة إلى عون خارجي" <sup>٤</sup>

وقد عرف الإعاقة ميثاق ( ١٩٨٠ - ١٩٩٠ ) لرعاية المعاقين الصادر عن المؤتمر العالمي الرابع عشر للتأهيل الدولي بكنندا فقال " تقييد أو تحديد لمقدرة الفرد على القيام بواحدة أو أكثر من الوظائف التي تعتبر من المكونات الأساسية للحياة اليومية ، مثل القدرة على الاعتناء بالنفس ومزاوله العلاقات الاجتماعية والأنشطة الاقتصادية" <sup>٥</sup>

<sup>١</sup> د. هادي نعمان الهيثي : الاتصال الجماهيري حول ظاهرة الإعاقة بين الأطفال ص ٣٦ مجلة الطفولة والتنمية العدد ٥ فبراير ٢٠٠٢ م

<sup>٢</sup> سعدى أبو حبيب : المعوق والمجتمع في الشريعة الإسلامية ، المقدمة.

<sup>٣</sup> صموئيل ويشك : كيف ترعى طفلك المعوق ، ترجمة د. محمد نسيم رأفت ص ١٦ وانظر د. محمد عبد المنعم نور ص ١٥٧ الخدمة الاجتماعية الطبية والتأهيل .

<sup>٤</sup> السابق نفسه

<sup>٥</sup> د. رواب عمار : نظرة الإسلام لذوي الاحتياجات الخاصة ص ٦ كلية الاداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية جانفي - جوان ٢٠٠٨ ، قسم التربية البدنية والرياضية - جامعة محمد خيضر - بسكرة الجزائر .

ومن ثم نستطيع أن نستخلص من التعريفات السابقة أن المعاق هو الذي أصابه نقص أو قصور عن الانسان السوي ( العادي ) في بدنه أو عقله " ١ .

**٥- ذوو الاحتياجات الخاصة في اللغة الحوج :** الطلب ، والحوج الفقر وأحوجه الله ، والحوج المعدم من قوم محابج " ٢

وفي الاصطلاح : " إنهم الأفراد الذين يختلفون في أدائهم بشكل ملحوظ عن أداء أقرانهم أو ما هو متوقع من أقرانهم ، والذين يمكن اعتبارهم مختلفين فقط عندما تدعو الضرورة لوضع برامج تربوية خاصة لتلبية احتياجاتهم " ٣

وعرفه الدكتور : مروان عبدالمجيد إبراهيم بأنهم " أولئك الأفراد الذين ينحرفون عن المستوى العادي أو المتوسط في خصيصة ما من الخصائص ، أو في جانب أو أكثر من جوانب الشخصية ، إلى الدرجة التي تحتم احتياجاتهم إلى خدمات خاصة ، وتختلف عما يقدم إلى أقرانهم العاديين ، وذلك لمساعدتهم على تحقيق أقصى ما يمكنهم بلوغه من النمو والتوافق " ٤

وعلى ضوء ما سبق، فإنه يمكن تحديد مفهوم ذوي الاحتياجات الخاصة بأنهم " الأفراد الذين أصابتهم عاهة ، أو إعاقة في أجسادهم أو حواسهم جعلتهم غير قادرين بأنفسهم على تلبية احتياجاتهم الإنسانية في أي من ميادين الحياة ومجالاتها " ٥ أي أن العاهة التي أصابتهم جعلتهم محتاجين إلى غيرهم في تحقيق احتياجاتهم.

١ عبدالرحمن عبدالخالق : المشوق في أحكام المعوق ص ٢

٢ لسان العرب لابن منظور ج ٢ ص ١٠٣٨ .

٣ محمد عبدالمؤمن حسين ، سيكولوجية غير العاديين وتربيتهم ص ١٧ دار الفكر الجامعي الإسكندرية ١٩٩٦ م

٤ مروان عبدالمجيد إبراهيم : الرعاية الاجتماعية للفئات الخاصة ص ١٤١ وما بعدها ط مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع عمان ٢٠٠٢ م

٥ أسرى زيد الكيلاني : التدابير الشرعية في توفير الرعاية لذوي الحاجات الخاصة في الشريعة الإسلامية ص ٢٣ دراسات علوم الشريعة والقانون المجلد ٣٢ العدد ١ سنة ٢٠٠٥ الجامعة الأردنية .

وأشكال القصور التي يتعرض لها الإنسان، إما أن تكون بدنية كفقء أجزاء من الجسم، أو حدوث خلل، أو تشوه بها، وأما أن تكون عقلية كفقء القدرات العقلية، أو قد تكون حسية كفقء أو فقء حاسة من الحواس.

وأشبابها إما أن ترجع إلى حادث أو مرض أو أنها خلقية منذ الولادة.<sup>١</sup> ومن ثم فإن علماء الاجتماع والتربية يرون أن كل من عنده "فقء أو اضطراب في قابليته العقلية أو النفسية أو البدنية"<sup>٢</sup> فهو من ذوي الاحتياجات الخاصة.

بيد أننا ، سنقصر بحثنا على ذوي الاحتياجات الخاصة من الناحية البدنية والجسدية فقط دون أن نتطرق إلى الإعاقة النفسية أو الذهنية.

<sup>١</sup> اقبال محمد بشير : الخدمة الاجتماعية ورعاية المعوقين ص ١٠ - ١١  
<sup>٢</sup> إبراهيم فاصل الدبو الضمان الاجتماعي في الإسلام ص ١٣٥ ط ١ مطبعة الرشاد - بغداد .

## □ المبحث الأول

### حديث القرآن والسنة عن ذوي الاحتياجات الخاصة.

#### المطلب الأول : من مسميات ذوي الاحتياجات الخاصة في القرآن :

أطلق القرآن على ذوي الاحتياجات الخاصة مسميات عدة بحسب أحوالهم وأوصافهم العقلية والنفسية والبدنية.

#### أ- الفقراء .

يقول تعالى ( لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْقَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ حَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ )<sup>١</sup> فقد نقل الإمام البغوي في تفسيره عن سعيد ابن جبير - رضي الله عنه عند تفسيره لقوله تعالى ( لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ ) ( قوم أصابتهم جراحات مع رسول الله ﷺ في الجهاد في سبيل الله ، فصاروا زمني ، أحصرهم المرض والزمانة عن الضرب في سبيل الله للجهاد"<sup>٢</sup> فوصف الفقراء هنا وصف لما آلت إليه حالة أصحاب العاهات الذين لحقتهم الإعاقات من الجهاد في سبيل الله فترتب عليها الفقر والحاجة والعوز.

#### ب - أولو الضرر .

أطلق القرآن أيضاً على بعض أصحاب الإعاقات الجسدية لفظ ( أولو الضرر ) قال تعالى ( لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ )<sup>٣</sup> فقد ورد في سبب نزول هذه الآية عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أملى عليه ( لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ ) فجاء ابن أم مكتوم وهو يملأها علي

<sup>١</sup> البقرة آية ٢٧٣

<sup>٢</sup> محي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ت ٥١٦ هـ معالم التنزيل تحقيق محمد عبدالله النمر وآخرون ج ١ ص ٣٣٧ ط ٤ دار طيبة للنشر والتوزيع ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

<sup>٣</sup> النساء ٩٥

، فقال : يا رسول لو أستطيع الجهاد لجاهدت ، فأُنزل الله تعالى عليه ، وفخذه على فخذي ، فنقلت علي حتى خفت أن يرض فخذي ، ثم سري عنه فأُنزل الله ( غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ )<sup>١</sup>

وقد ذكر كثير من المفسرين أن المقصود بـ ( أُولِي الضَّرَرِ ) في الآية هم أصحاب ( المرض والعاهة أو الضعف والعلل عموماً من عمى ، أو عرج ، أو زمانة ، لأن هذه الصيغة لمصادر الأدواء ونحوها ، وإن كان قد اشتهر استعمالها في العمى ، ولذلك يقال للأعمى ضرير<sup>٢</sup> يقول صاحب التحرير ( وأحسب أن المراد في هذه الآية خصوص العمى وأن غيره مقيس عليه.<sup>٣</sup>

إلا أننا نأخذ بالعموم في هذه الآية بأن الضرر (هو النقصان سواء أكان بالعمى أو العرج أو المرض أو كان بسبب عدم الأهبة)<sup>٤</sup>

### ج - القاعدون .

قال تعالى ( لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ بِالْمُتَّقِينَ (٤٤) إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَبِّهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (٤٥) وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاتَهُمْ فَتَبَطَّحَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ (٤٦)<sup>٥</sup>

والقاعدون في الآية بمعنى " أولي الضرر والعميان والزمنى والنسوان والصبيان"<sup>٦</sup> وهذا الوصف وإن كان على سبيل المذمة ، لكنه في حق العصاة والمنافقين الذين قعدوا من

<sup>١</sup> أخرجه الشيخان

<sup>٢</sup> راجع تفسير الطبري جامع البين في تأويل القرآن تحقيق أحمد محمد شاكر ج ٩ ص ٨٥ ط مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان ٢٠٠٠م ، والبغوي ٢ / ٢٧٠ ومحمد الطاهر بن عاشور

التحرير والتنوير ٤ / ٨٦

<sup>٣</sup> التحرير والتنوير ٤ / ٨٦

<sup>٤</sup> تفسير الرازي ١١ / ١٩٣

<sup>٥</sup> التوبة الآية ٤٤ - ٤٦

<sup>٦</sup> القرطبي ٨ / ١٥٦



غير عذر عن الجهاد ، وأما القاعدون الذين قعدوا بعذر فإنهم معذورون في ترك الجهاد لعدم الاستطاعة.

#### د- الخوالمف.

قال تعالى ( فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذِنُواكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُفَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ (٨٣) <sup>١</sup> وقال تعالى ( إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٩٣) <sup>٢</sup>

يقول الراغب الأصفهاني " والخالف: المتأخر لنقصان أو قصور كالمختلف " قال " فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ " والخالف: عمود الخيمة المتأخر" <sup>٣</sup> والمقصود بالخوالمف " مرضى الرجال وأهل زمانتهم ، والضعفاء منهم والنساء" <sup>٤</sup> وقال القرطبي " والخوالمف جمع خالفة ، أي النساء والصبيان ، وأصحاب الأعذار من الرجال" <sup>٥</sup>

هـ - الضعفاء. قال تعالى " لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٩١) وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ (٩٢) <sup>٦</sup>

<sup>١</sup> التوبة آية ٨٣

<sup>٢</sup> التوبة ٩٣

<sup>٣</sup> الراغب الأصفهاني المفردات ت ٥٠٢ هـ تحقيق صفوان عدنان داوودي ١ / ٣٢٠ ط الدار الشاملة بيروت - دار القرآن دمشق ١٩٩٦م

<sup>٤</sup> الطبري ١٤ / ٤٠٥

<sup>٥</sup> القرطبي ٨ / ٢٢٣

<sup>٦</sup> التوبة ٩١ - ٩٢

الضعفاء هنا على ثلاثة أوجه " أحدها : أنهم الضعفاء لضعف أبدانهم ، والثاني : المجانين لضعف عقولهم والثالث : العميان لضعف بصرهم كما قيل في تأويل قوله تعالى في شعيب ( وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا )<sup>١</sup> أي ضعيراً<sup>٢</sup>

يقول الامام الفخر الرازي " اعلم أنه تعالى لما بين الوعيد في حق من يوهم العذر، مع أنه لا عذر له ، ذكر أصحاب الأعدار الحقيقية ، وبين أن تكليف الله تعالى بالغزو والجهاد عنهم ساقط ، وهو أقسام : القسم الأول : الصحيح في بدنه ، الضعيف مثل الشيوخ ومن خلق في أصل الفطرة ضعيفاً نحيفاً ، وهؤلاء هم المرادون بالضعفاء"<sup>٣</sup>

و- المرضى. المرض في اللغة: السقم نقيض الصحة<sup>٤</sup>

و"المرضُ" حالة خارجة عن الطبع "ضَارَّةٌ" بالفعل ويعلم من هذا أن الآلام والأورام أعراض عن المرض، وقال ابن فارس: "المرضُ" كل ما خرج به الإنسان عن حد الصحة من علة أو نفاق أو تقصير في أمر"<sup>٥</sup>

وقد ذكر القرآن أهل المرض بعد حديثه عن الضعفاء في قوله " لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى " ولا شك أن المعطوف مغاير للمعطوف عليه " فأما المرضى فيدخل فيهم أهل العمى والعرج والزمانة، وكل من كان موصوفاً بمرض يمنعه من التمكن من الجهاد والسفر للغزو"<sup>٦</sup>

<sup>١</sup> هود آية ٩١

<sup>٢</sup> أبو الحسن على بن محمد حبيب الماوردي البصري ت ٤٥٠ هـ النكت والعيون ٢ / ٣٩١ تحقيق السيد بن عبدالرحيم الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان

<sup>٣</sup> تفسير الفخر الرازي ١٦ / ١٢١.

<sup>٤</sup> لسان العرب ج ٧ ص ٢٣١

<sup>٥</sup> المصباح المنير ج ١ ص ٢٩٣

<sup>٦</sup> تفسير الفخر الرازي ١٦ / ١٢١ - الخازن ج ٣ ص ١٣٥.

## المطلب الثاني

### حث السنة على الرحمة والعطف بذوي الاحتياجات الخاصة.

بسطة السنة الحديث عن ذوي الاحتياجات الخاصة ووجهت المجتمع إلى كيفية التعامل معهم وسوف نعرض في هذا المطلب لأهم التوجيهات النبوية للإهتمام بذوي الاحتياجات الخاصة.

#### ١ - فضل من يرحم الضعفاء.

عندما ففاضت عيناه عليه السلام بالدمع رقة وشفقة على ابن ابنته الذي كان ينازع خروج الروح ، فسأله سعد ابن عباد - رضي الله عنه - : يا رسول الله، ما هذا؟ فقال: «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء»<sup>١</sup>

قال الإمام القرطبي: قوله: "هذه رحمة" أي: رقة يجدها الإنسان في قلبه تبعثه على البكاء من خشيته، وعلى أفعال الخير والبر، وعلى الشفقة على المبتلى، وعلى المصاب، ومن كان كذلك .. جازاه الله برحمته، وهو المعني بقوله عليه السلام: "إنما يرحم الله من عباده الرحماء"، وضد ذلك: القسوة في القلوب الباعثة على الإعراض عن الله تعالى وعن أفعال الخير، ومن كان كذلك .. قيل فيه: {فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ} <sup>٢</sup>

وقال ابن حجر في الفتح " قوله وإنما يرحم الله من عباده الرحماء في رواية شعبة في أواخر الطب ولا يرحم الله من عباده إلا الرحماء ومن في قوله من عباده بيانية وهي حال من المفعول قدمه فيكون أوقع والرحماء جمع رحيم وهو من صيغ المبالغة ومقتضاه أن رحمة الله تختص بمن اتصف بالرحمة وتحقق بها بخلاف من فيه أدنى رحمة لكن ثبت في حديث عبد الله بن عمرو عند أبي داود وغيره الراحمون يرحمهم الرحمن والراحمون

<sup>١</sup> البخاري كتاب التوحيد باب ما جاء في قوله تعالى (إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ) ج ٩ ح

١٣٣ ص ٧٤٤٨

<sup>٢</sup> أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ج ٢ ص ٥٧٥ الناشر: (دار ابن كثير، دمشق - بيروت) الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

جمع راحم فيدخل كل من فيه أدنى رحمة وقد ذكر الحربي مناسبة الإتيان بلفظ الرحماء في حديث الباب بما حاصله أن لفظ الجلالة دال على العظمة وقد عرف بالاستقراء أنه حيث ورد يكون الكلام مسوقاً للتعظيم فلما ذكر هنا ناسب ذكر من كثرت رحمته وعظمتها ليكون الكلام جارياً على نسق التعظيم بخلاف الحديث الآخر فإن لفظ الرحمن دال على العفو فناسب أن يذكر معه كل ذي رحمة وإن قلت والله أعلم

### ٢- أهمية التراحم بين أهل العافية وذوي الاحتياجات الخاصة .

عن النعمان ابن بشير - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ " مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى " ٢

### ٣- الرسول ﷺ يحذر من ظلم الضعفاء.

عن جابر قال : لما رجعت مهاجرة الحبشة إلى رسول الله ﷺ قال " ألا تحذوني بأعجب ما رأيتم بأرض الحبشة ؟ قال فتية منهم : بلى يا رسول ، بينما نحن جلوس مرت علينا عجوز من عجائزهم ، تحمل على رأسها قُلة من ماء ، فمرت بفتى منهم فجعل إحدى يديه بين كتفيها ، ثم دفعها على ركبتيها ، فانكسرت قلتها، فلما ارتفعت التفتت إليه ، ثم قالت : ستعلم يا عُدر ، إذا وضع الله الكرسي ، وجمع الأولين والآخرين ، وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون ، فسوف تعلم أمري وأمرك عنده غداً ، فقال رسول الله ﷺ صدقت ، ثم صدقت ، كيف يقدر الله قوماً لا يؤخذ لضعيفهم من شديديهم " ٣ وفي رواية " إن الله لا يقدر أمة لا يعطون الضعيف حقه " ٤

<sup>١</sup> فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٣ ص ١٥٦

<sup>٢</sup> مسلم كتاب البر والصلة ولأدب ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ج ٤ ص ١٩٩٩ ح رقم ٢٥٨٦

<sup>٣</sup> الاحسان في ترتيب صحيح ابن حبان حقه شعيب الأرنؤوط كتاب القضاء ج ١١ ص ٤٤٣ ح ٥٨ حكم الألباني بأنه صحيح لغيره - بيروت مؤسسة الرسالة ط ١ / ١٩٨٨م

<sup>٤</sup> الألباني صحيح الجامع الصغير وزياداته باب الهمزة ج ١ ص ٣٧٩ ح ١٨٥٨ حكم الألباني صحيح ط المكتب الإسلامي للنشر

جاء في كتاب التنوير " إن الله لا يقدر " لا يطهرها عن أدناس الذنوب ولا يعظمها ولا يرفع لها شأنًا ، " أمة " هي الجيل من كل حي ، " لا يعطون الضعيف " الذي لا ظهر له ولا قوة ولا معين ولا ناصر " منهم حقه " ما هو له عند القوي " ١

٤- من الرحمة بذوي الاحتياجات الخاصة عدم غيبتهم بما ابتلوا به.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَجُلًا، قَامَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَأَوْا فِي قِيَامِهِ عَجْزًا فَقَالُوا: مَا أَعْجَزَ فُلَانًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَكَلْتُمْ أَحَاكُمَ وَاعْتَبْتُمُوهُ» ٢

٥- الرسول ﷺ يوصي الأقوياء بأن يرحموا الضعفاء.

عن عمر بن الخطاب - ﷺ - أن النبي - ﷺ - قال له ( يا عمر إنك رجل قوي لا تراحم على الحجر فتؤذي الضعيف ، وإن وجدت خلوة فاستلمه ، وإلا فاستقبله فهلل وكبر ) ٣

٦- التحذير من الاحتجاج عن الضعفاء ، وعدم قضاء حوائجهم.

عن أبي مريم الأزدي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول ( من ولاه الله - عزوجل - شيئاً من أمر المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم ، احتجب الله عنه دون حاجته وخلته وفقره ) ٤

٧- من أعظم أبواب الصدقة معاونة ذوي الاحتياجات الخاصة .

١ محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ)  
المحقق: د. محمد إسحاق محمد إبراهيم التنوير شرح الجامع الصغير ج ٣ ص ٣٦١ مكتبة دار السلام، الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م  
٢ الطبراني - المعجم الأوسط تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد وعبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني باب الألف باب من اسمه أحمد ج ١ ص ١٤٥ ح رقم ٤٥٨ ط دار الحرمين  
٣ الامام أحمد بن حنبل - المسند ، مسند عمر بن الخطاب ج ١ ص ٣٢١ ح ١٩٠ .  
٤ سنن أبي داود ، كتاب الطلاق باب التغليظ في الانتفاء ج ٣ ص ١٣٥ ح رقم ٢٩٢٨

عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ على كل نفس في كل يوم طلعت فيه الشمس صدقة منه على نفسه ، قلت يا رسول الله ، من أين أتصدق وليس لنا أموال ؟ قال : لأن من أبواب الصدقة التكبير ، وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله ، وأستغفر الله وتأمراً بالمعروف ، وتنهي عن المنكر وتعزل الشوكة عن طريق الناس والعظم والحجر ، وتهدي الأعمى ، وتسمع الأصم والأبكم حتى يفقه ، وتُبدل المستدل على حاجة له قد علمت مكانها ، وتسعى بشدة ساقيك إلى اللهفان المستغيث ، وترفع بشدة ذراعيك مع الضعيف ، كل ذلك من أبواب الصدقة منك على نفسك<sup>١</sup>

### ٨- الوعيد بالطرد من رحمة الله - عز وجل - لمن ضل الأعمى.

عن ابن عباس رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال " لعن الله من ذبح لغير الله ، لعن الله من غير تخوم الأرض ، لعن الله من كره الأعمى عن السبيل ، لعن الله من سب والديه ، لعن الله من تولى مواليه ، لعن الله من عمل عمل قوم لوط"<sup>٢</sup>

" من كره الأعمى " أي عمى عليه الطريق ولم يوقف عليه"<sup>٣</sup>

### ٩- من أعان صاحب حاجة في حاجته كان الله في عونته.

عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال " المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن

<sup>١</sup> مسند الإمام أحمد ، مسند الأنصار حديث أبي ذر الغفاري ج ٣٥ ص ٣٨٣ ح ٢١٤٨٤ حكم الألباني حديث صحيح.

<sup>٢</sup> الحاكم ، المستدرک على الصحيحين كتاب الحدود ج ٤ ص ٢٩٦ ح رقم ٨٠٥٢ قال الذهبي : حديث صحيح.

<sup>٣</sup> إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق (١٩٨ - ٢٨٥ هـ) غريب الحديث تحقيق د. سليمان إبراهيم محمد العايد ج ٢ ص ٤٨٢ ط ١ / ١٤٠٥ هـ - مكة المكرمة جامعة أم القران للنشر

مسلم كربة ، فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم  
القيامة<sup>١</sup>

١٠ - الرسول ﷺ يأمر بنصرة الضعيف .

عن البراء بن عازب - رضي الله عنه - قال أمرنا رسول الله ﷺ بسبع : بعبادة المريض ، واتباع  
الجنائز ، وتشميت العاطس ، ونصر الضعيف ، وعون المظلوم ، وإفشاء السلام ، وإبرار  
المقسم<sup>٢</sup>



<sup>١</sup> الطبراني ، المعجم الكبير باب العين ، عمرو بن دينار عن ابن عمر ج ١٢ ص ٤٥٣ ح  
١٣٦٤٦ الألباني سلسلة الأحاديث الصحيحة ج ٢ ص ٥٧٤ - ٥٧٥ ح ٩٠٦ حكم الألباني  
اسناده حسن.

<sup>٢</sup> صحيح البخاري كتاب الاستئذان باب إفشاء السلام ج ٨ ص ٥٢ ح رقم ٦٢٣٥.



### المطلب الثالث :

## فضل ذوي الاحتياجات الخاصة في الدنيا والآخرة.

### أولاً : فضل ذوي الاحتياجات الخاصة في الدنيا.

#### ١- الإصابة في الأبدان علامة خير للإنسان.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ من يرد الله به خيراً يصب منه " جاء في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح " يصب منه " أي يجعله ذا مصيبة ليظهره بها من الذنوب وليفزع بها درجته"<sup>١</sup>

#### ٢- إصابة الأجسام كفارة للخطايا والآثام.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال " ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها"<sup>٢</sup> وعنه رضي الله عنه قال لما نزلت ( لَيْسَ بِأَمَانَتِكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْرَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا )<sup>٤</sup> بلغت من المسلمين مبلغاً شديداً ، فقال رسول الله ﷺ قاربوا وسددوا ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة ، حتى النكبة ينكبها أو الشوكة يشاكها"<sup>٥</sup>

#### ٣- الضعفاء من أسباب الرزق والنصر.

<sup>١</sup> البخاري كتاب المرض ، باب ما جاء في كفارة المرض ج ٧ ص ١١٥ ح ٥٦٤٥.

<sup>٢</sup> القاري ، مرقاة المفاتيح ، ج ٣ ص ١١٢٧.

<sup>٣</sup> البخاري كتاب المرض ، باب ما جاء في كفارة المرض ج ٧ ص ١١٤ ح ٥٦٤١

<sup>٤</sup> النساء آية ١٢٣

<sup>٥</sup> مسلم كتاب البر والصلة والآداب ، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها ج ٤ ص ١٩٩٣ ح ٢٥٧٤

عن مصعب بن سعد قال رأي سعد رضي الله عنه أن له فضلاً على من دونه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم<sup>١</sup> وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " ابغوني الضعفاء ، فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم " <sup>٢</sup>

قال ابن بطال : " وتأويل ذلك أن عبادة الضعفاء ودعائهم أشد إخلاصاً وأكثر خشوعاً ، لخلاء قلوبهم من التعلق بزخرف الدنيا وزينتها، وصفاء ضمائرهم مما يقطعهم عن الله فجعلوا همهم واحداً؛ فزكت أعمالهم، وأجيب دعاؤهم قال المهلب: إنما أراد صلى الله عليه وسلم بهذا القول لسعد الحض على التواضع ونفي الكبر والزهو عن قلوب المؤمنين. ففيه من الفقه أن من زها على ما هو دونه أنه ينبغي أن يبين من فضله ما يحدث له في نفس المزهو مقداراً أو فضلاً حتى لا يحتقر أحداً من المسلمين؛ ألا ترى أن الرسول أبان من حال الضعفاء ما ليس لأهل القوة والغناء فأخبر أن بدعائهم وصلاتهم وصومهم ينصرون. <sup>٣</sup>

#### ٤- قدر الانسان في الإسلام بإيمانه.

عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم - قال: "إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال: اقرؤوا إن شئتم: فلا نقيم لهم دوم القيامة وزناً"<sup>٤</sup>. في رواية ابن مردويه من وجه آخر عن أبي هريرة الطويل العظيم الأكل الشروب"<sup>٥</sup> فهو

<sup>١</sup> البخاري كتاب الجهاد ج ٤ ص ٣٦ ح ٢٨٩٦.

<sup>٢</sup> سنن أبي داود ج ٣ ص ٣٢ ح ٢٥٩٤ - حكم الألباني صحيح.

<sup>٣</sup> شرح صحيح البخاري لابن بطال تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب ج ٥ ص ٩٠ الرياض مكتبة الرشد ط ١٤٢٣-٢٠٠٣م

<sup>٤</sup> البخاري ج ٦ ص ٩٣ رقم ٤٧٢٩

<sup>٥</sup> فتح الباري ج ٨ ص ٤٢٦

طويل القامة عظيم الجثة سليم الحواس ولكن قلبه خال من الإيمان، فلا ينفعه طول قامته ولا عظم جثته.

وعن زيد ابن حبيش عن عبدالله مسعود رضي الله عنه أنه كان يجتني سواكاً من الأراك ، وكان دقيق الساقين ، فجعلت الريح تكفؤه ، فضحك القوم منه ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم مم تضحكون ؟ قالوا يا نبي الله من دقة ساقيه ، فقال : والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد" <sup>١</sup>

### ٥- مناط التفضيل بين الناس تقوى الله - عز وجل -

قال تعالى " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ " <sup>٢</sup> يقول صاحب التحرير والتنوير " وَتُؤَدُّوا بِعُنْوَانِ النَّاسِ دُونَ الْمُؤْمِنِينَ رَعِيًّا لِلْمُنَاسَبَةِ بَيْنَ هَذَا الْعُنْوَانِ وَبَيْنَ مَا صُدِّرَ بِهِ الْعَرَضُ مِنَ التَّذْكِيرِ بِأَنَّ أَصْلَهُمْ وَاحِدٌ، أَيَّ أَهْمٌ فِي الْخَلْقَةِ سَوَاءٌ لِيَتَوَسَّلَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ التَّفَاضُلَ وَالتَّفَاخُرَ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْفَضَائِلِ وَإِلَى أَنَّ التَّفَاضُلَ فِي الْإِسْلَامِ بَرِيَادَةُ التَّقْوَى " <sup>٣</sup> وَمِنْ مَعْنَى الْآيَةِ مَا حَطَبَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ فَعَنَ أَبِي نَضْرَةَ عَنْ جَابِر رضي الله عنه قَالَ " حَطَبْنَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي وَسْطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ : أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ

عَلَى عَجْمِيٍّ ، وَلَا لِعَجْمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدٍ ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى أَبْلَغْتُمْ ، قَالُوا بَلَّغْتُمْ " <sup>٤</sup>

<sup>١</sup> مسند حمد ج ٧ ص ٩٨ - ٩٩ ح رقم ٣٩٩١ حكم الأرنؤوط صحيح لغيره.

<sup>٢</sup> الحجرات ١٣

<sup>٣</sup> التحرير والتنوير ج ٢٦ ص ٢٥٨

<sup>٤</sup> مسند الإمام أحمد أحاديث رجال من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ص ٤٧٤ ح رقم ٢٣٤٨٩ حكم الأرنؤوط إسناده صحيح.

قال الشوكاني " ألا إن ربكم واحد" هذه مقدمة لنفي فضل البعض على البعض بالحسب والنسب كما كان في زمن الجاهلية لأنه إذا كان الرب واحدا وأبو الكل واحداً لم يبق لدعوى الفضل بغير التقوى موجب وفي هذا الحديث حصر الفضل في التقوى ونفيه عن غيرها وأنه لا فضل لعربي على عجمي ولا لأسود على أحمر إلا بما<sup>١</sup> عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم<sup>٢</sup>

### ٦- القرب من الله بسلامة الجوهر لا بسلامة المظهر.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ( رب أشعث أغبر ذي طمرين تنبو عنه أعين الناس لو أقسم على الله لأبره)<sup>٣</sup>

" تأويل ذلك أن الضعفاء هم أشد إخلاصاً، وأكثر خشوعاً، لخلو قلوبهم من التعلق بزخارف الدنيا، وصفاء ضمائرهم من القواطع عن الله جل شأنه، فبذلك زكت أعمالهم، واستجيب دعاؤهم، لكرامتهم على ربهم، وفي الحديث الصحيح: " ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره"<sup>٤</sup>.

### ٧- الرضا بقضاء الله وقدره يمنح الانسان القوة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا ، ولكن قل قدر الله وما

<sup>١</sup> الشوكاني ، نيل الأوطار ج ٥ ص ٩٩ باب الخطبة أوسط أيام التشريق.

<sup>٢</sup> مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم ظلم المسلم ، وخذله واحتقاره وذمه ، وعرضه وماله ج ٤ ص ١٩٨٦ ح رقم ٢٥٦٤.

<sup>٣</sup> الحاكم ، المستدرک علی الصحیحین ، کتاب الرقائق ج ٤ ص ٣٦٤ ح رقم ٧٩٣٢ التعليق من تلخيص الذهبي حديث صحيح ص ٣٦٧.

<sup>٤</sup> حمزة محمد قاسم ، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري راجعه الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط ج ٤ ص ١٠٥ دمشق - مكتبة دار البيان ، الطائف مكتبة المؤيد ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان<sup>١</sup> وعن أنس رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ إن عظم الجزاء من عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط<sup>٢</sup>

قال ابن رجب " فَهَاتَانِ دَرَجَتَانِ لِلْمُؤْمِنِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ فِي الْمَصَائِبِ :

أَحَدُهُمَا: أَنْ يَرْضَى بِذَلِكَ، وَهِيَ دَرَجَةٌ عَالِيَةٌ رَفِيعَةٌ جَدًّا، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ }<sup>٣</sup> قَالَ عَلْقَمَةُ: هِيَ الْمُصِيبَةُ تُصِيبُ الرَّجُلَ، فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَيَسَلِّمُ لَهَا وَيَرْضَى.

قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: إِنَّ اللَّهَ إِذَا قَضَى قَضَاءً أَحَبَّ أَنْ يُرَضَى بِهِ، وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: إِنَّ اللَّهَ بِقِسْطِهِ وَعَدْلِهِ جَعَلَ الرُّوحَ وَالْفَرْحَ فِي الْيَقِينِ وَالرِّضَا، وَجَعَلَ الْهَمَّ وَالْحُزْنَ فِي الشَّكِّ وَالسُّخْطِ؛ فَالرَّاضِي لَا يَتَمَتَّى غَيْرَ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ شِدَّةٍ وَرَخَاءٍ كَذَا رُوِيَ عَنْ عُمَرَ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَغَيْرِهِمَا. وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: أَصْبَحْتُ وَمَالِي سُورُورٌ إِلَّا فِي مَوَاضِعِ الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ.

فَمَنْ وَصَلَ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ، كَانَ عَيْشُهُ كُلُّهُ فِي نَعِيمٍ وَسُرُورٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً }<sup>٤</sup> قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ: هِيَ الرِّضَا وَالْقَنَاعَةُ. وَقَالَ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زَيْدٍ: الرِّضَا بَابُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ وَجَنَّةُ الدُّنْيَا وَمُسْتَرَاخُ الْعَابِدِينَ.

وَأَهْلُ الرِّضَا تَارَةً يُلَاحِظُونَ حِكْمَةَ الْمُبْتَلَى وَخَيْرَتَهُ لِعَبْدِهِ فِي الْبَلَاءِ، وَأَنَّهُ غَيْرُ مُتَّهَمٍ فِي قَضَائِهِ، وَتَارَةً يُلَاحِظُونَ ثَوَابَ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ، فَيُنْسِيهِمْ أَلَمَ الْمُقْضَى بِهِ، وَتَارَةً يُلَاحِظُونَ

<sup>١</sup> مسلم كتاب القدر باب في الأمر بالقوة وترك العجز ، والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله ج ٤ ص ٢٠٥٢ ح رقم ٢٦٦٤.

<sup>٢</sup> سنن الترمذي ، أبواب الزهد باب ما جاء في الصبر على البلاء ج ٤ ص ٦٠١ ح رقم ٢٣٩٦ هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

<sup>٣</sup> [التغابن: ١١]

<sup>٤</sup> [النحل: ٩٧]

عَظَمَةُ الْمُتَبَلِّي وَجَلَالُهُ وَكَمَالُهُ، فَيَسْتَعْرِفُونَ فِي مُشَاهَدَةِ ذَلِكَ، حَتَّى لَا يَشْعُرُونَ بِالْأَلَمِ، وَهَذَا يَصِلُ إِلَيْهِ حَوَاصُّ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ وَالْمَحَبَّةِ، حَتَّى زُبْمًا تَلَدُّدُوا بِمَا أَصَابَهُمْ لِمَلَاخِظَتِهِمْ صُدُورُهُ عَنْ حَبِيبِهِمْ، كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ: أَوْجَدَهُمْ فِي عَذَابِهِ عُذُوبَةً. وَسُئِلَ بَعْضُ التَّابِعِينَ عَنْ حَالِهِ فِي مَرَضِهِ، فَقَالَ: أَحَبُّهُ إِلَيَّ أَحَبُّهُ إِلَيَّ.

وَسُئِلَ السَّرِيِّ: هَلْ يَجِدُ الْمُحِبُّ أَلَمَ الْبَلَاءِ؟ فَقَالَ: لَا وَقَالَ بَعْضُهُمْ:

عَذَابُهُ فِيكَ عَذَابٌ ..... وَبُعْدُهُ فِيكَ قُرْبٌ

وَأَنْتَ عِنْدِي كَرُوحِي .... بَلْ أَنْتَ مِنْهَا أَحَبُّ

حَسْبِي مِنَ الْحُبِّ أَنِّي ..... لِمَا تُحِبُّ أَحَبُّ

وَالدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ: أَنْ يَصْبِرَ عَلَى الْبَلَاءِ، وَهَذِهِ لِمَنْ لَمْ يَسْتَطِعِ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ، فَالرِّضَا فَضْلٌ مَنْدُوبٌ إِلَيْهِ، مُسْتَحَبٌّ، وَالصَّبْرُ وَاجِبٌ عَلَى الْمُؤْمِنِ حَتْمًا، وَفِي الصَّبْرِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِهِ، وَوَعَدَ عَلَيْهِ جَزِيلَ الْأَجْرِ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {إِنَّمَا يُوفِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} <sup>١</sup> وَقَالَ: {وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ - الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ - أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} <sup>٢</sup> قَالَ الْحَسَنُ: الرِّضَا عَزِيزٌ، وَلَكِنَّ الصَّبْرَ مُعَوَّلُ الْمُؤْمِنِ.

وَالفَرْقُ بَيْنَ الرِّضَا وَالصَّبْرِ: أَنَّ الصَّبْرَ كَفُّ النَّفْسِ وَحَبْسُهَا عَنِ التَّسَخُّطِ مَعَ وُجُودِ الْأَلَمِ، وَتَمَيُّ زَوَالِ ذَلِكَ، وَكَفُّ الْجَوَارِحِ عَنِ الْعَمَلِ بِمُقْتَضَى الْجَزَعِ، وَالرِّضَا: انْتِشَاحِ الصَّدْرِ وَسَعْتُهُ بِالْقَضَاءِ، وَتَرْكُ تَمَيُّ زَوَالِ ذَلِكَ الْمُؤَلِّمِ، وَإِنْ وُجِدَ الْإِحْسَاسُ بِالْأَلَمِ، لَكِنَّ الرِّضَا يُخَفِّفُهُ لِمَا يُبَاشِرُ الْقَلْبَ مِنْ رُوحِ اليَقِينِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَإِذَا قَوِيَ الرِّضَا، فَقَدْ يُزِيلُ الْإِحْسَاسَ بِالْأَلَمِ بِالْكَلِيَّةِ كَمَا سَبَقَ <sup>٣</sup>.

١ [الزمر: ١٠]

٢ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧]

٣ ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم ج ١ ص ٤٨٦ - ٤٨٨ تحقيق: شعيب الأرنؤوط - إبراهيم باجس الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: السابعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م



عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( إن الله ليحرب أحدكم بالبلاء وهو أعلم به كما يحرب أحدكم ذهبه بالنار ، فمنهم من يخرج كالذهب الإبريز فذلك الذي نجاه الله تعالى من السيئات ، ومنهم من يخرج كالذهب دون ذلك ، فذلك الذي يشك ، ومنهم من يخرج كالذهب الأسود، فذلك الذي قد افتتن<sup>١</sup> وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم " لا يتمنين أحدكم الموت من ضر أصابه فإن كان لا بد فاعلاً فليقل اللهم أحييني ما كانت الحياة خيراً لي ، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي " <sup>٢</sup>

قال الصنعاني هذا " دليلٌ على التَّهَيُّبِ عَنْ تَمَيُّي الْمَوْتِ لِلْوُقُوعِ فِي بَلَاءٍ وَمِحْنَةٍ أَوْ حَسْبِيَةِ ذَلِكَ مِنْ عَدُوٍّ أَوْ مَرَضٍ أَوْ فَاقَةٍ أَوْ نَحْوِهَا مِنْ مَشَاقِّ الدُّنْيَا؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْجَزَعِ وَعَدَمِ الصَّبْرِ عَلَى الْقَضَاءِ وَعَدَمِ الرِّضَا وَفِي قَوْلِهِ: " لِيُضْرَّ نَزَلَ بِهِ " مَا يُرْشِدُ إِلَى أَنَّهُ إِذَا كَانَ لِعَبِيرِ ذَلِكَ مِنْ خَوْفٍ أَوْ فِتْنَةٍ فِي الدِّينِ فَإِنَّهُ لَا بَأْسَ بِهِ، وَقَدْ دَلَّ لَهُ حَدِيثُ الدُّعَاءِ «إِذَا أَرَدْتَ بَعْبَادِكَ فِتْنَةً فَأَقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مُفْتُونٍ» أَوْ كَانَ تَمَنِّيَا لِلشَّهَادَةِ كَمَا وَقَعَ ذَلِكَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ وَعَظِيمِهِ مِنَ السَّلْفِ وَكَمَا فِي قَوْلِ مَرْيَمَ: { يَا لَيْتَنِي مِثُّ قَبَلِ هَذَا } <sup>٣</sup>

٨- أن بلاء ذوي الاحتياجات الخاصة ليس لهواهم على الله بل لقربهم منه .

عن مصعب بن سعد عن أبيه قال " قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء ؟ قال : الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ، فيبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه ، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة"<sup>٤</sup>

<sup>١</sup> الحاكم ، المستدرک علی الصحیحین کتاب الرقائق ج ٤ ص ٣٥٠ ح رقم ٧٨٧٨ حکم الذہبی حدیث صحیح ص ٣٥٠

<sup>٢</sup> صحیح البخاری کتاب المرض ، باب المرض باب تمنی المریض الموت ج ٧ ص ١٢١ ح رقم ٥٦٧١ .

<sup>٣</sup> [مریم: ٢٣] راجع محمد بن إسماعیل الصنعانی،(المتوفی: ١١٨٢هـ) سبل السلام ج ١ ص ٤٦٤ الناشر: دار الحدیث.

<sup>٤</sup> سنن الترمذی ، أبواب الزهد باب ما جاء فی الصبر علی البلاء ج ٤ ص ٦٠١ ح رقم ٢٣٩٨ حکم الألبانی حسن صحیح.



جاء في مرقاة المفاتيح " أي الناس أشد " أي أكثر أو أصعب بلاء؟ أي: محنة ومصيبة.  
 (قال: " الأنبياء) أي: هم أشد في الابتلاء؛ لأنهم يتلذذون بالبلاء كما يتلذذ غيرهم  
 بالنعماء، ولأنهم لو لم يبتلوا لتوهّم فيهم الألوهية، وليتوهن على الأمة الصبر على  
 البلية. (ثم الأمثل) أي: الأشبه بهم، أو الأفضل من غيرهم. (فالأمثل) قال ابن الملك:  
 أي: الأشرف فالأشرف، والأعلى فالأعلى رتبة ومنزلة يعني: من هو أقرب إلى الله  
 بلاءه أشد ليكون ثوابه أكثر. قال الطيبي: ثم فيه للتراخي في الرتبة، والفاء للتعاقب  
 على سبيل التوالي تنزلاً من الأعلى إلى الأسفل، واللام في الأنبياء للجنس اهـ. كونهما  
 للاستغراق، إذ لا يخلو واحد منهم من عظيم محنة، وحسيم بلية بالنسبة لأهل زمنه،  
 ويدل عليه قوله: ( «يبتلى الرجل على حسب دينه» ) أي: مقداره ضعفاً وقوةً،  
 ونقصاً وكمالاً، قال الطيبي: الجملة بيان للجملة الأولى، واللام في الرجل للاستغراق  
 في الأجناس المتواليّة اهـ. ويصح كونهما للجنس، بل هو الصحيح كما يدل عليه قوله  
 على حسب دينه. (فإن كان): تفصيل للابتلاء وقدره. (في دينه صلّباً): خبر كان  
 أي: شديداً، واسمه ضمير راجع إلى الرجل، والجار متعلق بالخبر. (اشتد بلاءه أي:  
 كميته وكيفية. (وإن كان) أي: هو. (في دينه رقة): الجملة خبر كان، ويحتمل أن يكون  
 رقة اسم كان أي: ضعف. قال الطيبي: جعل الصلابة صفة له، والرقة صفة لدينه  
 مبالغة وعلى الأصل اهـ. وكان الأصل في الصلّب أن يستعمل في الجثث، وفي الرقة أن  
 تستعمل في المعاني، ويمكن أن يحمل على التفنن في العبارة. (هون): على بناء  
 المفعول سهل وقيل. (عليه) أي: البلاء. قال ابن الملك: ليكون ثوابه أقل. أقول:  
 بل رحمة عليه ولطفاً به، فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها، ولولا التخفيف في بلاءه  
 لحشي عليه الكفر من ابتلائه؛ ولذا قال - ﷺ - «كاد الفقر أن يكون كفراً»<sup>١</sup>.

<sup>١</sup> شعب الإيمان للبيهقي الباب الثالث والأربعون باب في الحث على ترك الغل والحسد ج ٥  
ص ٢٦٧

(فَمَا زَالَ) أَي: الرَّجُلُ الْمُبْتَلَى قَالَ الطَّيِّبِيُّ: الصَّمِيرُ رَاجِعٌ إِلَى اسْمِ كَانَ الْأَوَّلِ. (كَذَلِكَ) أَي: أَبَدًا يُصِيبُ الصَّالِحَ الْبَلَاءُ، وَيُعْفَرُ ذَنْبُهُ بِإِصَابَتِهِ إِيَّاهُ. (حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى الْأَرْضِ) : كِنَايَةٌ عَنِ خُلَاصِهِ مِنَ الذُّنُوبِ، فَكَأَنَّهُ كَانَ مَجْبُوسًا، ثُمَّ أُطْلِقَ وَحُلِّيَ سَبِيلَهُ. (مَا لَهُ) أَي: عَلَيْهِ. (ذَنْبٌ) : يَخْتَصُّ بِهِ، وَرُبَّمَا يَكُونُ شَفِيعًا لِعَبْرِهِ.<sup>١</sup>

### ثانياً - فضل ذوي الاحتياجات الخاصة في الآخرة.

#### ١ - الجنة جزاء من صبر على الصرع .

عن عطاء بن أبي رباح رضي الله عنه قال : قال لي ابن عباس رضي الله عنه ألا أريك امرأة من أهل الجنة ؟ قلت بلى : قال هذه المرأة السوداء أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي قال: إن شئت صبرت ولك الجنة ، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك، فقالت أصبر، فقالت : إني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف ، فدعا لها<sup>٢</sup>

#### ٢ - من فقد بصره فصبر واحتسب عوضه الله الجنة.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول " إن الله قال إذا ابتليت عبدي بحبيتيه فصبر وعوضته منهما الجنة "<sup>٣</sup>

وعن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال " يقول الله عز وجل من أذهب حبيتيه فصبر واحتسب لم أرض له ثواباً دون الجنة "<sup>٤</sup>

قال ابن حجر : قوله إذا ابتليت عبدي بحبيتيه بالثنائية وقد فسرها آخر الحديث بقوله يريد عينيه ولم يصرح بالذي فسرها والمراد بالحبيتين المحبوتان لأنهما أحب أعضاء الإنسان إليه لما يحصل له بفقدتهما من الأسف على فوات رؤية ما يريد رؤيته من خير

<sup>١</sup> مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، علي القاري ت ١٠١٤ هـ ج ٣ ص ١١٤٠ - ١١٤١ الناشر: دار الفكر، بيروت - لبنان الطبعة: ١- ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م  
<sup>٢</sup> البخاري كتاب المرض باب فضل من يصرع من الريح ج ٧ ص ١١٦ ح ٥٦٥٢.  
<sup>٣</sup> البخاري كتاب المرض باب فضل من ذهب بصره ج ٧ ص ١١٦ ح ٥٦٥٣.  
<sup>٤</sup> سنن الترمذي أبواب الزهد باب ما جاء في ذهاب البصر ج ٤ ص ٦٠٣ ح ٢٤٠١ احكم الألباني صحيح.

فيسر به أو شر فيجتنبه قوله فصبر زاد الترمذي في روايته عن أنس واحتسب وكذا لابن حبان والترمذي من حديث أبي هريرة ولابن حبان من حديث بن عباس أيضاً. والمراد أنه يصبر مستحضراً ما وعد الله به الصابر من الثواب لا أن يصبر مجرداً عن ذلك لأن الأعمال بالنيات وابتلاء الله عبده في الدنيا ليس من سخطه عليه بل إما لدفع مكروهه أو لكفارة ذنوب أو لرفع منزلة فإذا تلقى ذلك بالرضا تم له المراد وإلا يصبر كما جاء في حديث سلمان "أن مرض المؤمن يجعله الله له كفارة ومستعباً، وأن مرض الفاجر كالبعير عقله أهله ثم أرسلوه فلا يدري لم عقل ولم أرسل" أخرجه البخاري في الأدب المفرد موقوفاً .

قوله عوضته منهما الجنة وهذا أعظم العوض لأن الالتذاذ بالبصر يفنى بفناء الدنيا والالتذاذ بالجنة باق ببقائها وهو شامل لكل من وقع له ذلك بالشرط المذكور ووقع في حديث أبي أمامة فيه قيد آخر أخرجه البخاري في الأدب المفرد بلفظ "إذا أخذت كرميتك فصبرت عند الصدمة واحتسبت" فأشار إلى أن الصبر النافع هو ما يكون في أول وقوع البلاء فيفوز ويسلم وإلا فمتى تضجر وتقلق في أول وهلة ثم يئس فيصبر لا يكون حصل المقصود وقد مضى حديث أنس في الجنائز "إنما الصبر عند الصدمة الأولى"

وقد وقع في حديث العرباض فيما صححه بن حبان فيه بشرط آخر ولفظه "إذا سلبت من عبدي كرميته وهو بهما ضنين لم أرض له ثواباً دون الجنة إذا هو حمدي عليهما" ولم أر هذه الزيادة في غير هذه الطريق وإذا كان ثواب من وقع له ذلك الجنة فالذي له أعمال صالحة أخرى يزداد في رفع الدرجات"<sup>١</sup>

٣ - أخرج يظاً الجنة برجله صحيحة.

<sup>١</sup> أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ١٠ ص ١١٦ الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي.

عن أبي قتادة رضي الله عنه قال " أتى عمرو بن الجموح إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أرأيت إن قاتلت في سبيل الله حتى أقتل : أمشي برجلي هذه صحيحة في الجنة ، وكانت رجله عرجاء ، فقال رسول الله ﷺ نعم ، فقتلوا يوم أحد هو وابن أخيه مولى لهم ، فمر عليه رسول الله ﷺ فقال كأني أنظر إليك تمشي برجلك هذه صحيحة في الجنة فأمر رسول الله ﷺ بهما وبمولاها فجعلا في قبر واحد" <sup>١</sup>

#### ٤- أهل البلاء يوم القيامة من أعظم الناس ثواباً.

عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ " يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت فرضت في الدنيا بالمقاريض" <sup>٢</sup>

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال يؤتى بالشهيد يوم القيامة، فينصب للحساب ، ويؤتى بالمتصدق فينصب للحساب ، ثم يؤتى أهل البلاء ولا ينصب لهم ميزان ، ولا ينشر لهم ديوان ، فيصب عليهم الأجر صباً حتى أن أهل العافية ليمنون في الموقف أن أجسادهم قرضت بالمقاريض من حسن ثواب الله" <sup>٣</sup>

#### ٦- افتخار الجنة واعتزازها بالضعفاء.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " افْتَحَرَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أَيُّ رَبِّ يَدْخُلُنِي الْجَبَابِرَةُ وَالْمُلُوكُ وَالْعُظَمَاءُ وَالْأَشْرَافُ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: أَيُّ رَبِّ يَدْخُلُنِي الْفُقَرَاءُ وَالضُّعْفَاءُ وَالْمَسَاكِينُ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي أُصِيبُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ، وَقَالَ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا" <sup>٤</sup>

<sup>١</sup> مسند أحمد تتمة مسند الأنصار ، حديث أبي قتادة الأنصاري ج ٣٧ ص ٢٤٧ ح ٢٢٥٥٣ حكم الأرنؤوط إسناده صحيح.

<sup>٢</sup> سنن الترمذي ت أحمد شاكر ج ٤ ص ٦٠٣ ح ٢٤٠٢

<sup>٣</sup> الطبراني ، المعجم الكبير باب العين ج ١٢ ص ١٨٢ ، الألباني سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ج ٥ ص ٢٤١ ح رقم ٢٢٠٦ حكم الألباني حسن

<sup>٤</sup> مسند أحمد ج ١٨ ص ٢٦٧ ح رقم ١١٧٤ ط الرسالة حكم الأرنؤوط صحيح.

وعن حارثة بن وهب الخزاعي ، قال سمعت النبي ﷺ يقول : ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف متضعّف ، لو أقسم على الله لأبره ، ألا أخبركم بأهل النار : كل عتل جواظ مستكبر " ١

فقه الحديث: دل هذا الحديث على مشروعية الاستعانة بدعاء الضعفاء على النصر على الأعداء، إذا كانوا صالحين، وهو ما ترجم له البخاري، لأن النصر إنما هو من عند الله، فلا ينبغي الاعتماد فيه على مجرد القوة العسكرية، أو البطولة والشجاعة، وإنما ينبغي الاعتماد على الله، والإكثار من التضرع والاجتهاد في الدعاء، والتماس دعاء الضعفاء والصالحين، لما له من عظيم الأثر في مثل هذه المواقف " ٢

### ٧- نعيم الدنيا مهما عظم وطال فإنه زائل ونعيم الآخرة باق لا يفنى.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ " يؤتى بأنعمة أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة ، فيصبغ في النار صبغة ، ثم يقال : يا ابن آدم ، هل رأيت خيراً قط؟ هل مر بك نعيم قط ؟ فيقول : لا والله يا رب ، ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا ، من أهل الجنة ، فيصبغ صبغة في الجنة ، فيقال له : يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط ؟ هل مر بك شدة قط ؟ فيقول لا والله يا رب ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط " ٣

<sup>١</sup> البخاري كتاب التفسير باب " عُنْتَلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيم (١٣) القلم ج ٦ ص ١٥٩ ح رقم ٤٩١٨ .

<sup>٢</sup> حمزة محمد قاسم ، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري راجعه الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط ج ٤ ص ١٠٥ دمشق - مكتبة دار البيان ، الطائف مكتبة المؤيد ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

<sup>٣</sup> مسلم كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب صبغ أنعم أهل الدنيا في النار وصبغ أشدهم بؤساً في الجنة ج ٤ ص ٢١٦٢ ح رقم ٢٨٠٧



## □ المبحث الثاني

### الواجبات الشرعية لذوي الاحتياجات الخاصة.

إن الدراسات النفسية المعاصرة تذهب إلى أن أصحاب الاحتياجات الخاصة يعانون من موقفين:

#### **الأول : نظرة صاحب الحاجة الخاصة نفسه إلى نفسه**

حيث يتحسس موضع حاجته فيشعر بقلق وألم شديدين.

#### **الثاني : نظرة المجتمع إليه .**

فالمجتمع الذي يزدري الأصحاء فيه أهل البلاء يكون مصدر شقاء وألم لهؤلاء، قد يفوق ألم المصيبة.

ومن الثابت أن خير علاج أو تدبير يمكن اتخاذه لتحقيق الشفاء التام من هذه الآلام والأحاسيس المريرة ما يتجه إلى نفس المصاب يبحث منها القلق لتشعر بالرضا والاطمئنان والثقة التي بها قوام الحياة السعيدة، وما أتجه في الوقت ذاته إلى المجتمع مؤدباً ومصلاً ومبيناً الأسلوب الأمثل في معاملة الأعبة من ذوي البلاء<sup>١</sup>

على ضوء ذلك سوف نتناول في هذا المبحث واجبات ذوي الاحتياجات الخاصة تجاه أنفسهم ، ثم واجبات المجتمع تجاههم.

#### **المطلب الأول: واجبات ذوي الاحتياجات الخاصة نحو أنفسهم.**

١- التوجه إلى الله بالعبادة: في مرحلة الابتلاء يزداد المؤمن تعلقاً بالعبادات ، ويكثر النوافل ، وتلاوة القرآن ، ويتوجه إلى الله تبارك وتعالى بالرجاء والدعاء .

<sup>١</sup> سري زيد الكيلاني ، التدابير الشرعية في توفير الرعاية لذوي الحاجات الخاصة في الشريعة الإسلامية - مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون المجلد ٣٢ العدد ١ / ٢٠٥ ص ٢٣ - بتصرف قسم الفقه وأصوله - كلية الشريعة - الجامعة الأردنية.



ذوو الاحتياجات الخاصة في حالة ضعف ، وهذه الحالة قد تكون دافعاً لمن وفقه الله سبحانه وتعالى للالتجاء إلى الله والطمع فيما عنده ، يقول تعالى " كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ (٦) أَنْ رَأَهُ اسْتَعَى<sup>١</sup> " وقال " وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ الْأَخْبَرَ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ<sup>٢</sup> " وقال تعالى " وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ<sup>٣</sup> " ٣

## ٢- أن يعلم أن هذا البلاء يكفر السيئات ويحط من الذنوب والخطايا.

عن أبي بكر بن أبي زهير قال: أخبرت أن أبا بكر قال: يا رسول الله، كيف الصلاح بعد هذه الآية {لَيْسَ بِأَمَانَتِكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ}؛ فكلّ سوء عملنا جزينا به؟ فقال رسول الله - ﷺ -: "غفر الله لك يا أبا بكر، ألسنت تمرض، ألسنت تنصب، ألسنت تحزن، ألسنت تصيبك اللاؤاء؟" قال: بلى، قال: "فهو ما- تجزون به".<sup>٥</sup>

## ٣- الإخلاص : إن الابتلاء والحن من شأنها أن تنقي قلب المؤمن من الهوى .

٤- زيادة الثقة بالله : فالإنسان في الظروف الحرجة ، يلجأ إلى الله تعالى فهو وحده الذي يخفف عنه ، ويثبتته ويصبره.

## ٥- يعرف المبتلى منزلته عند الله وقوة دينه.

٦- الابتلاء وسيلة لدخول الجنة، فمن نعم الله تبارك وتعالى على المبتلى أن الله سبحانه يكافئه على صبره بالجنة- كما أسلفا القول في ذلك فيما سبق.

١ العلق ٦ - ٧

٢ السجدة ٢١

٣ الأنعام ٤٢- ٤٣

٤ [النساء: ١٢٣]

٥ مسند أحمد ج ١ ص ١٩٣ رقم ٦٨

٧- أن يعلم أن هذا الابتلاء اختبار وامتحان من الله لإظهار معادن الرجال

وخصالهم<sup>١</sup>

قال تعالى " وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ"<sup>٢</sup> يقول الدكتور محمد سيد طنطاوي في تفسير هذه الآية " والمتأمل في هذه الآية الكريمة يراها قد صورت المذبذبين في عقيدتهم أكمل تصوير، فهم يقيسون العقيدة بميزان الصفقات التجارية، إن ربحوا من ورائها فرحوا، وإن خسروا فيها أصابهم الغم والحزن.

وشبيه بهذه الآية قوله- تعالى- في شأن المنافقين: وَمَنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَحْطُونَ<sup>٣</sup>.

والتعبير بقوله- سبحانه- على حَرْفٍ يصور هذا النوع من الناس، وكأنه يترجح في عبادته كما يترجح من يكون على طرف الشيء. فهو معرض للسقوط في أية لحظة. والمراد من الخير في قوله- تعالى- فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ " الخير الدنيوي من صحة وغنى ومنافع دنيوية.

أي: فإن نزل بهذا المذبذب في عبادته خير دنيوي اطْمَأَنَّ بِهِ أي: ثبت على ما هو عليه من عبادة ثباتاً ظاهرياً، وليس ثباتاً قلبياً حقيقياً كما هو شأن المؤمنين الصادقين الذين لا يزحزحهم عن إيمانهم وعد أو وعيد.

وإن أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ أي: مصيبة أو شر انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ أي: ارتد ورجع عن عبادته ودينه إلى الكفر والمعاصي.

<sup>١</sup> د. محمد أبو فارس، الابتلاء والمحن في الدعوات ص ١٣٥ - ١٣٦ دار الفرقان ط ١ عمان ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.

<sup>٢</sup> الحج ١١

<sup>٣</sup> التوبة الآية ٥٨

وقوله - تعالى -: حَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكُمْ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ " بيان لسوء عاقبة صنيعه.

أي: هذا الذي يعبد الله على حرف، جمع على نفسه خسارتين، خسارة الدنيا بسبب عدم حصوله على ما يريده منها، وخسارة الآخرة بسبب ارتداده إلى الكفر وغشيان السيئات، وذلك الذي جمعه على نفسه هو الخسران الواضح، الذي لا ينازع في شأنه عاقلان، إذ لا خسران أشد وأظهر، من الخسران الذي ضيع ديناه وآخرته.<sup>١</sup>

٩- الاعتقاد بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه يقول تعالى " مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ " ٢ وقال تعالى " مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ " ٣ وقال تعالى " وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ " ٤ وقد تناولنا فيما سبق أحاديث كثيرة في هذا الشأن.

١٠ - أن يؤمن بأن الله إذا ابتلى المؤمن فلأنه يحبه ويؤثره على غيره ممن لم يبتله ،  
ولذلك كان الرسل أشد الناس بلاءً ، وأكثرهم تحملاً للأذى.

قال الإمام النووي " والحكمة في كون الأنبياء أشد بلاء ثم الأمثل فالأمثل أنهم مخصوصون بكمال الصبر وصحة الاحتساب ومعرفة أن ذلك نعمة من الله تعالى لئتم لهم الخير ويضاعف لهم الأجر ويظهر صبرهم ورضاهم " ٥

١١ - أن يعلم المصاب بنقص أو عاهة أو إعاقة أن الله يأجر المؤمن على كل مصيبة مهما صغرت ولو كانت شوكة يشاكيها كما جاء في الحديث عن أبي سعيد

<sup>١</sup> التفسير الوسيط ج ٩ ص ٢٨٥ وما بعدها

<sup>٢</sup> الحديد آية ٢٢

<sup>٣</sup> التغابن ١١

<sup>٤</sup> البقرة ١٥٥ - ١٥٦

<sup>٥</sup> شرح النووي على مسلم ج ١٦ ص ١٢٩

الخدري، وعن أبي هريرة: عن النبي ﷺ قال: «ما يصيب المسلم، من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياها»<sup>١</sup>

قال الإمام النووي في شرح هذا الحديث "في هذه الأحاديث بشارة عظيمة للمسلمين فإنه قلما ينفك الواحد منهم ساعة من شئ من هذه الأمور وفيه تكفير الخطايا بالأمراض والاسقام ومصايب الدنيا وهمومها وإن قلت مشقتها وفيه رفع الدرجات بهذه الأمور وزيادة الحسنات وهذا هو الصحيح الذي عليه جماهير العلماء وحكى القاضي عن بعضهم أنها تكفر الخطايا فقط ولا ترفع درجة ولا تكتب حسنة قال وروي نحوه عن بن مسعود قال الوجد لا يكتب به أجر لكن تكفر به الخطايا فقط واعتمد على الأحاديث التي فيها تكفير الخطايا ولم تبلغه الأحاديث التي ذكرها مسلم المصرحة برفع الدرجات وكتب الحسنات"<sup>٢</sup>

١٢ - أن يعمل المؤمن المصاب على تجاوز هذا النقص والاستفادة بما بقي ، وهذا

### باب عظيم جداً للإحسان وتفجير الطاقات.

عن "أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي، خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير أحرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»"<sup>٣</sup>

قال الشيخ محمد فؤاد عبدالباقي في تعليقه على هذا الحديث " (المؤمن القوي خير) المراد بالقوة هنا عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداماً على العدو في الجهاد وأسرع خروجاً إليه وذهاباً في طلبه وأشد عزيمة في

<sup>١</sup> البخاري باب ما جاء في كفارة المرض ج ٧ ص ١١٤ رقم ٥٦٤١

<sup>٢</sup> شرح النووي على مسلم ج ١٦ ص ١٢٨

<sup>٣</sup> مسلم باب في الأمر بالقوة وترك العجز ج ٤ ص ٢٠٥٢ ح رقم ٢٦٦٤

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في كل ذلك واحتمال المشاق في ذات الله تعالى وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات وأنشط طلباً لها ومحافظتها عليها ونحو ذلك (وفي كل خير) معناه في كل من القوي والضعيف خير لاشتراكهما في الإيمان مع ما يأتي به الضعيف من العبادات (أحرص على ما ينفعك) معناه أحرص على طاعة الله تعالى والرغبة فيما عنده واطلب الإعانة من الله تعالى على ذلك ولا تعجز ولا تكسل عن طلب الطاعة ولا عن طلب الإعانة<sup>١</sup>

وقد أنشأ الجاحظ لابن عباس - رضي الله عنهما - وقد كف بصره

إن يأخذ الله من عيني نورهما ..... ففي لساني وسمعي منهما نور.

قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل .... وفي فمي صارم كالسيف مأثور.<sup>٢</sup>

فهؤلاء القوم كانوا يرون في أنفسهم أن الله عوضهم عن عاهتهم بنعم أخرى ، قال رجل للقاسم ابن محمد وقد ذهب بصره ، لقد سلبت أحسن وجهك قال : صدقت ، غير أني منعت النظر إلى ما يلهي ، وعوضت الفكرة في العمل فيما يجدي<sup>٣</sup>

ومن ذلك قول بشار بن برد

إذا ولد المولود أعمى وجدته ..... وجدك ، أهدى من بصير وأحولا

عميت جنيناً والذكاء من العمى .... فجئت عجيب الظن للعلم معقلا

وغاض ضياء العين للعلم رافداً ..... لقلب إذا ما ضيع الناس حصلا

وشعر كنور الروض لاءمت بينه .... بقول إذا أحزن الشعر أسهلاً<sup>٤</sup>

<sup>١</sup> السابق نفسه

<sup>٢</sup> صلاح الدين خليل بن أبيبكت الصفيدي نكت الهميان في نكت العميان ص ٧١ وقف على طبعه أحمد زكي بك مطبعة الجمالية بمصر ١٣٢٩هـ / ١٩١١م

<sup>٣</sup> السابق ص ٣٩

<sup>٤</sup> البرصان ص ٤٨ - ٤٩

وننقل هنا كلاماً نفيساً لابن القيم في الصبر على الابتلاء من كتابه "طريق المهجرتين" وباب السعادتين" فقال - رحمه الله - والصبر على البلاء ينشأ من أسباب عدة :  
أحدهما : شهود جزائها وثوابها.

والثاني : شهود تكفيرها للسيئات ومحوها له.

الثالث : شهود القدر السابق الجاري بها، وأنها مقدره في أم الكتاب قبل أن تخلق ، فلا بد منها ، فجزعه لا يزيده إلا بلاءً.

الرابع : شهوده حق الله عليه في تلك البلوى ، وواجهه فيها الصبر ، بلا خلاف بين الأمة ، أو الصبر والرضى على أحد القولين ، فهو مأمور بأداء حق الله وعبوديته عليه في تلك البلوى ، فلا بد له منه وإلا تضاعفت عليه.

الخامس : شهود ترتبها عليه بذنبه، كما قال الله تعالى " وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ " ١

فهذا عام في كل مصيبة دقيقة وجلييلة، فشغله شهود هذا السبب بالاستغفار الذي هو أعظم الأسباب في دفع تلك المصيبة"

قال على بن أبي طالب: ما نزل بلاءٌ إلا بذنب، ولا رفع بلاءٌ إلا بتوبة.

السادس: أن يعلم أن الله قد ارتضاها له واختاره وقسمها وأن العبودية تقتضى رضاه بما رضى له به سيده ومولاه، فإن لم يوف قدر المقام حقه فهو لضعفه، فلينزل إلى مقام الصبر عليها، فإن نزل عنه نزل إلى مقام الظلم وتعدى الحق.

السابع: أن يعلم أن هذه المصيبة هي دواءٌ نافع ساقه إليه الطبيب العليم بمصلحته الرحيم به، فليصبر على تجربته، ولا يتقيأه بتسخطه وشكواه فيذهب نفعه باطلاً.

الثامن: أن يعلم أن في عقبي هذا الدواء من الشفاء والعافية والصحة وزوال الألم ما لم تحصل بدونه، فإذا طالعت نفسه كراهة هذا الدواء ومرارته فلينظر إلى عاقبته وحسن تأثيره. قال [الله] تعالى: { وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً



وَهُوَ شَرُّ لَكُمْ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} 'وقال الله تعالى: {فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً} ٢

وفي مثل هذا القائل:

لعلّ عتبك محمود عواقبه ... وربما صحت الأجسام بالعلل

**التاسع:** أن يعلم أن المصيبة ما جاءت لتهلكه وتقتله، وإنما جاءت لتمتحن صبره وتبتيه، فيتبين حينئذ هل يصلح لاستخدامه وجعله من أوليائه وحزبه أم لا؟ فإن ثبت اصطفاؤه واجتباؤه وخلع عليه خلع الإكرام وألبسه ملابس الفضل وجعل أوليائه وحزبه خدماً له وعوناً له، وإن انقلب على وجهه ونكص على عقبيه طرد وصفع قفاه وأقصى وتضاعفت عليه المصيبة، وهو لا يشعر في الحال بتضاعفها وزيادتها، ولكن سيعلم بعد ذلك بأن المصيبة في حقه صارت مصائب، كما يعلم الصابر أن المصيبة في حقه صارت نعماً عديدة.

وما بين هاتين المنزلتين المتباينتين إلا صبر ساعة، وتشجيع القلب في تلك الساعة، والمصيبة لا بد أن تقلع عن هذا وهذا، ولكن تقلع عن هذا بأنواع الكرامات والخيرات، وعن الآخر بالحرمان والخذلان، لأن ذلك تقدير العزيز العليم، وفضل الله يؤتية من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

**العاشر:** أن يعلم أن الله يرى عبده على السراء والضراء، والنعمة والبلاء، فيستخرج منه عبوديته في جميع الأحوال. فإن العبد على الحقيقة من قام بعبودية الله على اختلاف الأحوال، وأما عبد السراء والعافية الذي يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه، فليس من عبيده الذين اختارهم لعبوديته. فلا ريب أن الإيمان الذي يثبت على محل الابتلاء والعافية هو الإيمان النافع وقت الحاجة،

<sup>١</sup> [البقرة: ٢١٦]

<sup>٢</sup> [النساء: ١٩]



وأما إيمان العافية فلا يكاد يصحب العبد ويبلغه منازل المؤمنين، وإنما يصحبه إيمان يثبت على البلاء والعافية.

فالابتلاء كبير العبد [محل] إيمانه: فإما أن يخرج تبراً أحمر، وإما أن يخرج زغلاً [غضاً]، وإما أن يخرج فيه مادتان ذهبية ونحاسية، فلا يزال به البلاء حتى يخرج المادة النحاسية من ذهبه، ويبقى ذهباً خالصاً فلو علم العبد أن نعمة الله عليه في البلاء ليست بدون نعمة الله عليه في العافية لشغل قلبه بشكره ولسانه، اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، وكيف لا يشكر من قيض له ما يستخرج خبثه ونحاسه وصبره تبراً خالصاً يصلح لمجاورته والنظر إليه في داره؟ فهذه الأسباب ونحوها تثمر الصبر على البلاء، فإن قويت أثمرت الرضا والشكر.

فنسأل الله أن يسترنا بعافيته، ولا يفضحنا بابتلائه بمنه وكرمه.<sup>١</sup>

**المطلب الثاني : واجب المجتمع أفراداً وجماعات نحو ذوي الاحتياجات الخاصة.**

**أولاً : واجب السليم المعافي نحو ذوي الاحتياجات الخاصة.**

١- أن يشكر الله سبحانه وتعالى ويحمده على العافية، يقول تعالى " وَنَبَلُّوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ " <sup>٢</sup>

يقول أبو حامد الغزالي في الإحياء " اعلم أنه لم يقصُر بالخلق عن شكر النعمة إلا الجَهْلُ وَالْعَفْلَةُ فَإِنَّهُمْ مَنَعُوا بِالْجَهْلِ وَالْعَفْلَةِ عَن مَعْرِفَةِ النِّعَمِ وَلَا يُتَصَوَّرُ شُكْرُ النِّعْمَةِ إِلَّا بَعْدَ مَعْرِفَتِهَا ثُمَّ إِنَّهُمْ إِنْ عَرَفُوا نِعْمَةً ظَنُّوا أَنَّ الشُّكْرَ عَلَيْهَا أَنْ يَقُولَ بِلِسَانِهِ الْحَمْدُ لِلَّهِ

<sup>١</sup> ابن قيم الجوزية ، طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ٢٧٦ وما بعدها. الناشر: دار السلفية، القاهرة، مصر الطبعة: الثانية، ١٣٩٤هـ

<sup>٢</sup> الأنبياء ٣٥

الشُّكْرُ لِلَّهِ وَمَنْ يَعْرِفُوا أَنَّ مَعْنَى الشُّكْرِ أَنَّ يَسْتَعْمِلَ النِّعْمَةَ فِي إِتْمَامِ الْحِكْمَةِ الَّتِي أُرِيدَتْ بِهَا وَهِيَ طَاعَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلَا يَمْنَعُ مِنَ الشُّكْرِ بَعْدَ حُصُولِ هَاتَيْنِ الْمَعْرِفَتَيْنِ إِلَّا غَلَبَةُ الشَّهْوَةُ وَاسْتِيْلَاءُ الشَّيْطَانِ<sup>١</sup>

ثم يقول رحمه الله "ما من عبد إلا ولو أمعن النظر في أحواله رأى من الله نعمة أو نعماً كثيرة تخصه لا يشاركه فيها الناس كافة بل يشاركه عدد يسير من الناس وربما لا يشاركه فيها أحد وذلك يعترف به كل عبد في ثلاثة أمور في العقل والخلق والعلم.

أما العقل فما من عبد لله تعالى إلا وهو راض عن الله في عقله يعتقد أنه أعقل الناس وقل من يسأل الله العقل وإن من شرف العقل أن يفرح به الخالي عنه كما يفرح به المتصف به فإذا كان اعتقاده أنه أعقل الناس فواجب عليه أن يشكره لأنه إن كان كذلك فالشكر واجب عليه وإن لم يكن ولكنه يعتقد أنه كذلك فهو نعمة في حقه فمن وضع كنزاً تحت الأرض فهو يفرح به ويشكره عليه فإن أخذ الكنز من حيث لا يدري فيبقى فرحه بحسب اعتقاده ويبقى شكره لأنه في حقه كالباقى.

وأما الخلق فما من عبد إلا ويرى من غيره عيوباً يكرهها وأخلاقاً يذمها وإنما يذمها من حيث يرى نفسه بريئاً عنها فإذا لم يشتغل بدم الغير فينبغي أن يشتغل بشكر الله تعالى إذ حسن خلقه وابتلى غيره بالخلق السيئ.

وأما العلم فما من أحد إلا ويعرف بواطن أمور نفسه وخفايا أفكاره وما هو منفرد به ولو كشف الغطاء حتى اطلع عليه أحد من الخلق لاقتضح فكيف لو اطلع الناس كافة فإذا علم لكل عبد علم بأمر خاص لا يشاركه فيه أحد من عباد الله فلم لا يشكر ستر الله الجميل الذي أرسله على وجه مساويه فأظهر الجميل وستر القبيح وأخفى ذلك عن أعين الناس وخصص علمه به حتى لا يطلع عليه أحد فهذه ثلاثة من النعم خاصة يعترف بها كل عبد إما مطلقاً وأما في بعض الأمور فلتنزل عن هذه الطبقة إلى طبقة

<sup>١</sup> احياء علوم الدين ج ٤ ص ١٢٣

أخرى أعم منها قليلاً فنقول ما من عبد إلا وقد رزقه الله تعالى في صورته أو شخصه أو أخلاقه أو صفاته أو أهله أو ولده أو مسكنه أو بلده أو رفيقه أو أقرابه أو عزه أو جاهه أو في سائر محابه أموراً لو سلب ذلك منه وأعطي ما خصص به غيره لكان لا يرضى به وذلك مثل أن جعله مؤمناً لا كافراً وحيماً لا جماداً وإنساناً لا بهيمة وذكراً لا أنثى وصحيحاً لا مريضاً وسليماً لا معيباً فإن كل هذه خصائص وإن كان فيها عموم أيضاً فإن هذه الأحوال لو بدلت بأضدادها لم يرض بها بل له أمور لا يبدلها بأحوال الأدميين أيضاً وذلك إما أن يكون بحيث لا يبدله بما خص به أحد من الخلق أو لا يبدله بما خص به الأكثر فإذا كان لا يبدل حال نفسه بحال غيره فإذن حاله أحسن من حال غيره وإذا كان لا يعرف شخصاً يرضى لنفسه حالة بدلاً عن حال نفسه إما على الجملة وإما في أمر خاص فإذن لله عليه نعم ليست له على أحد من عباده سواء وإن كان يبدل حال نفسه بحال بعضهم دون البعض فليتنظر إلى عدد المغبوطين عنده فإنه لا محالة يراهم أقل بالإضافة إلى غيرهم فيكون من دونه في الحال أكثر بكثير مما هو فوقه فما باله ينظر إلى من فوقه ليزدري نعم الله تعالى على نفسه ولا ينظر إلى من دونه ليستعظم نعم الله عليه وما باله لا يسوي ديناه بدينه أليس إذا لامته نفسه على سيئة يقارفها يعتذر إليها بأن في الفساق كثرة فينظر أبداً في الدين إلى من دونه لا إلى من فوقه فلم لا يكون نظره في الدنيا كذلك فإذا كان حال أكثر الخلق في الدين خيراً منه وحاله في الدنيا خير من حال أكثر الخلق فكيف لا يلزمه الشكر وإذا قال ﷺ من نظر في الدنيا إلى من هو دونه ونظر في الدين إلى من هو فوقه كتبه الله صابراً وشاكراً ومن نظر في الدنيا إلى من هو فوقه وفي الدين إلى من هو دونه لم يكتبه الله صابراً ولا شاكراً<sup>1</sup>

<sup>1</sup> المصدر السابق نفسه

وقد عبر ﷺ عن هذا المعنى فقال مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَاقٍ فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوْتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا<sup>١</sup> ومهما تأملت الناس كلهم وجدتهم يشكون ويتألمون من أمور وراء هذه الثلاث مع أنها وبال عليهم ولا يشكرون نعمة الله في هذه الثلاث ولا يشكرون نعمة الله عليهم في الإيمان الذي به ووصولهم إلى النعيم المقيم والملك العظيم بل البصير ينبغي أن لا يفرح إلا بالمعرفة واليقين والإيمان<sup>٢</sup>

**٢- أن يدعو للمبتلى إذا كان من أهل الدين والتقوى أن يأجره الله ويثيبه ويعافيه وأن يعوضه خيراً مما أخذ منه.**

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضي الله عنه - قَالَ: (" أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - عَادَ رَجُلًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ، قَدْ حَفَّتْ فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: ) (أَمَا كُنْتَ تَدْعُو؟ ، أَمَا كُنْتَ تَسْأَلُ رَبِّكَ الْعَافِيَةَ؟" ، قَالَ: كُنْتُ أَقُولُ: اللَّهُمَّ مَا كُنْتُ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الْآخِرَةِ ، فَعَجَّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا) (فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: " سُبْحَانَ اللَّهِ) (لَا طَاقَةَ لَكَ بِعَذَابِ اللَّهِ) (أَفَلَا قُلْتَ: اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ؟" ، قَالَ: فَدَعَا اللَّهُ لَهُ فَشَفَاهُ<sup>٣</sup>

**٣- العطف على المبتلى، والظن أنه قد يكون عند الله خيراً من غيره ممن عافاه الله.**

وذلك بحثه على حسن الظن بالله عن أنس بن مالك ﷺ قَالَ: (دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى شَابٍ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ)، فَقَالَ: ("كَيْفَ بَجْدُكَ؟") قَالَ: (وَاللَّهِ؛ يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي أَرْجُو اللَّهَ، وَإِنِّي أَخَافُ دُنُوبِي)، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ("لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو، وَأَمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ")<sup>٤</sup>

<sup>١</sup> سنن الترمذي ج ٤ ص ٥٧٤ تحقيق أحمد شاكر

<sup>٢</sup> الإحياء ج ٤ ص ١٢٦

<sup>٣</sup> الجامع الصحيح ج ١٧ ص ٤٥٤

<sup>٤</sup> الترمذي ج ٣ ص ٣٠٢ ح رقم ٩٨٣ ت شاكر

قال النووي رحمه الله: هَذَا تَحْذِيرٌ مِنْ -الْيَأْسِ وَ- الْفُئُوطِ، وَحَثٌّ عَلَى -حُسْنِ- الرَّجَاءِ عِنْدَ الْحَاتِمَةِ، وَفِي الْحَدِيثِ الْقَدْسِيِّ -: ("أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِ بِي")، قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَعْنَى (حُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى)؛ أَنْ يَظُنَّ أَنَّهُ يَرْحَمُهُ وَيَعْفُو عَنْهُ، -ويغفر له ذنوبه-، قَالُوا: وَفِي حَالَةِ الصِّحَّةِ يَكُونُ حَائِقًا رَاجِيًا، وَيَكُونُ الْخَوْفُ أَرْجَحَ، فَإِذَا دَنَتْ أَمَارَاتُ الْمَوْتِ، غَلَبَ الرَّجَاءُ، أَوْ مَحْضُهُ؛ لِأَنَّ مَقْصُودَ الْخَوْفِ الْإِنْكَفَافَ عَنِ الْمَعَاصِي وَالْقَبَائِحِ، وَالْحِرْصَ عَلَى الْإِكْتِنَارِ مِنَ الطَّاعَاتِ وَالْأَعْمَالِ، وَقَدْ تَعَدَّرَ ذَلِكَ أَوْ مُعْظَمُهُ فِي هَذَا الْحَالِ؛ -حال النزاع والموت-، فَاسْتَحَبَّ إِحْسَانُ الظَّنِّ الْمُتَضَمِّنِ لِلِإِفْتِقَارِ إِلَى اللَّهِ - سبحانه و- تَعَالَى، وَالْإِدْعَانَ لَهُ، وَوَيْؤِيدُهُ حَدِيثٌ: "يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ" ولهذا عقبه مسلم للحديث الأول قال العلماء معناه يبعث على الحالة التي مات عليها ومثله الحديث الآخر بعده ثم بعثوا على نياتهم<sup>١</sup>

#### ٤- الاحسان إلى المبتلى ، والمساعدة إلى نفعه وإعانتة .

إن مساعدة المحتاج من أعظم أبواب الخير ، كما جاء في حديث النبي ﷺ " عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سألت النبي ﷺ أي العمل أفضل؟ قال: «إيمان بالله، وجهاد في سبيله»، قلت: فأبي الرقاب أفضل؟ قال: «أعلاها ثمنا، وأنفسها عند أهلها»، قلت: فإن لم أفعل؟ قال: «تعين صانعا، أو تصنع لأخرق»، قال: فإن لم أفعل؟ قال: «تدع الناس من الشر، فإنها صدقة تصدق بها على نفسك»<sup>٢</sup> قال الإمام النووي في شرحه لهذا الحديث " قوله ﷺ تعين صانعا أو تصنع لأخرق الأخرق هو الذي ليس بصانع يقال رجل أخرق وامرأة خرقاء لمن لا صنعة له"<sup>٣</sup>

#### ٥- يجب على من عافاه الله - سبحانه وتعالى - من البلاء الذي ابتلي به غيره

ألا ينتقص المبتلى ولا يهزأ به ، ولا يغتابه ، فسب المبتلى بالعمى أو الصم أو العرج

<sup>١</sup> شرح النووي ج ١٧ ص ٢١٠

<sup>٢</sup> البخاري ج ٣ ص ١٤٤ ح رقم ٢٥١٨ ورواه مسلم ج ١ ص ٨٩ رقم ٨٣

<sup>٣</sup> شرح النووي على مسلم ج ٢ ص ٧٥

، أو نقص العقل ونحو ذلك كبيرة من الكبائر ، وذكر المبتلى بشيء من ذلك وهو غائب غيبه منهبي عنها ، وقد نهى الإسلام عن ذلك نهياً قاطعاً فقال تعالى " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الإِسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ" <sup>١</sup>

يقول القاسمي في تفسير هذه الآية " يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ " أي لا يهزأ رجال من رجال، فيروا أنفسهم خيراً من المسخور منهم "عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساءً من نساءٍ عسى أن يكنَّ خيراً منهنَّ" أي الساخرات.

قال أبو السعود: فإن مناط الخيرية في الفريقين، ليس ما يظهر للناس من الصور والأشكال ولا الأوضاع والأطوار التي عليها يدور أمر السخرية غالباً، بل إنما هو الأمور الكامنة في القلوب، فلا يجترئ أحد على استحقار أحد، فلعله أجمع منه، لما نيظ به من الخيرية عند الله تعالى، فيظلم نفسه بتحقيق من وقره الله تعالى، والاستهانة بمن عظمه الله تعالى.

قال الطبري: والصواب أن يقال إن الله عمّ، بنهيه المؤمنين من أن يسخر بعضهم من بعض، جميع معاني السخرية. فلا يحل لمؤمن أن يسخر من مؤمن، لا لفقره، ولا لذنب ركب، ولا لغير ذلك. <sup>٢</sup>

ويقول الإمام الغزالي في " الآفة الحادية عشر - من آفات اللسان - السخرية والاستهزاء.

" وهذا محرم مهما كان مؤذياً كما قال تعالى " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ " وَمَعْنَى

<sup>١</sup> الحجرات ١١

<sup>٢</sup> تفسير القاسمي ج ٨ ص ٥٣٠



السُّخْرِيَّةُ الإِسْتِهَانَةُ وَالتَّحْقِيرُ وَالتَّنْبِيهُ عَلَى الْعُيُوبِ وَالنَّقَائِصِ عَلَى وَجْهِ يُضْحِكُ مِنْهُ وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ بِالْمَحَاكَاةِ فِي الْفِعْلِ وَالْقَوْلِ وَقَدْ يَكُونُ بِالْإِشَارَةِ وَالْإِيْمَاءِ وَإِذَا كَانَ بِمَحْضَرَةِ الْمُسْتَهْزَأِ بِهِ لَمْ يَسْمَعْ ذَلِكَ غَيْبَةً، وَفِيهِ مَعْنَى الْغَيْبَةِ، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حَاكَيْتُ إِنْسَانًا فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ وَاللَّهُ مَا أَحَبُّ أَنْي حَاكَيْتُ إِنْسَانًا وَلِي كَذَا وَكَذَا وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى " يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا " إِنَّ الصَّغِيرَةَ التَّبَسُّمَ بِالِاسْتِهْزَاءِ بِالْمُؤْمِنِ وَالْكَبِيرَةَ الْقَهْقَهةَ بِذَلِكَ وَهَذَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الضَّحْكَ عَلَى النَّاسِ مِنْ جَمَلَةِ الذُّنُوبِ وَالْكَبَائِرِ ... وَذَلِكَ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّحْقِيرِ وَالتَّهَاؤُنِ، وَذَلِكَ تَارَةً بِأَنْ يُضْحِكَ عَلَى كَلَامِهِ إِذَا تَحَبَّطَ فِيهِ وَمَنْ يَنْتَظِمُ أَوْ عَلَى أَعْمَالِهِ إِذَا كُنْتَ مَشْوَشَةً كَالضَّحْكَ عَلَى خَطئه وَعَلَى صِنْعَتِهِ أَوْ عَلَى صُورَتِهِ وَخَلْقَتِهِ إِذَا كَانَ قَصِيرًا أَوْ نَاقِصًا لَعِيبٍ مِنَ الْعُيُوبِ فَالضَّحْكَ مِنْ جَمِيعِ ذَلِكَ دَاخِلٌ فِي السُّخْرِيَّةِ الْمَنْهِي عَنْهَا<sup>١</sup>

### ٦- رُؤْيَا الْمَعَافِي لِلْمَصَابِ يَكْسِبُهُ كَثِيرًا مِنَ الْفَضَائِلِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْآخِرَوِيَّةِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " مَنْ رَأَى مَبْتَلَى فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا ، لَمْ يَصِبْ ذَلِكَ الْبَلَاءُ "<sup>٢</sup>

قَالَ الْمُبَارَكْفُورِيُّ فِي تَحْفَةِ الْأَحْوَذِيِّ : قَوْلُهُ " مَنْ رَأَى صَاحِبَ بَلَاءٍ " أَي مَبْتَلَى فِي أَمْرِ بَدَنِي كَبْرَصٍ وَقَصْرِ فَاخِشٍ أَوْ طُولِ مَفْرَطٍ أَوْ عَمَى أَوْ عَرَجٍ أَوْ اعْوَجَاجٍ يَدٍ وَنَحْوِهَا أَوْ دِينِي بِنَحْوِ فَسْقٍ وَظُلْمٍ وَبِدْعَةٍ وَكُفْرٍ وَغَيْرِهَا، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ " فَإِنَّ الْعَافِيَةَ أَوْسَعُ مِنَ الْبَلِيَّةِ لِأَنَّهَا مِظَنَّةُ الْجَزَعِ وَالْفِتْنَةِ وَحِينَئِذٍ تَكُونُ مِحْنَةً أَي مِحْنَةً وَالْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ كَمَا وَرَدَ وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا أَي فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَالْقَلْبِ وَالْقَالِبِ إِلَّا عَوْفِي مِنْ ذَلِكَ الْبَلَاءِ أَي لَمْ يَرِ أَحَدٌ

<sup>١</sup> إحياء علوم الدين ج ٣ ص ١٣١ وما بعدها بتصرف

<sup>٢</sup> سنن الترمذي أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ باب ما يقول إذا رأى مبتلى ج ٥ ص ٤٩٣ ح رقم ٣٤٣٢ حكم الألباني صحيح.



صاحب بلاء فقال الحمد لله الذي عافاني إلخ إلا عوفي من ذلك البلاء أو إلا زائدة كما في قول الشاعر

حراجيج<sup>١</sup> أما تنفك إلا مناخة ..... على الخسف أو ترمي بها بلدا قفرا

"كائنا ما كان" أي حال كون ذلك البلاء أي بلاء كان ما عاش أي مدة بقائه في الدنيا قوله (وفي الباب عن أبي هريرة) أخرجه الترمذي بعد هذا قوله (يقول ذلك في نفسه ولا يسمع صاحب البلاء) قال الطيبي في شرح قوله الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به

هذا إذا كان مبتلى بالمعاصي والفسوق وأما إذا كان مريضاً أو ناقص الحلقة لا يحسن الخطاب.

قال القاريء: الصواب أنه يأتي به لورود الحديث بذلك وإنما يعدل عن رفع الصوت إلى إخفائه في غير الفاسق بل في حقه أيضا إذا كان يترتب عليه مفسدة ويسمع صاحب البلاء الديني إذا أراد زجره ويرجو انزجاره<sup>٢</sup>

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخلق، فليُنظر إلى من هو أسفل منه<sup>٣</sup>

قال الصنعاني في سبل السلام "الحديث إرشادٌ للعبد إلى ما يشكرُ به النعمة، والمُرَادُ بِمَنْ هُوَ أَسْفَلُ مِنَ النَّاطِرِ فِي الدُّنْيَا فَيَنْظُرُ إِلَى الْمُبْتَلَى بِالْأَسْقَامِ وَيَنْتَقِلُ مِنْهُ إِلَى مَا فَضَّلَ بِهِ عَلَيْهِ مِنَ الْعَافِيَةِ الَّتِي هِيَ أَصْلُ كُلِّ إِنْعَامٍ، وَيَنْظُرُ إِلَى مَنْ فِي حَلْقِهِ نَقْصٌ مِنْ عَمَى أَوْ صَمَمٍ أَوْ بَكْمٍ وَيَنْتَقِلُ إِلَى مَا هُوَ فِيهِ مِنَ السَّلَامَةِ عَنْ تِلْكَ الْعَاهَاتِ الَّتِي

<sup>١</sup> الحَرَاجِيحُ: جَمْعُ حُرْجُوجٍ، النَّاقَةُ الطَّوِيلَةُ أَوْ الضَّامِرَةُ - تاج العروس ج ٢ ص ٣٥٧

<sup>٢</sup> أبو العلام محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم المبارك فوري ت ١٣٥٣ هـ تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي ج ٩ ص ٢٧٦. بيروت - دار الكتب العلمية.

<sup>٣</sup> صحيح البخاري كتاب الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب الصلاة على من ترك ديناً، ج ٣ ص ١١٨ ح رقم ٢٣٩٨.

تَجَلِبُ اللَّهُمَّ وَالنَّعَمَ، وَيَنْظُرُ إِلَى مَا أُبْتُلِي بِالدُّنْيَا وَجَمْعِهَا وَالْإِمْتِنَاعَ عَمَّا يَجِبُ عَلَيْهِ فِيهَا مِنْ الْحُقُوقِ وَيَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ فَضِّلَ بِالْإِقْلَالِ وَأُنْعِمَ عَلَيْهِ بِقَلَّةِ تَبَعَةِ الْأَمْوَالِ فِي الْحَالِ وَالْمَالِ، وَيَنْظُرُ إِلَى مَنْ أُبْتُلِي بِالْفَقْرِ الْمُدْقِعِ أَوْ بِالدَّيْنِ الْمُفْطَعِ وَيَعْلَمُ مَا صَارَ إِلَيْهِ مِنَ السَّلَامَةِ مِنَ الْأَمْرَيْنِ وَتَقَرَّرَ بِمَا أَعْطَاهُ رَبُّهُ الْعَيْنُ، وَمَا مِنْ مُبْتَلَى فِي الدُّنْيَا بِخَيْرٍ أَوْ شَرٍّ إِلَّا وَجِدُ مَنْ هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ بَلِيَّةً فَيَتَسَلَّى بِهِ وَيَشْكُرُ مَا هُوَ فِيهِ مِمَّا يَرَى غَيْرَهُ أُبْتُلِي بِهِ، وَيَنْظُرُ مَنْ هُوَ فَوْقَهُ فِي الدِّينِ فَيَعْلَمُ أَنَّهُ مِنَ الْمُفْرَطِينَ فَيَالْتَنَظِرُ الْأَوَّلَ يَشْكُرُ مَا لِلَّهِ مِنَ النِّعَمِ وَيَالْتَنَظِرُ الثَّانِيَّ يَسْتَحْيِي مِنْ مَوْلَاهُ وَيَقْرَعُ بَابَ الْمَتَابِ بِأَنَامِلِ النَّدَمِ فَهُوَ بِالْأَوَّلِ مَسْرُورٌ لِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفِي الثَّانِي مُنْكَسِرٌ النَّفْسِ حَيَاءً مِنْ مَوْلَاهُ<sup>١</sup>

وبذلك يكون أمر المؤمن خيراً في كل أحواله ، كما جاء في حديث صهيب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ " عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر ، فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له"<sup>٢</sup>

"عَجَبًا " أَيْ: عَجِبْتُ عَجَبًا ( " لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ " ) أَيْ: لِشَأْنِهِ وَمَا لَهُ فِي كُلِّ حَالِهِ ( " إِنْ أَمْرُهُ كُلُّهُ " ) : بِالنَّصْبِ وَيَجُوزُ رَفْعُهُ كَمَا فُرِيَ بِالْوَجْهَيْنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: { قُلْ إِنْ أَمْرٌ كُلُّهُ لِلَّهِ } أَيْ: جَمِيعُ أُمُورِهِ. ( لَهُ خَيْرٌ ) أَيْ: خَيْرٌ لَهُ فِي الْمَالِ وَإِنْ كَانَ بَعْضُهُ شَرًّا صُورِيًّا فِي الْحَالِ، وَقَدَّمَ الظَّرْفَ اهْتِمَامًا ( " وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ " ) : قَالَ الطَّبِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : مُظَهَّرٌ وَقَعَ مَوْقِعَ الْمُضْمَرِ لِشِعْرٍ بِالْعَلِيَّةِ، انْتَهَى.

وفيه أنَّ الإِظْهَارَ وَالِإِضْمَارَ مُسْتَوِيَانِ فِي الإِشْعَارِ بِالْعَلِيَّةِ، وَلَعَلَّ النُّكْتَةَ هِيَ إِظْهَارُ الإِشْعَارِ عَلَى وَجْهِ التَّصْرِيحِ، فَإِنَّهُ أَكَّدَ مِنْ طَرِيقِ التَّلْوِيحِ، ثُمَّ بَيَّنَّهُ عَلَى وَجْهِ التَّوَضِيحِ

<sup>١</sup> محمد بن إسماعيل الصنعاني ت ١١٨٢ هـ سبل السلام ج ٢ ص ٦١٤ دار الحديث للنشر والتوزيع.

<sup>٢</sup> مسلم كتاب الزهد والرفائق ، باب المؤمن أمره كله خير ج ٤ ص ٢٢٩٥ ح رقم ٢٩٩٩

<sup>٣</sup> [آل عمران: ١٥٤]

بِقَوْلِهِ: (" إِنَّ أَصَابَتُهُ سَرَاءٌ ") أَي: نَعَمَاءُ وَسَعَةٌ عَيْشٍ وَرَخَاءٌ وَتَوْفِيقٌ طَاعَةً مِنْ أَدَاءٍ وَقَضَاءٍ

" شَكَرَ فَكَانَ " أَي: شُكْرُهُ (خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتُهُ ضَرَاءٌ) : أَي: فَقْرٌ وَمَرَضٌ وَمِحْنَةٌ وَبَلِيَّةٌ (صَبَرَ فَكَانَ) أَي: صَبْرُهُ (" خَيْرًا لَهُ ") : وَهَذَا تَبَيَّنَ قَوْلُ بَعْضِ الْعَارِفِينَ أَنَّهُ لَا يُقَالُ عَلَى الْإِطْلَاقِ: أَنَّ الْفَقِيرَ الصَّابِرَ أَفْضَلُ مِنَ الْعَبِيِّ الشَّاكِرِ، بَلْ حَالَةُ التَّقْوِيضِ وَالتَّسْلِيمِ أَوْلَى، وَالْقِيَامُ بِمَقْتَضَى الْوَقْتِ أَعْلَى بِحَسَبِ اخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ وَتَفَاوُتِ الرِّجَالِ. قَالَ تَعَالَى جَلَّ جَلَالُهُ: { وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ }<sup>١</sup> وَقَالَ تَعَالَى: { إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا }<sup>٢</sup>

### ثانياً : واجب الأمة نحو ذوي الاحتياجات الخاصة .

#### ١- وجوب مواساته وتذكيره بالصبر .

عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله ﷺ مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى<sup>٣</sup>

فهذا الحديث صريح " في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاقد في غير إثم ولا مكروه"<sup>٤</sup>

وقد مر معنا حديث المرأة التي كانت تصرع وقد أوصاها رسول الله ﷺ بالصبر ولها الجنة فرضيت بذلك ، بينما ورد أن هناك من يتطلع إلى العافية ولم ينكر عليه النبي ﷺ ذلك بل استجاب لمطلبه وساعده ﷺ على ذلك .

<sup>١</sup> [البقرة: ٢١٦]

<sup>٢</sup> [الإسراء: ٣٠] راجع مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ج ٨ ص ٣٣١٧

<sup>٣</sup> صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاقدهم ج

<sup>٤</sup> ص ١٩٩٩ ح رقم ٢٥٨٦ .

<sup>٤</sup> السابق نفسه

فمن عثمان بن حنيف - رضي الله عنه - أن رجلاً ضير البصر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ادع الله أن يعافيني قال: إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت فهو خير لك، قال فادعه قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه، ويدعو بهذا الدعاء، اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي، اللهم فشفعه في<sup>١</sup>

قال صاحب مرقة المفاتيح " (قَالَ: إِنَّ رَجُلًا ضَرِيرَ الْبَصَرِ) : أَي: ضَعِيفَ النَّظَرِ، أَوْ أَعْمَى ( «أَتَى النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَنِي» ) : أَي: مِنْ ضَرَرِي فِي نَظْرِي فَقَالَ: (إِنْ شِئْتَ) : أَي: احْتَرْتَ الدُّعَاءَ (دَعَوْتُ) : أَي: لَكَ (وَإِنْ شِئْتَ) : أَي: أَرَدْتَ الصَّبْرَ وَالرِّضَا (صَبَرْتَ فَهُوَ) : أَي: الصَّبْرُ (خَيْرٌ لَكَ) : فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: «إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ ثُمَّ صَبَرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ» ، وَقَوْلُ ابْنِ حَجَرٍ: وَلَوْ مِنْ عَيْنٍ وَاحِدَةٍ فِيهِ نَظْرٌ لِمَخَالَفَتِهِ نَصَّ الْحَدِيثِ، وَلِعَدَمِ الضَّرُورَةِ الْكَامِلَةِ فِي فَقْدِ إِحْدَاهُمَا لِحُصُولِ أَصْلِ الْمَقْصُودِ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُمَا، (قَالَ) : أَي: الرَّجُلُ (فَادَعُهُ) بِالضَّمِيرِ: أَي: ادْعُ اللَّهَ أَوْ اسْأَلِ الْعَافِيَةَ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ الْهَاءُ لِلسَّكْتِ.

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: وَإِنَّمَا اخْتَارَ الدُّعَاءَ لِأَنَّهُ أَيْسَرُ الْأَمْرَيْنِ مَعَ إِمْكَانِ حُصُولِ الْآخَرِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ مَا يَدُلُّ عَلَى مَنَعِ الْجَمْعِ، بَلْ فِيهِ مَا يُشْعِرُ بِأَنَّ هُنَاكَ مَا يَدُلُّ عَلَى مَنَعِ الْخُلُوفِ فِيهِ أَنَّ مَنْ خُيِّرَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ فَاخْتَارَ الْمَفْضُولَ مِنْهُمَا لَا حَرَجَ عَلَيْهِ، عَلَى أَنْ يَحْتَمِلَ أَنَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ ظَنَّ أَنَّ فِي عَوْدِ بَصَرِهِ إِلَيْهِ مَصَالِحَ دِينِيَّةٍ يُفُوقُ ثَوَابَهَا ثَوَابَ الصَّبْرِ.

قُلْتُ: عَلَى هَذِهِ لِلضَّرَرِ، لِأَنَّهُ كَيْفَ يَظُنُّ ذَلِكَ مَعَ قَوْلِهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ إِشَارَةً إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ} <sup>٢</sup> وَيُؤَيِّدُ مَا قُلْنَا مَا ذَكَرَهُ الطَّبِيبِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - حَيْثُ قَالَ: أَسْنَدَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - الدُّعَاءَ إِلَى نَفْسِهِ، وَكَذَا طَلَبَ الرَّجُلُ أَنْ يَدْعُوَهُ - صلى الله عليه وسلم - ثُمَّ أَمَرَهُ - صلى الله عليه وسلم - أَنْ يَدْعُوَهُ هُوَ، أَيِ الرَّجُلِ كَأَنَّهُ

<sup>١</sup> سنن الترمذي أبواب الدعوات ج ٥ ص ٥٦٩ ح رقم ٣٥٧٨ حكم الألباني صحيح.

<sup>٢</sup> [البقرة: ٢١٦]

ﷺ - لم يَرْضَ مِنْهُ اخْتِيَارُهُ الدُّعَاءَ لَمَّا قَالَ: الصَّبْرُ خَيْرٌ لَكَ، لَكِنْ فِي جَعْلِهِ شَفِيعًا لَهُ وَوَسِيلَةً فِي اسْتِجَابَةِ الدُّعَاءِ مَا يُفْهَمُ أَنَّهُ - ﷺ - شَرِيكَ فِيهِ.

(فَأَمَرَهُ) : وَفِي نُسْخَةٍ صَحِيحَةٍ قَالَ: أَيُّ عُنْمَانُ فَأَمَرَهُ (أَنْ يَتَوَضَّأَ فَيُحْسِنَ الوُضُوءَ) : أَيُّ: يَأْتِي بِكَمَالَاتِهِ مِنْ سُنَنِهِ وَأَدَابِهِ، وَأَعْرَبَ ابْنُ حَجْرٍ فَقَالَ: أَيُّ يَأْتِي بِوَاجِبَاتِهِ أَوْ وَمُكَمَّلَاتِهِ، لِأَنَّهُ لَوْ أَرَادَ الْمَعْنَى الْأَوَّلَ لَقَالَ فَيَتَوَضَّأُ، فَلَا بُدَّ فِي قَوْلِهِ فَيُحْسِنَ الوُضُوءَ مِنْ تَحْصِيلِ الْمُكَمَّلَاتِ لِيَكُونَ فِي الزِّيَادَةِ إِفَادَةٌ حَسَنَةً، أَيُّ: وَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ كَمَا فِي رِوَايَةٍ. [وَيَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ) : أَيُّ: أَطْلُبُكَ مَقْصُودِي فَالْمَفْعُولُ مُقَدَّرٌ أَيُّ: أَدْعُوكَ فَيَكُونُ الْأَطْفَ سُؤَالٍ إِلَى أَشْرَفِ نَوَالٍ (وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ) : الْبَاءُ لِلتَّعْدِيَةِ (مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ) : أَيُّ: دَافِعَ الرَّحْمَةِ وَكَاشِفَ الْعُمَّةِ، وَشَفِيعَ الْأُمَّةِ الْمَنْعُوتِ بِكَوْنِهِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، الْمُرْسَلِ إِلَى أُمَّةٍ مَرْحُومَةٍ مِنْ عِنْدِ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ، وَمَا أَحْسَنَ مَوْجِعَ الرَّحْمَةِ فِي مَوْضِعِ كَشْفِ الْعُمَّةِ وَمَوْجِعِ الشَّفَاعَةِ لِلْأُمَّةِ.

(إِنِّي تَوَجَّهْتُ) : وَفِي نُسْخَةٍ: أَتَوَجَّهْتُ (بِكَ) : وَالْبَاءُ لِلِاسْتِعَانَةِ كَذَا ذَكَرَهُ الطَّبِيُّ، وَفَرَّقَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْبَاءِ الْأَوَّلَى حَيْثُ جَعَلَهَا لِلتَّعْدِيَةِ مَعَ أَنَّ الْفِعْلَ وَاحِدٌ، وَلَعَلَّ وَجْهَهُ أَنَّ الْمُنْوَجَّهَ بِهِ فِي الْأَوَّلِ هُوَ النَّبِيُّ - ﷺ ، فَيَتَعَيَّنُ مَعْنَى التَّعْدِيَةِ، وَفِي الثَّانِي هُوَ اللَّهُ تَعَالَى وَهُوَ الْمُسْتَعَانُ، كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ حَصْرُ "إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ"، فَلَا يَجُوزُ اسْتِعْمَالُ الْإِسْتِعَانَةِ فِي غَيْرِهِ حَقِيقَةً، وَإِنْ كَانَ قَدْ يُسْتَعْمَلُ مَجَازًا، وَلَمَّا خَفِيَ هَذَا الْفَرْقُ الْجُلِّيُّ عَلَى ابْنِ حَجْرٍ اعْتَرَضَ عَلَى الطَّبِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ، وَأَشَارَ أَنَّهَا لِلتَّعْدِيَةِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ، وَالْحِطَابُ لِلنَّبِيِّ - ﷺ - عَلَى طَرِيقِ الْإِلْتِفَاتِ. قَالَ ابْنُ حَجْرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: وَفِي رِوَايَةٍ يَا مُحَمَّدُ - ﷺ -

(إِنِّي تَوَجَّهْتُ إِلَى رَبِّي لِيَقْضِيَ) : بِالْعَيْنَةِ أَيُّ رَبِّي، وَقِيلَ بِالْحِطَابِ أَيُّ: لِيَتَوَقَّعَ الْقَضَاءَ (لِي فِي حَاجَتِي هَذِهِ) : وَجَعَلَهَا مَكَانًا لَهُ عَلَى طَرِيقَةِ قَوْلِهِ: وَأَصْلِحْ لِي فِي دُرَّتِي "وَيَجْرُحُ فِي عَرَاقِبِهَا نَصْلِي وَ (لِي) لِلْإِجْمَالِ حَتَّى يَفْصَلَ لِيَكُونَ أَوْقَعَ عَلَى طَرِيقَةٍ: " اشْرَحْ لِي صَدْرِي"، كَذَا حَقَّقَهُ الطَّبِيُّ، وَكَانَ ابْنُ حَجْرٍ مَا فَهَمَ كَلَامَهُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ. وَقَالَ: الْأَلَامُ

لِلْإِحْتِصَاصِ، وَفِي الْمَكَانِ الْمَجَازِيِّ مُبَالَغَةً وَكَلَامُهُ غَيْرُ صَحِيحٍ، أَمَّا الْأَوَّلُ فَلِأَنَّهُ لَا مَعْنَى لِلْإِحْتِصَاصِ، إِذْ يَلْزَمُ مِنْهُ تَضْيِيقُ الْوَاسِعِ كَمَا وَرَدَ أَنَّهُ قَالَ أَعْرَابِيٌّ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَمُحَمَّدًا وَلَا تَغْفِرْ مَعَنَا أَحَدًا، فَقَالَ: (لَقَدْ تَحَجَّرَتْ وَاسِعًا) أَي: ضَيِّقَتْ مَا وَسَعَهُ اللَّهُ فَحَصَصَتْ بِهِ نَفْسَكَ دُونَ غَيْرِكَ.

وَأَمَّا الثَّانِي فَمَحَلُّ الْإِشْكَالِ فِيهِ أَنَّ الْقَضَاءَ مُتَعَدِّ بِنَفْسِهِ، فَمَا الْحِكْمَةُ فِي زِيَادَةِ فِي؟ فَأَجَابُوا فِيهِ وَأَمْتَالِهِ: أَنَّ التَّعْدِيَةَ بِفِي إِنَّمَا هُوَ لِتَضْمِينِ مَعْنَى الْإِبْقَاعِ الَّذِي لَا يَتَعَدَّى إِلَّا بِفِي، وَلَا يُتَصَوَّرُ الْقَضَاءُ فِي مَكَانٍ حَقِيقِيٍّ حَتَّى يُقَالَ هُنَا لِلْمَكَانِ الْمَجَازِيِّ، وَعَلَى تَقْدِيرِ كَوْنِهِ لِلْمَجَازِيِّ كَمَا فِي قَوْلِكَ: نَظَرْتُ فِي الْكِتَابِ فَأَيُّ مُبَالَغَةٍ فِيهِ، فَتَأَمَّلْ فِيهِ تَنْبِيهَ نَبِيَّةٍ.

وَفِي أَصْلِ الْحِصْنِ: وَأَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ لِيَقْضِيَ لِي عَلَى بِنَاءِ الْمَجْهُولِ، (اللَّهُمَّ): التَّفَاتُ ثَانٍ (فَشَفِّعُهُ): بِتَشْدِيدِ الْفَاءِ أَي: اقْبَلْ شَفَاعَتِي (فِي): أَي: فِي حَقِّي. قَالَ الطَّبْرِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - الْفَاءُ عَطْفٌ عَلَى قَوْلِهِ: أَتَوَجَّهُ أَي: اجْعَلْهُ شَفِيعًا لِي " فَشَفِّعُهُ " وَقَوْلُهُ: (اللَّهُمَّ): مُعْتَرِضَةٌ، وَقَوْلُهُ: إِيَّيْ تَوَجَّهْتُ بِكَ بَعْدَ قَوْلِهِ: إِيَّيْ أَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ فِيهِ مَعْنَى قَوْلِهِ: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} ١ سَأَلَ اللَّهُ أَوَّلًا بِطَرِيقِ الْخِطَابِ، ثُمَّ تَوَسَّلَ بِالنَّبِيِّ - ﷺ - عَلَى طَرِيقَةِ الْخِطَابِ ثَانِيًا، ثُمَّ ذَكَرَ إِلَى خِطَابِ اللَّهِ طَائِلًا مِنْهُ أَنْ يَقْبَلَ شَفَاعَةَ النَّبِيِّ - ﷺ - فِي حَقِّهِ. ٢

### ٢- عدم تكليف ذوي الاحتياجات الخاصة فوق طاقتهم واستطاعتهم.

عن المعرور بن سويد، قال: لقيت أبا ذر بالريذة، وعليه حلة، وعلي غلامه حلة، فسألته عن ذلك، فقال: إني ساببت رجلاً فغيرته بأمه، فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم: «يا أبا ذر أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم، جعلهم الله

١ [البقرة: ٢٥٥]

٢ انظر القاري مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ج ٥ ص ١٧٣٠ - ١٧٣١.



تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم»<sup>١</sup>

قال الإمام النووي في شرح هذا الحديث قوله ﷺ (هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم فأطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم) الضمير في هم إخوانكم يعود إلى المماليك والأمر بإطعامهم مما يأكل السيد وإلباسهم مما يلبس محمول على الاستحباب لا على الإيجاب وهذا بإجماع المسلمين وأما فعل أبي ذر في كسوة غلامه مثل كسوته فعمل بالمستحب وإنما يجب على السيد نفقة المملوك وكسوته بالمعروف بحسب البلدان والأشخاص سواء كان من جنس نفقة السيد ولباسه أو دونه أو فوقه حتى لو قتر السيد على نفسه تقتيرا خارجا عن عادة أمثاله إما زهدا وإما شحا لا يحل له التقتير على المملوك والزامه وموافقته إلا برضاه وأجمع العلماء على أنه لا يجوز أن يكلفه من العمل مالا يطيقه فإن كان ذلك لزمه إعانته بنفسه أو بغيره قوله (فإن كلفه ما يغلبه فليبعه) وفي رواية فليعنه عليه وهذه الثانية هي الصواب الموافقة لباقي الروايات<sup>٢</sup>

وهذا الحديث وإن كان في حق المماليك إلا أن ذوي الاحتياجات الخاصة يدخلون فيه من باب أولى حيث أن المملوك سليم الحواس متمتع بالصحة والعافية ومع ذلك نهي عن تكليفه ما لا يطيق من الأعمال ، فأولى بذلك لذوي الاحتياجات الخاصة حيث لديهم من العاهات والإعاقات ما يعجزون معها عن الإتيان ببعض الأعمال ، ومن ثم فلا ينبغي أن يكلفوا بها .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال رسول الله ﷺ إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم<sup>٣</sup> قال ابن رجب " وفي قوله عليه السلام " إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم "

<sup>١</sup> البخاري ج ١ ص ١٥ ح رقم ٣٠

<sup>٢</sup> شرح النووي على مسلم ج ١١ ص ١٣٢

<sup>٣</sup> مسلم كتاب الحج باب فرض الحج مرة في العمر ج ٢ ص ٩٧٥ ح رقم ١٣٣٧.



دليلٌ عَلَى أَنَّ مَنْ عَجَزَ عَنِ فِعْلِ الْمَأْمُورِ بِهِ كُفْلِهِ، وَقَدَرَ عَلَى بَعْضِهِ، فَإِنَّهُ يَأْتِي بِمَا أَمَكَّنَهُ مِنْهُ، وَهَذَا مُطَرِّدٌ فِي مَسَائِلٍ: مِنْهَا الطَّهَارَةُ، فَإِذَا قَدَرَ عَلَى بَعْضِهَا، وَعَجَزَ عَنِ الْبَاقِي: إِمَّا لِعَدَمِ الْمَاءِ، أَوْ لِمَرَضٍ فِي بَعْضِ أَعْضَائِهِ دُونَ بَعْضٍ، فَإِنَّهُ يَأْتِي مِنْ ذَلِكَ بِمَا قَدَرَ عَلَيْهِ، وَيَتَيَمَّمُ لِلْبَاقِي، وَسَوَاءٌ فِي ذَلِكَ الْوُضُوءُ وَالْعُسْلُ عَلَى الْمَشْهُورِ. وَمِنْهَا الصَّلَاةُ، فَمَنْ عَجَزَ عَنِ فِعْلِ الْفَرِيضَةِ قَائِمًا صَلَّى قَاعِدًا، فَإِنْ عَجَزَ صَلَّى مُضْطَجِعًا، وَفِي "صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ" عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ». وَلَوْ عَجَزَ عَنِ ذَلِكَ كُفْلِهِ، أَوْ مَأْ بِطَرْفِهِ، وَصَلَّى بِنَيْتِهِ، وَلَمْ تَسْقُطْ عَنْهُ الصَّلَاةُ عَلَى الْمَشْهُورِ.<sup>١</sup> وهذا عام في سائر الأعمال التي تناط بذوي الاحتياجات الخاصة سواء أكانت شرعية أم تتعلق بأمور الحياة اليومية .

وسياقي مزيد بيان وتفصيل لذلك عند الحديث عن التكاليف الشرعية.

### ٣- تأهيل ذوي الاحتياجات الخاصة للاستفادة من طاقاتهم.

المقصود بالتأهيل: اعداد الشخص ليكون أهلاً لمزاولة العمل الذي يليق به<sup>٢</sup>

فالتأهيل عملية تكيف الانسان مع البيئة، وإعادة الاعداد للحياة ، فإذا كان اختلال تكيف الانسان مقتصرًا على الناحية الطبية ، فإنه يحتاج إلى التأهيل الطبي ، وأما إذا كان الإنسان في حاجة إلى إعادة تكيف من الناحية النفسية ، فإنه يحتاج إلى التأهيل النفسي ، وإذا كان الاختلال في التكيف مع المهنة بسبب إصابته بعائق، فإنه يحتاج إلى التأهيل المهني<sup>٣</sup>

ويقوم تأهيل ذوي الاحتياجات الخاصة على الركائز الآتية:

<sup>١</sup> ابن رجب جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم تحقيق شعيب الأرنؤوط وإبراهيم ناجي ج ١ ص ٢٥٦ بيروت مؤسسة الرسالة ط ٧ - ١٤٢٢ هـ -  
<sup>٢</sup> اقبال محمد بشير الخدمة الاجتماعية ورعاية المعاقين ص ١٢ نشر المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية.  
<sup>٣</sup> السابق نفسه.

### ١- الاعتراف بكرامة الفرد.

٢- الأخذ بالسلوب التكاملي البناء فيما يتعلق بالنظر إلى شخصية الانسان ومشكلاته، وطرائق حل المشكلات.

### ٣- التسليم بأن للأفراد حقوقاً يجب أن تراعى وتحترم.<sup>١</sup>

فقد كفل الإسلام ذوي الاحتياجات الخاصة ولم يعرضهم للمذلة والمهانة ففي الحديث "أنا أولى الناس بالمؤمنين في كتاب الله عز وجل ، فأياكم ما ترك ديناً أو ضيعة فادعوني ، فأنا وليه وأياكم ما ترك مالا ليوثر بماله عصيته من كان"<sup>٢</sup>

وفي أكثر من موضع كان رسول الله ﷺ يعلن عن تعهد الدولة المسلمة بأبنائها من ذوي الاحتياجات الخاصة ، فقد جاء في الحديث " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ تَرَكَ كَلًّا فَإِلَيْنَا، وَمَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِوَرَثَتِهِ "<sup>٣</sup>

وقد طبق ذلك خلفاء رسول الله ﷺ من بعده يقول علي بن أبي طالب ﷺ في عهده لواليه " مالك الأشر " ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين ، والمحتاجين ، وأهل البؤس ، والزمنى فإن في هذه الطبقة قانعا ومعترا ، واحفظ الله ما استحفظك من حقه فيهم ، واجعل لهم قسماً من بيت المال ، وقسماً من غلات صوافي الإسلام في كل بلد ، وتعهد أهل اليتيم ، وذوي الرقة - المتقدمون في السن - ممن لا صلة له ، ولا ينصب للمسألة نفسه"<sup>٤</sup>

وقال عمر بن العزيز مبينا مصارف الزكاة " فَسَتَهُمُ الْفُقَرَاءُ نَصْفُهُ لِمَنْ عَزَا مِنْهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْلَ عَزْوَةٍ، حِينَ يُفْرَضُ لَهُمْ مِنَ الْأَمْدَادِ وَأَوَّلُ عَطَاءٍ يَأْخُذُونَهُ، ثُمَّ تُقَطَّعُ عَنْهُمْ بَعْدَ

<sup>١</sup> د. محمد عبدالمنعم نور ، الخدمة الاجتماعية الطبية والتأهيل ص ٢٠١ - ٢٠٣ مكتبة القاهرة الحديثة ١٩٨٤م.

<sup>٢</sup> البخاري ج ٨ ص ٨ باب الفرائض وانظر مسلم ج ٣ ص ١٢٣٨ ح رقم ١٦١٩

<sup>٣</sup> مسلم ج ١ ص ٣٠٢ ح رقم ٥٨٠

<sup>٤</sup> محمد عبده شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ١١١ - ١١٢ تحقيق عبدالعزيز سيد الأهل ط دار الأندلس - بيروت.

ذَلِكَ الصَّدَقَةُ، وَيَكُونُ سَهْمُهُمْ فِي عَظْمِ الْفَيْءِ، وَالتَّصْنُفُ الْبَاقِي لِلْفُقَرَاءِ مِمَّنْ لَا يَعْزُونَ، مِنْ الرِّمَى وَالْمُكْتَبِ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ الْعَطَاءَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَسَهْمُ الْمَسَاكِينِ نِصْفٌ لِكُلِّ مَسْكِينٍ بِهِ عَاهَةٌ لَا يَسْتَطِيعُ حِيلَةً وَلَا تَقَلُّبًا فِي الْأَرْضِ، وَالتَّصْنُفُ الْبَاقِي لِلْمَسَاكِينِ الَّذِينَ يَسْأَلُونَ، وَيَسْتَطْعِمُونَ،... سَهْمُ ابْنِ السَّبِيلِ يُقَسَّمُ ذَلِكَ لِكُلِّ طَرِيقٍ عَلَى قَدْرِ مَنْ يَسْأَلُهَا، وَيَمُرُّ بِهَا مِنَ النَّاسِ، لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْ ابْنِ السَّبِيلِ لَيْسَ لَهُ مَأْوَى، وَلَا أَهْلٌ يَأْوِي إِلَيْهِمْ، فَيُطْعَمُ حَتَّى يَجِدَ مَنْزِلًا، أَوْ يَقْضِيَ حَاجَتَهُ، وَيُجْعَلُ فِي مَنَازِلَ مَعْلُومَةٍ عَلَى أَيْدِي أُمَّنَاءَ، لَا يَمُرُّ بِهِمْ ابْنُ سَبِيلٍ لَهُ حَاجَةٌ إِلَّا آوَوْهُ، وَأَطْعَمُوهُ، وَعَلَّفُوهُ ذَابْتَهُ، حَتَّى يَنْفَدَ مَا بِيَدِيهِمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ<sup>١</sup>

٤- الثقة في قدرة الانسان برغم ما به من - عائق - مع معاونة نفسه إلا في

### حالات العجز الكلي.

وقد دل على ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل أعمى ، فقال : يا رسول الله : إنه ليس لي قائد يقودني إلى المسجد فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرخص له ، فيصلني في بيته فرخص له ، فلما ولى ، دعاه ، فقال : هل تسمع النداء بالصلاة؟ قال نعم : قال فأجب<sup>٢</sup>

وعن أنس بن مالكٍ أنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ أَصَابَهُ هُوَ وَأَهْلُ بَيْتِهِ جَهْدٌ، فَدَخَلَ عَلَيْهِمْ فَوَجَدَهُمْ مُصْرَعِينَ مِنَ الْجُهْدِ وَالْجُوعِ، فَقَالَ: مَا لَكُمْ؟ قَالُوا: الْجُوعُ ، أَعْنَتْنَا بِشَيْءٍ فَاَنْطَلَقَ الْأَنْصَارِيُّ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَتَيْتَكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِ بَيْتٍ مَا أُرَانِي أَرْجِعُ إِلَيْهِمْ حَتَّى يَهْلِكُوا أَوْ يَهْلِكَ بَعْضُهُمْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : «مَا عِنْدَكَ شَيْءٌ؟» قَالَ: مَا عِنْدِي شَيْءٌ، قَالَ: «فَاذْهَبِ فَاَنْتِ بِمَا كَانَ عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ» فَرَجَعَ الْأَنْصَارِيُّ فَلَمْ يَجِدْ إِلَّا جِلْسًا وَقَدْحًا فَأَتَى بِهِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ:

<sup>١</sup> أبو عبيد القاسم بن سلام الأموال ص ٥٧٨ وما بعدها تحقيق محمد خليل هراس ط مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م  
<sup>٢</sup> صحيح مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب يجب إتيان المسجد على من سمع النداء ج ١ ص ٤٥٢ ج ٦٥٣ .

يا نبي الله، هذا الحِلْسُ وَالْقَدْحُ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَنَا ، أَمَّا الحِلْسُ فَكَانُوا يُفْرِشُونَ طَائِفَةً مِنْهُ وَيُلْبِسُونَ طَائِفَةً ، وَأَمَّا القَدْحُ فَكَانُوا يَشْرَبُونَ فِيهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «مَنْ يَشْتَرِي هَذَا الحِلْسَ وَالْقَدْحَ؟» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا أَخْذُهُمَا بِدِرْهَمٍ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ يَزِيدُ عَلَي دِرْهَمٍ؟» قَالَ أَنَسٌ: فَسَكَتَ القَوْمُ فَقَالَ: «مَنْ يَزِيدُ عَلَي دِرْهَمٍ؟» فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا أَخْذُهُمَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ بَاتْنَيْنِ، قَالَ: «هُمَا لَكَ» فَأَعْطَاهُ بِدِرْهَمَيْنِ ، وَأَخَذَ الدِّرْهَمَيْنِ وَأَعْطَاهُمَا الأَنْصَارِيَّ وَقَالَ أَذْهَبْ فَاشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا فَانْبِذْهُ إِلَيْهِمْ ، وَاشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا فَأَسَأْتُ ثُمَّ اتَّبَعَنِي بِهِ قَالَ: فَأَتَاهُ بِقَاسٍ فَأَخَذَهَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ فَقَالَ: «هَلْ عِنْدَكَ عَصَا أَسْنِدُهَا لَكَ فِيهِ؟» فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ مَا هُوَ عِنْدِي فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ عِنْدِي نِصَابٌ عَسَى أَنْ يُوَفِّقَهُ، قَالَ: «فَأْتِ بِهَا إِنْ شِئْتَ» قَالَ: فَأَتَى بِهَا، فَأَخَذَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ القَاسَ فَأَتْبَتَهَا فِي النِّصَابِ ثُمَّ دَفَعَهَا إِلَى الأَنْصَارِيَّ وَقَالَ لَهُ: «أَذْهَبْ بِهَذِهِ القَاسِ فَاحْطَبْ مَا وَجَدْتَ مِنْ حَلْجٍ أَوْ شَوْكٍ أَوْ حَطَبٍ، ثُمَّ اخْرُجْ حِرْمَتَكَ فَاتِّ بِهَا السُّوقَ فَبِعْهَا بِمَا قَضَى اللَّهُ لَكَ، ثُمَّ لَا تَأْتِنِي وَلَا أَرَاكَ خَمْسَةَ عَشَرَ لَيْلَةً» ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَعْذُو كُلَّ يَوْمٍ يَحْطَبُ ثُمَّ يَجِيءُ بِحَطْبِهِ إِلَى السُّوقِ فَيَبِيعُهُ بِثُلْثِي دِرْهَمٍ حَتَّى أَتَتْ لَهُ خَمْسَةَ عَشَرَ لَيْلَةً فَأَصَابَ فِيهَا عَشْرَةَ دَرَاهِمٍ ثُمَّ أَتَى نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى لِي فِي الَّذِي أَمَرْتَنِي بِهِ بَرَكَهً، قَدْ أَصَبْتُ فِي خَمْسَةِ عَشَرَ لَيْلَةً عَشْرَةَ دَرَاهِمٍ، فَابْتَعْتُ بِخَمْسَةِ دَرَاهِمٍ لِلْعِيَالِ طَعَامًا، وَابْتَعْتُ لَهُمْ كِسْوَةَ خَمْسَةِ دَرَاهِمٍ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: " هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَأْتِيَ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي وَجْهِكَ نُكُتُهُ المَسْأَلَةِ ، إِنَّ المَسْأَلَةَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِثَلَاثَةٍ: لِذِي دَمٍ مُوجِعٍ ، أَوْ عُزْمٍ مُفْطَعٍ ، أَوْ فَمْرٍ مُدْفِعٍ " ١

فانظر كيف أرشد رسول الله ﷺ هذا الرجل المعدم إلى اكتساب ما يحفظ ماء وجهه له ولأسرته، فاستخرج ما به من طاقة تجعله انساناً نافعا لنفسه ولجتمعه، لا عالة على غيره.

١ أبو محمد الحارث بن محمد بن داهر التميمي، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ج ١ ص ٤١ ت: د. حسين أحمد صالح الباكري مركز خدمة السنة والسيرة النبوية - المدينة المنورة الطبعة: الأولى، ١٤١٣ - ١٩٩٢

٤- وجوب إشراك ذوي الاحتياجات الخاصة في الحياة العامة، وعدم عزلهم عن

المجتمع والناس .

لما أُرِّد رسول الله ﷺ أن يرسل إلى المدينة من يعلم الناس الدين ويكون سفيراً للإسلام أرسل النبي ﷺ مصعب ابن عمير وأرسل معه - أو عقبه - ابن أم مكتوم وهو أعمى من ذوي الاحتياجات الخاصة وذلك لبيان أن الإعاقة ليست عائقاً عن تبليغ دعوة الله بل هي سبيل ودافع لنشر هذا الدين الحق وتبليغه إلى الناس كافة ، فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال " أول من قدم علينا - أي المدينة - مصعب ابن عمير ، وابن أم مكتوم وكانا يقرئان القرآن"<sup>١</sup>

كما روي عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : كان ابن أم مكتوم يؤذن لرسول الله ﷺ وهو أعمى"<sup>٢</sup> وروي عنها أيضاً عن النبي ﷺ أنه قال " إن بلالاً يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم"<sup>٣</sup>

كما روي عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ استخلف ابن أم مكتوم يؤم الناس وهو أعمى"<sup>٤</sup> بل كان بعض الصحابة يجاهد مع رسول الله وهو أعمى ، مثل عبدالله بن عمير بن خطمة ، كان أعمى على عهد رسول الله ﷺ وكان إمام مسجد قومه بني خطمه ، وجاهد مع رسول الله ﷺ وهو أعمى"<sup>٥</sup>

٥- تكريم ذوي الاحتياجات الخاصة وتطبيب خواتمهم.

<sup>١</sup> البخاري كتاب مناقب الأنصار ، باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة ج ٥ ص ٦٦ ح رقم ٣٩٢٥.

<sup>٢</sup> صحيح مسلم ج ١ ص ٢٨٧ ح رقم ٣٨١

<sup>٣</sup> البخاري كتاب الأذان ، باب الأذان قبل الفجر ج ١ ص ١٢٧ رقم ٦٢٢

<sup>٤</sup> سنن أبي داود كتاب الصلاة باب إمامة الأعمى ج ١ ص ١٦٢ ح رقم ٥٩٥ صححه الألباني.

<sup>٥</sup> ابن أبي حاتم الجرح والتعديل ص ١٢٤ ط دار إحياء التراث العربي بيروت ، وانظر ابن حجر الإصابة في تمييز الصحابة ج ٤ ص ١٧١

ها هو النبي ﷺ يلي دعوة ضرير ليسر عليه أداء صلاة الجماعة ، فعن عتبان بن مالك أنه أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله قد أنكرت بصري ، وأنا أصلي لقومي ، فإذا كانت الأمطار وسال الوادي الذي بيني وبينهم لم أستطع أن آتي مسجدهم فأصلي بهم ، وددت يا رسول الله أنك تأتيني فتصلي في بيتي ، فأخذته مصلي ، قال : فقال له رسول الله ﷺ سأفعل إن شاء الله قال عتبان فعدا رسول الله ﷺ وأبو بكر حين ارتفع النهار ، فاستأذن رسول الله ﷺ فأذنت له فلم يجلس حتى دخل البيت ، ثم قال ﷺ أين تحب أن أصلي من بيتك ، قال فأشرت له إلى ناحية من البيت ، فقال رسول الله ﷺ فكبر ، فقمنا فصفنا فصلى ركعتين ثم سلم ، قال وحسنه على خزيمة صنعنا له ، قال فثاب في البيت رجال من أهل البيت ذوو عدد ، فاجتمعوا ، فقال قائل منهم: أين مالك بن الدخيشن أو ابن الدخشن؟ فقال بعضهم: ذلك منافق لا يجب الله ورسوله ، فقال رسول الله ﷺ " لا تقل ذلك ، ألا تراه قد قال: لا إله إلا الله ، يريد بذلك وجهه الله " قال: الله ورسوله أعلم ، قال: فإننا نرى وجهه ونصيحته إلى المنافقين ، قال رسول الله ﷺ " فإن الله قد حرم على النار من قال: لا إله إلا الله ، يبتغي بذلك وجهه الله " <sup>١</sup>

قال النووي : لم يجلس في الدار ولا في غيرها حتى دخل البيت مبادراً إلى قضاء حاجتي التي طلبتها وجاء بسببها وهي الصلاة في بيتي ، قوله وحسنه على خزير هو بالخاء المعجمة وبالزاي وآخره راء ويقال خزيمة بالهاء قال ابن قتيبة الخزيمة لحم يقطع صغاراً ثم يصب عليه ماء كثيراً فإذا نضج در عليه دقيق فإن لم يكن فيها لحم فهي عصيدة .

وفي حديث عتبان هذا فوائد كثيرة ، منها أن فيه زيارة الفاضل المفضل وحضور ضيافته وفيه سقوط الجماعة للعذر وفيه استصحاب الإمام والعالم ونحوهما بعض أصحابه في ذهابه وفيه الاستئذان على الرجل في منزله وإن كان صاحبه وقد تقدم منه استدعاء وفيه الابتداء في الأمور بأهمها لأنه ﷺ جاء للصلاة فلم يجلس حتى صلى وفيه جواز صلاة النفل جماعة وفيه أن الأفضل في صلاة النهار أن تكون مثني كصلاة الليل وهو

<sup>١</sup> صحيح البخاري كتاب الصلاة باب المساجد في البيوت ج ١ ص ٩٢ ح رقم ٢٦٣ .



مذهبنا ومذهب الجمهور وفيه أنه يستحب لأهل المحلة وجيرانهم إذا ورد رجل صالح إلى منزل بعضهم أن يجتمعوا إليه ويحضروا مجلسه لزيارته وإكرامه والاستفادة منه وفيه أنه لا بأس بملازمة الصلاة في موضع معين من البيت وإنما جاء في الحديث النهي عن إيطان موضع من المسجد للخوف من الرياء ونحوه وفيه الذب عن ذكر بسوء وهو بريء منه وفيه أنه لا يخلد في النار من مات على التوحيد وفيه غير ذلك والله أعلم<sup>١</sup>

ومن تكريمه ﷺ لذوي الاحتياجات الخاصة ما روي عن جابر - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله " من سيدكم يا بني سلمة قلنا : جد بن قيس على أنا نُبَحِّلُهُ ، قال وأي داء أدوى من البخل ، بل سيدكم : عمرو بن الجموح"<sup>٢</sup>

ومعلوم أن عمرو ابن الجموح كان أعرج ولكن هذا لا يعيبه ولا ينقصه في ميزان الإسلام ما دام أنه أهل للكفاءة والمقدرة لتولي مهام السيادة عند رسول الله ﷺ .

كما روي عنه ﷺ أنه استخلف ابن أم مكتوم على المدينة مرتين<sup>٣</sup> ومعلوم أنه كان من ذوي الاحتياجات الخاصة.

### ٦- النبي ﷺ يقرب ذوي الاحتياجات الخاصة .

عن أنس رضي الله عنه أن امرأة كان في عقلها شيء، فقالت يا رسول الله إن لي إليك حاجة ، فقال : يا أم فلان انظري أيُّ السكك شئت ، حتى أقضي لك حاجتك ، فخلا معها في بعض الطرق ، حتى فرغت من حاجتها"<sup>٤</sup>

<sup>١</sup> النووي المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ج ٥ ص ١٥٩ - ١٦١  
<sup>٢</sup> البخاري الأدب المفرد تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي باب البخل ج ١ ص ١١٠ رقم ٢٩٦  
حكم الألباني صحيح دار البشائر الإسلامية بيروت ط ٢ ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م  
<sup>٣</sup> سنن الترمذي أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ باب ما يقول إذا رأى مبتلى ج ٥ ص ٤٩٣ ح رقم ٣٤٣٢ حكم الألباني صحيح.  
<sup>٤</sup> مسلم كتاب الفضائل باب قرب النبي عليه السلام من الناس وتبركهم به ج ٤ ص ١٨١٢ ح رقم ٢٣٢٦



قال الإمام النووي : بروزه ﷺ للناس وقربه منهم ، ليصل أهل الحقوق إلى حقوقهم ويرشد مسترشدهم ليشاهدوا أفعاله وحركاته فيقتدى بها وهكذا ينبغي لولاة الأمور .

وفيها المشقة في نفسه ﷺ لمصلحة المسلمين وإجابته من سأله حاجة ، وبيان تواضعه بوقوفه مع المرأة الضعيفة قوله ( خلا معها في بعض الطرق ) أي وقف معها في طريق مسلوك ليقضي حاجتها ويفتيها في الخلوة ولم يكن ذلك من الخلوة بالأجنبية فإن هذا كان في ممر الناس ومشاهدتهم إياه وإياها لكن لا يسمعون كلامها لأن مسألتها مما لا يظهره. <sup>١</sup>

كما أن إعانة أصحاب الحاجات من أفضل القربات التي يتقرب بها العبد إلى ربه ، فعن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال " المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة ، فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة" <sup>٢</sup>

### ٧- تشريع الرخص لذوي الاحتياجات الخاصة لرفع الحرج عنهم.

فقد راعى الإسلام ظروف ذوي الاحتياجات الخاصة في الأمور التعبديّة التي لا بد للمسلم أن يأتي بها سواء أكان سليماً أم من أصحاب الأعدار.

#### أ- الطهارة

طهارة المسلم شيء لا بد منه لأداء أهم أركان الإسلام العملية ألا وهي الصلاة، فمن كان به مرض يمنعه من استعمال الماء فإنه يتيمم قال تعالى " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ

<sup>١</sup> النووي المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ج ١٥ ص ٨٢-٨٣ دار إحياء التراث العربي بيروت ط ٢ ١٣٩٢ هـ

<sup>٢</sup> الطبراني ، المعجم الكبير باب العين عمرو بن دينار عن ابن عمر ج ١٢ ص ٤٥٣ ح رقم ١٣٦٤٦ الألباني سلسلة الأحاديث الصحيحة ج ٢ ص ٥٧٤ - ٥٧٥ ح ٩٠٦ حكم الألباني اسناده حسن.

إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١

" (قَالَ الشَّافِعِيُّ - رحمه الله - ) : فَلَمْ يُرَخِّصْ اللَّهُ فِي التَّيْمُمِ إِلَّا فِي الْحَالَيْنِ السَّفَرِ وَالْإِعْوَازِ مِنَ الْمَاءِ أَوْ الْمَرَضِ فَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ مَرِيضًا بَعْضَ الْمَرَضِ تَيَمَّمَ حَاضِرًا أَوْ مُسَافِرًا أَوْ وَاحِدًا لِلْمَاءِ أَوْ غَيْرَ وَاحِدٍ لَهُ (قَالَ) : وَالْمَرَضُ اسْمٌ جَامِعٌ لِمَعَانٍ لِأَمْرَاضٍ مُخْتَلِفَةٍ ٢

وأباح الشرع لمن به علة ، البول قائماً مع أنه مكروه في حق السليم لغير حاجة ، وقد فعل النبي ﷺ ذلك فيما رواه حذيفة ؓ أنه ﷺ انتهى إلى سباط<sup>٣</sup> قوم فبال قائماً<sup>٤</sup> وذلك لعله كانت عنده عنده ﷺ كما ذكر ذلك الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم حيث قال " وأما سبب بوله ﷺ قائماً فذكر العلماء فيه أوجهاً حكاهما الخطابي والبيهقي وغيرهما من الأئمة أحدها قالوا وهو مروى عن الشافعي أن العرب كانت تستشفى لوجع الصلب بالبول قائماً قال فترى أنه كان به ﷺ وجع الصلب إذ ذاك والثاني أن سببه ما روي في رواية ضعيفة رواها البيهقي وغيره أنه ﷺ بال قائماً لعله بمأبضه والمأبض بهمزة ساكنة بعد الميم ثم باء موحدة وهو باطن الركبة<sup>٥</sup> فقد روى أبو هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ بال قائماً من جرح كان بمأبضه<sup>٦</sup>

١ المائدة ٦

٢ أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي الأم ١ / ٥٨ دار المعرفة - بيروت

٣ ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م

٤ السباطة المزبلة والكناسة تكون بقاء الدور مرفقاً لأهلها ، وتكون في الغالب سهلة لا يرتد فيها البول على البائل. فتح السلام شرح عمدة الأحكام من فتح الباري ج ١ / ٢٠٢

٥ مسلم ١ / ٢٢٨

٦ شرح النووي على مسلم ٣ / ١٦٥

٧ الحاكم ١ / ١٨٢ - البيهقي ١ / ١٠١

وأياً ما كانت العلة فإن ذوي الاحتياجات الخاصة يباح لهم ما لا يباح لغيرهم، وذلك مراعاة لأعذارهم التي رخص لهم فيها الشرع حتى يرفع الحرج عنهم.

### ب - الصلاة.

اعتنى الإسلام بأداء الصلاة أيما اعتناء، ومن ثم فقد حث المسلم على أدائها حيثما حل ورحل، في صحته ومرضه، وقد أوجد السبل الميسرة لأدائها، فراعى ظروف ذوي الاحتياجات الخاصة ولم يشق عليهم فيها.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رجل يا رسول الله إني لأتأخر عن الصلاة في الفجر مما يطيل بنا فلان فيها، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيته غضب في موضع، كان أشد غضباً منه يومئذ، ثم قال: يا أيها الناس: إن منكم منفرين، فمن أمّ الناس فليتجوز، فإن خلفه الضعيف والكبير وذا الحاجة " ١

قال صاحب الفتح " فإن فيهم المريض والضعيف وكأن المراد بالضعيف هنا المريض وهناك من يكون ضعيفاً في خلقته كالنحيف والمسنة " ٢

- ومن به عاهة تمنعه من استقبال القبلة كالمشلول، ومن لا يستطيع مفارقة سريرته لعاهة في عينيه، أو لجرح في جسده لو حرك لنزف، فإن هؤلاء ونحوهم إذا وجدوا من يوجههم إلى القبلة دون ضرر يلحق بهم، وجب عليهم التوجه إلى القبلة، فلو صلوا إلى غير القبلة في هذه الحالة بطلت صلاتهم وهذا باتفاق الفقهاء.

وأما من لم يجد من يوجهه إلى القبلة، أو وجد ولكن لا يمكن تحويله إلى القبلة لعاهة تمنع من ذلك ويخشى عليه من الضرر إن تحرك سيره، فقد اختلف الفقهاء فيه على ثلاثة أقوال:

١ البخاري كتاب الأذان باب من شك إمامه إذا طول ج ١ ص ١٤٢ ح رقم ٧٠٤

٢ فتح الباري ج ٢ ص ١٩٨.

أولها : أنه يصلي على حاله ويعيد ، وهو قول الشافعية ، ومحمد بن مقاتل الرازي من الحنفية ، ودليلهم أن الله سبحانه أوجب التوجه إلى القبلة على العموم بقوله تعالى " وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ " <sup>١</sup> ومن لم يبح للمريض أن يترك استقبال القبلة بحال من الأول ، فيلزمه أن يصلي على حسب حاله ، وإذا وجد من يحوله إلى القبلة أعاد.

وثانيها : قول المالكية الذين يرون أن من هذه حاله ، ولا يستطيع التوجه إلى القبلة لا بنفسه ولا بمساعد صلى على حسب حاله ، ويعيد إذا وجد من يحوله إلى جهة القبلة في الوقت .

وجاء في المدونة في المريض الذي لا يستطيع تحويله إلى القبلة لمرض به أو جرح ، أنه لا يصلي إلا إلى القبلة ، ويحتال له في ذلك ، فإن هو صلى إلى غير القبلة أعاد في الوقت وهو في ذلك بمنزلة الصحيح "

ثالثها : قول الحنفية والحنابلة وهو : أن العاجز عن استقبال القبلة يصلي على حسب حاله ، ولا يعيد صلاته ما دام لا يستطيع التحول إلى القبلة ولا يجد من يحوله إليها ، نقله السرخسي عن ظاهر الرواية "

واستدل لذلك بأن التوجه إلى القبلة شرط جواز الصلاة ، والقيام والقراءة والركوع والسجود أركان ، ثم ما سقط عنه من الأركان بعذر المرض لا يجب عليه إعادة الصلاة ، فكذلك ما سقط عنه من الشروط بعذر المرض لا يجب عليه إعادة الصلاة ، ولقوله تعالى " لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا هَا " <sup>٢</sup> ولقوله ﷺ " إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم " <sup>٣</sup>

<sup>١</sup> البقرة : ١٤٤

<sup>٢</sup> البقرة ٢٨٦

<sup>٣</sup> مسلم ٢ / ٩٧٥ من حديث أبي هريرة رضى الله عنه الموسوعة الفقهية الكويتية ج ٢٩ ص ٢٤٥

- فقد راعى الإسلام قدرات ذوي الحاجة في الصلاة، إذا كانت العلة جسدية تمنعهم من أداء العبادة على وجهها المطلوب من الشخص السليم ، فعن عمران رضي الله عنه قال : كان بي بواسير ، فسألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فقال " صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب " <sup>١</sup> فمن كانت به عاهة تمنعه من الإتيان بركن من أركان الصلاة ، كالعاجز عن القيام أو الجلوس أو السجود أو غيرها من الأركان صلى كيف أمكنه ، وهذا باتفاق الفقهاء سواء في ذلك الفرض أو النفل. <sup>٢</sup>

- كذلك فإن العاهة التي تعجز الانسان عن حضور الصلاة ، كالشلل ، والعمى فيمن لا يجد قائداً ، وقطع اليد والرجل من خلاف ، وقطع الرجلين لمن لا يجد من يحمله ، وكذلك العاهة المنفرة كالجدام والبرص ونحو ذلك " <sup>٣</sup> فهذه الأعذار كلها تسقط فرض الجمعة والجماعة.

- وقد امتنع النبي صلى الله عليه وسلم عن تأخير صلاة العشاء رحمة بالضعفاء ، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة المغرب ، ثم لم يخرج إلينا حتى ذهب شطر الليل فخرج فصلى بهم ، ثم قال " إن الناس قد صلوا وناموا ، وأنتم لم تزالوا في صلاة ما انتظرت الصلاة ولولا ضعف الضعيف ، وسقم السقيم لأمرت بهذه الصلاة أن تؤخر إلى شطر الليل " <sup>٤</sup>

قال الإمام ابن حجر " واستدل بذلك على فضل تأخير صلاة العشاء، ولا يعارض ذلك فضيلة أول الوقت لما في الانتظار من الفضل لكن قال ابن بطال ولا يصلح ذلك

<sup>١</sup> البخاري أبواب تقصير الصلاة ، باب إذا لم يطق قاعداً صلى على جنب ج ٢ ص ٤٨ ح رقم ١١١٧.

<sup>٢</sup> الموسوعة الفقهية الكويتية ج ص

<sup>٣</sup> الهداية مع فتح القدير ١ / ٣٤٥ ، الخرشي ٢ / ٩٠ ، شرح الجلال على المنهاج مع

حاشية القليوبي ١ / ٢٦٦ - ٢٦٨ شرح منتهى الإرادات ١ / ٢٩٢

<sup>٤</sup> السنن الصغرى للنسائي كتاب المواقيت ، آخر وقت العشاء ج ١ ص ٢٦٨ ح رقم ٥٣٨ حكم الألباني صحيح.

الآن للأئمة لأنه ﷺ أمر بالتخفيف وقال إن فيهم الضعيف وذا الحاجة فترك التطويل عليهم في الانتظار أولى<sup>١</sup>

### ج - الصوم

بالنسبة للصوم فهو واجب على كل مسلم قادر على الصوم سواء أكان سليماً أو من ذوي الاحتياجات الخاصة كالأعمى والأصم والمقعّد فهؤلاء وأضرابهم لا يسقط عنهم الصوم، إلا أن يكون عجزهم يمنعهم من الصوم فهنا يشملهم العذر الشرعي في ترك الصوم

قال تعالى " شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمُ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ"<sup>٢</sup>

فالمَرَضُ عِبَارَةٌ عَن عَدَمِ اخْتِصَاصِ جَمِيعِ أَعْضَاءِ الْحَيِّ بِالْحَالَةِ الْمُقْتَضِيَةِ لِصُدُورِ أَفْعَالِهِ سَلِيمَةً سَلَامَةً تَلِيْقُ بِهِ، وَاخْتَلَفُوا فِي الْمَرَضِ الْمُبِيحِ لِلْفِطْرِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ أَحَدُهَا: أَنَّ أَيَّ مَرِيضٍ كَانَ، وَأَيَّ مُسَافِرٍ كَانَ، فَلَهُ أَنْ يَتَرَخَّصَ تَنْزِيلاً لِلْفِطْرِ الْمُطْلَقِ عَلَى أَقَلِّ أَحْوَالِهِ، وَهَذَا قَوْلُ الْحُسَيْنِ وَابْنِ سِيرِينَ، يُرَوَى أَنَّهُمْ دَخَلُوا عَلَى ابْنِ سِيرِينَ فِي رَمَضَانَ وَهُوَ يَأْكُلُ، فَاعْتَلَّ بِوَجَعِ أَصْبَعِهِ.

وثانيها: أَنَّ هَذِهِ الرُّحْصَةَ مُحْتَصَةٌ بِالْمَرِيضِ الَّذِي لَوْ صَامَ لَوَقَعَ فِي مَشَقَّةٍ وَجُهْدٍ، وَبِالْمُسَافِرِ الَّذِي يَكُونُ كَذَلِكَ، وَهَذَا قَوْلُ الْأَصَمِّ، وَحَاصِلُهُ تَنْزِيلُ اللَّفْظِ الْمُطْلَقِ عَلَى أَكْمَلِ الْأَحْوَالِ.

<sup>١</sup> فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٢ ص ٤٨ صححه محب الدين الخطيب بيروت - دار المعرفة ١٣٧٩ هـ .

<sup>٢</sup> البقرة آية ١٨٥



وَنَائِلُهَا: وَهُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ الْمُفْقَهَاءِ: أَنَّ الْمَرَضَ الْمُبِيحَ لِلْفِطْرِ هُوَ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى ضَرَرِ النَّفْسِ أَوْ زِيَادَةِ فِي الْعَلَّةِ، إِذْ لَا فَرْقَ فِي الْفِعْلِ بَيْنَ مَا يُخَافُ مِنْهُ وَبَيْنَ مَا يُؤَدِّي إِلَى مَا يُخَافُ مِنْهُ كَالْمَحْمُومِ إِذَا خَافَ أَنَّهُ لَوْ صَامَ تَشْتَدُّ حُمَاهُ، وَصَاحِبِ وَجَعِ الْعَيْنِ يَخَافُ إِنْ صَامَ أَنْ يَشْتَدَّ وَجَعُ عَيْنِهِ، قَالُوا: وَكَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ يُقَالَ كُلُّ مَرَضٍ مُرَحِّصٍ مَعَ عَلْمِنَا أَنَّ فِي الْأَمْرَاضِ مَا يَنْفِصُهُ الصَّوْمُ، فَالْمُرَادُ إِذَنْ مِنْهُ مَا يُؤَثِّرُ الصَّوْمُ فِي تَقْوِيَتِهِ، ثُمَّ تَأْثِيرُهُ فِي الْأَمْرِ الْبَسِيرِ لَا عِبْرَةَ بِهِ، لِأَنَّ ذَلِكَ قَدْ يَحْضُلُ فِي مَنْ لَيْسَ بِمَرِيضٍ أَيْضًا، فإِذَنْ يَجِبُ فِي تَأْثِيرِهِ مَا ذَكَرْنَاهُ.<sup>١</sup>

### د- الحج .

الاستطاعة شرط لوجوب الحج قال تعالى "وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَى سَبِيلٍ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ"<sup>٢</sup> فكل مسلم يستطيع الركوب والوصول إلى الحج وأداء مناسكه ولو بمساعدة ، فإنه يجب عليه الحج.

عن عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - قال : كان الفضل رديف رسول الله ﷺ فجاءت امرأة من خثعم ، فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه ، وجعل النبي ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر ، فقالت : يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يثبت على الراحلة أفأحج عنه ؟ قال نعم ، وذلك في حجة الوداع"<sup>٣</sup>

قال العيني في شرح هذا الحديث " ذكر ما يُسْتَفَادُ مِنْهُ : فِيهِ جَوَازُ النَّيَابَةِ عَنِ الْعَاجِزِ ، قَالَ أَصْحَابُنَا: مَنْ قَدَرَ عَلَى الْحَجِّ بِبَدَنِهِ لَمْ يَجِزْ لَهُ أَنْ يَحْجَّ عَنْهُ غَيْرُهُ ، وَلَوْ عَجَزَ عَنْهُ عَجْزاً لَا يُزُولُ مِثْلَ: الزَّمَانَةِ وَالْعَمَى جَازَ أَنْ يَحْجَّ عَنْهُ غَيْرُهُ ، وَإِنْ كَانَ يُزُولُ: كَالْمَرَضِ وَالْحَبْسِ ، فَإِنْ اسْتَمَرَّ إِلَى الْمَوْتِ يَجْزِيهِ وَيَلْزِمُهُ حُجَّةُ الْإِسْلَامِ . وَفِيهِ: بَرُّ الْوَالِدَيْنِ بِالْقِيَامِ

<sup>١</sup> مفاتيح الغيب للإمام الفخر الرازي ج ٥ ص ٢٤٣ دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م الطبعة : الأولى

<sup>٢</sup> آل عمران ٩٧

<sup>٣</sup> البخاري ج ٢ ص ١٣٢ ح رقم ١٥١٣



بمصالحهما من قِصَاء دين وَحج وخدمة وَغير ذَلِكَ. وَفيه: جَوَاز حج الْمَرْأَة عَن الرجل. وَفيه: جَوَاز استفتاء الْمَرْأَة من أهل الْعِلْم عِنْد الْحَاجَة. وَفيه: التَّرْغِيب إِلَى الرحلة لطلب الْعِلْم. ١

### هـ - الجهاد في سبيل الله.

الصحة شرط في وجوب الجهاد فمن كان به مرض أو عاهة لا يستطيع معه الجهاد فإن الشرع يعفيه من الجهاد وله أجر المجاهد وهو في بيته عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ رجع من غزوة تبوك فدنا من المدينة، فقال: «إن بالمدينة أقواماً، ما سرتهم مسيراً، ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم ، قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة؟ قال: «وهم بالمدينة، حبسهم العذر»<sup>٢</sup>

قال صاحب الفتح " والمراد بالعذر ما هو أعم من المرض وعدم القدرة على السفر وقد رواه مسلم من حديث جابر بلفظ "حبسهم المرض" وكأنه محمول على الأغلب  
٣"

ويشهد لهذا الحديث قوله تعالى " لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر" الآية فإنه فاضل بين المجاهدين والقاعدين ثم استثنى أولي الضرر من القاعدين فكأنه ألحقهم بالفاضلين وفيه أن المرء يبلغ بنيته أجر العامل إذا منعه العذر عن العمل"<sup>٤</sup>

فعن البراء رضي الله عنه قال " لما نزلت " لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ " قال النبي ﷺ ادعوا فلاناً فجاء ومعه الدواة واللوح أو الكتف ، فقال : اكتب " لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله " وخلف النبي ﷺ ابن أم مكتوم فقال : يا رسول

١ عمدة القاري شرح صحيح البخاري ج ١٠ ص ٢١٥ .

٢ البخاري ج ٦ ص ٨ ح رقم ٤٤٢٣

٣ فتح الباري ج ٦ ص ٤٧

٤ السابق نفسه

الله أنا ضرير ، فنزلت مكانها " لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرِّ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ " ١

فهذا الرجل - ابن أم مكتوم - كان يجب الجهاد ولكنه من ذوي الاحتياجات الخاصة، ولا يريد أن يفوته فضل الجهاد في سبيل الله ، وعجزه ابتلاء من الله ، والله رحيم بعباده فكيف لا يأخذ أجر المجاهدين وهو من ذوي الأعدار؟

جاء في الفتح " وفي رواية خارجة فقام حين سمعها ابن أم مكتوم وكان أعمى فقال يا رسول الله فكيف بمن لا يستطيع الجهاد ممن هو أعمى وأشبه ذلك وفي رواية قبصة فقال إني أحب الجهاد في سبيل الله ولكن بي من الزمانة ما ترى ذهب بصري " ٢

إن العاجز الحقيقي ليس هو من فقد عضواً من أعضائه فمنعه من الجهاد في سبيل الله ، بل العاجز الحقيقي من استخدم هذه الأعضاء في محاربة الله وسوله وصدق ربنا حيث قال " فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ " ٣

وقال تعالى " وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ أَدَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ " ٤

١ البخاري كتاب المغازي ج ٦ ص ٨ ح ٤٤٢٣

٢ الفتح ج ٨ ص ٢٦١

٣ الحج ٤٦

٤ الأعراف ١٧٩

### المبحث الثالث □

#### نماذج من ذوي الاحتياجات الخاصة من الصحابة - رضوان الله عليهم -

هناك الكثير من الصحابة رضوان الله عليهم كانوا من ذوي الاحتياجات الخاصة ، فممن ابتلي بفقد البصر عبدالله بن عمير بن خطمة وكان إمام قومه بني خطمه ، جاهد مع رسول الله وهو أعمى<sup>١</sup> وعبدالله ابن عباس وعبدالله بن أرقم وعثمان بن مالك وكعب بن مالك وقتادة ابن النعمان وأبو سفيان بن حرب والحكم بن أبي العاص وعمرو ( عبدالله ) بن أم مكتوم وحسان بن ثابت وأبو عبدالرحمن السلمي والعباس بن عبدالمطلب وجابر بن عبدالله والحريث بن العباس والبراء بن عازب وعبدالله بن أبي أوفى وأبو سعيد الساعدي<sup>٢</sup> وغيرهم كثير.

ومن ابتلي بالعمور الأشعث بن قيس والمغيرة بن شعبة وجريير بن عبدالله وعدي بن حاتم وسعيد بن عثمان وطلحة الطلحات والأحنف بن قيس<sup>٣</sup> وغيرهم  
ومن العرجان " معاذ بن جبل و زيد ابن صوحان الخطيب الفارس القائد ومجالد بن مسعود السلمي و الأحنف بن قيس وعمرو ابن الجموح<sup>٤</sup>  
ومن المفاليج ( الشلل النصفي ) عمران بن الحصين الخزاعي<sup>٥</sup>  
وهناك الكثير غيرهم لا يتسع البحث لذكرهم ولا نستطيع استقصاءهم، لذا سنأخذ بعض النماذج والشواهد لبعض الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

<sup>١</sup> ابن أبي حاتم الجرح والتعديل ص ١٢٤ بيروت دار إحياء التراث العربي ن وانظر ابن حجر الإصابة في تمييز الصحابة ج ٤ ص ١٧١  
<sup>٢</sup> أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، البرصان والعرجان والعميان والحولان ص ٥٦٥ - ٥٦٦ دار الجيل - لبنان تحقيق عبدالسلام هارون .  
<sup>٣</sup> أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، البرصان والعرجان والعميان والحولان ص ٥٦٧ دار الجيل - لبنان تحقيق عبدالسلام هارون  
<sup>٤</sup> البرصان ص ٢٠٠ - ٢٦٢ - ٣١٤ - ٣٢٦ - ٣٨٣  
<sup>٥</sup> تابعي وليس صحابي

## المطلب الأول : عبدالله بن أم مكتوم رضي الله عنه

عاهته التي ابتلي بها هي العمى ، وقد قال العلماء في تعريف العمى : أنه عبارة عن عدم البصر عما من شأنه أن يبصر .

وقد قال الفلاسفة: إن تقابل العمى والبصر ، تقابل العدم والملكة لا تقابل الضدين<sup>١</sup>  
١- نسبه : عمرو بن قيس بن زائدة بن الأصم ، واسم الأصم جندب بن هرم بن رواحه بن حجر بن عبد معيص بن عامر بن لؤي القرشي العامري ، وهو ابن أم مكتوم الأعمى المؤذن.

و أمه أم مكتوم ، اسمها : عاتكة بنت عبدالله بن عنكثة بن عامر بن مخزوم وهو ابن خال خديجة بنت خويلد ، فإن أم خديجة - رضي الله عنها - فاطمة بنت زائدة بن الأصم ، وهي أخت قيس ، وقد اختلف في اسمه فقيل : عبدالله ، وقيل عمرو وهو الأكثر ، قاله مصعب والزبير<sup>٢</sup>

### ٢ - دوره في خدمة الدعوة.

#### أ- ابن أم مكتوم في مكة.

أسلم عبدالله بن أم مكتوم قديماً، وقد كان حريصاً على تعلم الإسلام وملازمة النبي ﷺ وتحمل ما كان يلقاه المسلمون الأوائل من أذى قريش.

وقد سجل القرآن له حادثته الشهيرة مع رسول الله ﷺ في سورة تسمى بسورة "عبس" بل في بعض المصادر سميت باسمه "سورة ابن أم مكتوم" يقول صاحب التحرير والتنوير "سميت هذه السورة في المصاحف وكتب التفسير وكتب السنة" سورة عبس : وفي أحكام ابن العربي عنوانها "سورة ابن أم مكتوم" وتسمى سورة الأعمى وكل

<sup>١</sup> نكت الهميان ص ١٧

<sup>٢</sup> أسد الغابة ج ٤ ص ٢٥١ ط العلمية. وراجع الطبقات الكبرى ج ٤ ص ١٥٤ وراجع سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٢١٩

ذلك تسمية بألفاظ وقعت فيها لم تقع في غيرها من السور أو بصاحب القصة التي كانت سبب نزولها<sup>١</sup>.

حينما كان رسول الله ﷺ يناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبدالمطلب وكان يتصدى لهم كثيراً ويحرص عليهم أن يؤمنوا فأقبل إليه رجل أعمى يقال له عبد الله ابن أم مكتوم يمشي وهو يناجيهم، فجعل عبد الله يستقرئ النبي ﷺ آية من القرآن، وقال: يا رسول الله علمني مما علمك الله، فأعرض عنه رسول الله ﷺ وعبس في وجهه وتولى وكره كلامه، وأقبل على الآخرين فلما قضى رسول الله ﷺ نجواه وأخذ ينقلب إلى أهله أمسك الله بعض بصره وخفق برأسه ثم أنزل الله تعالى: عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهٗ يُزَكَّىٰ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَىٰ.

فَلَمَّا نَزَلَ فِيهِ مَا نَزَلَ أكرمَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَكَلَّمَهُ وَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «مَا حَاجَتُكَ؟ هَلْ تُرِيدُ مِنْ شَيْءٍ؟» - وَإِذَا ذَهَبَ مِنْ عِنْدِهِ قَالَ - هَلْ لَكَ حَاجَةٌ فِي شَيْءٍ؟<sup>٢</sup>

وقد كانت السيدة عائشة تكرمه لإكرام رسول الله له فعن الشعبي قال: دخل رجل على عائشة وعندها ابن أم مكتوم، وهي تقطع الأترج بعسل وتطعمه، فقيل لها، فقالت: ما زال هذا له من آل محمد عيه الصلاة والسلام منذ عاتب الله - عز وجل - فيه نبيه<sup>٣</sup>

وقد أورد الإمام الفخر الرازي بعض اللطائف في تفسير هذه السورة عند ذكره لهذه القصة " فقال - رحمه الله -

وفي الموضع سؤالات:

<sup>١</sup> التحرير والتنوير ج ٣ ص ١٠١

<sup>٢</sup> تفسير بن كثير سورة عبس ج ٨ ص ٣٢١ الطبعة العلمية.

<sup>٣</sup> حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ج ٩ ص ٢٣٣، وانظر المستدرک على الصحيحين للحاكم ط م قبل ج ٤ ص ٧١.

الأول: أَنَّ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ كَانَ يَسْتَحِقُّ التَّأْدِيبَ وَالرَّجْرَ، فَكَيْفَ عَاتَبَ اللَّهُ رَسُولَهُ عَلَى أَنْ أَدَّبَ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ وَرَجَرَهُ؟ وَإِنَّمَا قُلْنَا: إِنَّهُ كَانَ يَسْتَحِقُّ التَّأْدِيبَ لَوُجُوهِ أَحَدُهَا: أَنَّهُ وَإِنْ كَانَ لِفَقْدِ بَصَرِهِ لَا يَرَى الْقَوْمَ، لَكِنَّهُ لِيَصِحَّةِ سَمْعِهِ كَانَ يَسْمَعُ مُحَاطَبَةَ الرَّسُولِ ﷺ أَوْلَيْكَ الْكُفَّارَ، وَكَانَ يَسْمَعُ أَصْوَاتَهُمْ أَيْضًا، وَكَانَ يَعْرِفُ بِوَاسِطَةِ اسْتِمَاعِ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ شِدَّةَ اهْتِمَامِ النَّبِيِّ ﷺ بِشَأْنِهِمْ، فَكَانَ إِقْدَامُهُ عَلَى قَطْعِ كَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ وَإِلْقَاءِ غَرَضِ نَفْسِهِ فِي الْبَيْنِ قَبْلَ تَمَامِ غَرَضِ النَّبِيِّ إِيْدَاءَ لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَذَلِكَ مَعْصِيَةٌ عَظِيمَةٌ

وَتَائِيهَا: أَنَّ الْأَهَمَّ مُقَدَّمٌ عَلَى الْأَمِهِمْ، وَهُوَ كَانَ قَدْ أَسْلَمَ وَتَعَلَّمَ، مَا كَانَ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ، أَمَّا أَوْلَيْكَ الْكُفَّارُ فَمَا كَانُوا قَدْ أَسْلَمُوا، وَاسْلَامُهُمْ سَبَبًا لِاسْلَامِ جَمْعِ عَظِيمٍ، فإِلْقَاءُ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ، ذَلِكَ الْكَلَامَ فِي الْبَيْنِ كَالسَّبَبِ فِي قَطْعِ ذَلِكَ الْخَيْرِ الْعَظِيمِ، لِعَرَضٍ قَلِيلٍ وَذَلِكَ مُحَرَّمٌ.

وَتَائِيهَا: أَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: إِنَّ الدِّينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَّرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ<sup>١</sup> فَتَهَاهُمْ عَنْ مجرد النداء إلا في الوقت، فهنا هذا النداء الذي صار كالصَّارِفِ لِلْكُفَّارِ عَنْ قَبُولِ الْإِيمَانِ وَكَالْقَاطِعِ عَلَى الرَّسُولِ أَعْظَمَ مُهْمَاتِهِ، أَوَّلَى أَنْ يَكُونَ ذَنْبًا وَمَعْصِيَةً، فَتَبَّتْ بِهَذَا أَنَّ الَّذِي فَعَلَهُ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ كَانَ ذَنْبًا وَمَعْصِيَةً، وَأَنَّ الَّذِي فَعَلَهُ الرَّسُولُ كَانَ هُوَ الْوَاجِبُ، وَعِنْدَ هَذَا يَتَوَجَّهُ السُّؤَالُ فِي أَنَّهُ كَيْفَ عَاتَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ الْفِعْلِ؟

السُّؤَالُ الثَّانِي: أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا عَاتَبَهُ عَلَى مُجَرَّدِ أَنَّهُ عَبَسَ فِي وَجْهِهِ، كَانَ تَعْظِيمًا عَظِيمًا مِنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لِابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَكَيْفَ يَلِيقُ بِمِثْلِ هَذَا التَّعْظِيمِ أَنْ يَذْكُرَهُ بِاسْمِ الْأَعْمَى مَعَ أَنَّ ذِكْرَ الْإِنْسَانِ بِهَذَا الْوَصْفِ يَفْتَضِي تَحْقِيرَ شَأْنِهِ جِدًّا؟.

<sup>١</sup> [الْحُجُرَاتِ: ٤]

السؤال الثالث: الظاهر أنه عليه الصلاة والسلام كان مأدونا في أن يعامل أصحابه على حسب ما يراه مصلحة، وأنه عليه الصلاة والسلام كثيرا ما كان يؤدب أصحابه ويؤجرهم عن أشياء، وكيف لا يكون كذلك وهو عليه الصلاة والسلام إنما بعث ليؤدبهم وليعلمهم محاسن الآداب، وإذا كان كذلك كان ذلك التبعيس داخلا في إذن الله تعالى إياه في تأديب أصحابه، وإذا كان ذلك مأدونا فيه، فكيف وقعت المعتابة عليه؟ فهذا جملة ما يتعلق بهذا الموضوع من الإشكالات

والجواب عن السؤال الأول من وجهين الأول: أن الأمر وإن كان على ما ذكرتم إلا أن ظاهر الواقعة يؤهم تقديم الأغنياء على الفقراء وانكسار قلوب الفقراء، فلهذا السبب حصلت المعتابة، ونظيره قوله تعالى: ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي<sup>١</sup>

والوجه الثاني: لعل هذا العتاب لم يقع على ما صدر من الرسول عليه الصلاة والسلام من الفعل الظاهر، بل على ما كان منه في قلبه، وهو أن قلبه عليه الصلاة والسلام كان قد مال إليهم بسبب قرابتهم وشرفهم وعلو منصبهم، وكان ينفر طبعه عن الأعمى بسبب عماء وعدم قرابته وقلة شرفه، فلما وقع التبعيس والتولي لهذه الداعية وقعت المعتابة، لا على التأديب بل على التأديب لأجل هذه الداعية .

والجواب عن السؤال الثاني: أن ذكره بلفظ الأعمى ليس لتحقير شأنه، بل كآته قيل: إنه بسبب عماء استحق مزيد الرفق والرأفة، فكيف يليق بك يا محمد أن تحصه بالغلظة.

والجواب عن السؤال الثالث: أنه كان مأدونا في تأديب أصحابه لكن هاهنا لما أوهم تقديم الأغنياء على الفقراء، وكان ذلك بما يؤهم ترجيح الدنيا على الدين، فلهذا السبب جاءت هذه المعتابة<sup>٢</sup>.

<sup>١</sup> [الأنعام: ٥٢]

<sup>٢</sup> تفسير مفاتيح الغيب ج ٣١ ص ٥٢ وما بعدها



ب- ابن أم مكتوم في المدينة.

– هجرته إلى المدينة.

كان عبدالله بن أم مكتوم من المهاجرين الأوائل الذين نذروا أنفسهم لنشر دعوة الله إلى سائر الناس ولم تمنعه إعاقة العمى من المضي قدماً إلى المدينة " بعد مصعب ابن عمير مباشرة " ١ فنزل دار القراء وهي دار مخزومة ابن نوفل ٢ عن البراء بن عازب قال : أول من قدم من المهاجرين مصعب ابن عمير ، ثم قدم علينا بعده عمرو ابن أم مكتوم الأعمى ٣ "وزاد في رواية " فجعلوا يقرءان الناس القرآن " ٤

– أذانه لرسول الله ﷺ .

قالت أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – كان ابن أم مكتوم مؤذناً لرسول الله ﷺ وهو أعمى ، وروى حجاج ابن أرطاة عن شيخ عن بعض مؤذني رسول الله ﷺ قال " كان بلال يؤذن ، ويقيم ابن أم مكتوم ، وربما أذن ابن أم مكتوم وأقام بلال " ٥ وقال ابن عمر – رضي الله عنهما – قال رسول الله ﷺ " إن بلالاً يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى ينادي ابن أم مكتوم " وكان أعمى لا ينادي حتى يقال له أصبحت أصبحت " ٦

١ أسد الغابة ج ٤ ص ٢٥١ ط المكتبة العلمية

٢ أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد الطبقات الكبرى ج ٤ ص ١٥٤ تحقيق: محمد عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

٣ المستدرک علی الصحیحین ج ٤ ص ٧١

٤ صحيح البخاري كتاب مناقب الأنصار باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة ج ٥ ص ٦٦ ح رقم ٣٩٢٥

٥ الطبقات الكبرى ج ٤ ص ١٥٦ ( اسناده واه ) ط العلمية.

٦ صحيح البخاري ١ / ١٦٠ ، ٣ / ٢٢٥ ، ٩ / ١٠٨ – ومسلم كتاب الصيام ٣٦ – ٣٧ –

٣٨

روي سالم عن أبيه عن النبي ﷺ قال : قال " إن بلالاً يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى تسمعوا كلام ابن أم مكتوم" <sup>١</sup> وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال وكان ابن أم مكتوم يتوخى الفجر فلا يخطئه. <sup>٢</sup>

ومع حرصه هذا ، فقد طلب الرخصة من رسول الله ﷺ في صلاة الجماعة - لأنه من أصحاب الإعاقة - فلم يأذن رسول الله ﷺ له في ترك الجماعة بالمسجد .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَرَأَى فِي النَّاسِ رِقَّةً، فَقَالَ: " إِنِّي لَأَهْمُّ أَنْ أَجْعَلَ لِلنَّاسِ إِمَامًا، ثُمَّ أُخْرَجَ، فَلَا أَقْدِرُ عَلَى رَجُلٍ تَخَلَّفَ فِي بَيْتِهِ عَنِ الصَّلَاةِ، إِلَّا أَحْرَقْتُ عَلَيْهِ " فُئِلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ إِنَّ بَيْتِي وَبَيْنَ الْمَسْجِدِ نَحْلًا وَشَجَرًا، وَلَيْسَ كُلُّ حِينٍ أَقْدِرُ عَلَى قَائِدٍ؛ أَفَأُصَلِّي فِي بَيْتِي؟ قَالَ: " تَسْمَعُ الْإِقَامَةَ؟ " فُئِلْتُ: نَعَمْ؛ قَالَ: " فَأُتِمَّا " <sup>٣</sup>

وعنه ﷺ قال: يا رسول الله، إنَّ المدينةَ كثيرةُ الهوامِّ والسَّباعِ. قَالَ: «هَلْ تَسْمَعُ حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَحَيَّ هَلَا؟». وَلَمْ يُرَخِّصْ لَهُ <sup>٥</sup>

وعنه ﷺ قال: جِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فُئِلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كَبِيرٌ ضَرِيرٌ شَاسِعُ الدَّارِ ، وَلِي قَائِدٌ لَا يُلَاوِمُنِي ، فَهَلْ تَجِدُ لِي رُخْصَةً أَنْ أُصَلِّيَ فِي بَيْتِي؟ قَالَ: "أَتَسْمَعُ الْبَدَاءَ؟". قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: "مَا أَجِدُ لَكَ رُخْصَةً". <sup>٦</sup>

<sup>١</sup> السابق نفسه.

<sup>٢</sup> فتح الباري ج ٢ ص ١٠٠

<sup>٣</sup> شرح مشكل الآثار ج ١٣ ص ٨٥

<sup>٤</sup> فحى هلا: قال الطيبي: كلمة حث واستعجال وضعت موضع: أجب. عون المعبود /١

٢١٧

<sup>٥</sup> سنن النسائي ج ٢ ص ١٠٩ رقم (٨٥١) السنن الكبرى للبيهقي باب ما جاء في التشديد من ترك الجماعة ج ٥ ص ٥٠٨ أبو داود (٥٥٣). وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٥١٧).

<sup>٦</sup> السنن الكبرى للبيهقي باب ما جاء في التشديد من ترك الجماعة ج ٥ ص ٥٠٨

قال الإمام البيهقي : قال أبو بكر ابنُ إسحاقَ الفقيه: لَيْسَ فِي أَمْرِهِ هَذَا الْأَعْمَى بِمُحْضَرِ الْجَمَاعَةِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ حُضُورَهَا فَرَضٌ؛ لِأَنَّهُ قَدْ رَخَّصَ لِعَبْتَانَ بْنِ مَالِكٍ وَهُوَ أَعْمَى التَّخَلُّفَ عَنْ حُضُورِهَا، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ قَوْلَهُ: "لَا أَجِدُ لَكَ رُخْصَةً". أَي: لَا أَجِدُ لَكَ رُخْصَةً تَلْحَقُ فَضِيلَةَ مَنْ حَضَرَهَا.

قال الشيخ: وَالَّذِي يُؤَكِّدُ هَذَا التَّأْوِيلَ مَا: رَوَى عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ الْمِسَيَّبِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي قَائِدًا لَا يَلَائِمُنِي فِي هَاتَيْنِ الصَّلَاتَيْنِ قَالَ: "أَيِ الصَّلَاتَيْنِ؟". قُلْتُ: الْعِشَاءُ وَالصُّبْحُ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ -: "لَوْ يَعْلَمُ الْقَاعِدُ عَنْهُمَا مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًّا"<sup>١</sup>.

وذلك حتى لا تفوته فضيلة الجماعة وهو يسمع النداء فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا، ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه، ولو يعلمون ما في العتمة والصبح، لأتوهما ولو حبوًا»<sup>٢</sup>.

لقد كان هذا الرجل - على إعاقته - شديد الحرص على متابعة رسول الله ﷺ وملازمته في أمور قد لا يستطيع الكثير من الأصحاء فعلها فعن عطاء بن أبي رباح قال: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ فَطَافَ بِالْبَيْتِ سَبْعًا وَصَلَّى خَلْفَ الْمَقَامِ رُكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّفَا، فَأَتَى بِنَاقَتِهِ فَرَكَبَهَا، فَأَتَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ، وَكَانَ مَكْمُوفًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اعْطِنِي خِطَامَ رَاحِلَتِكَ حَتَّى أَطُوفَ بِكَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: "إِنِّي أَخَافُ أَنْ لَا تُهْدَى" قَالَ: فَأَخَذَ بِخِطَامِ رَاحِلَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ:

يَا حَبَدًا مَكَّةَ مِنْ وَادِي ... أَرْضٌ بِهَا أَهْلِي وَعُوَادِي

<sup>١</sup> السنن الكبرى للبيهقي باب ما جاء في التشديد من ترك الجماعة ج ٥ ص ٥٠٩

<sup>٢</sup> البخاري باب الاستهم في الأذان ج ١ ص ١٢٦ ح رقم ٦١٥

إِنِّي بِهَا أَمْشِي بِأَلَا هَادِي ... إِنِّي بِهَا تَرَسُحُ أَوْ تَادِي

حَتَّى فَرَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ طَوَافِهِ<sup>١</sup>

- دفاعه عن رسول ﷺ.

كان هذا الصحابي الجليل نموذجاً للمسلم الغيور على دينه ، الذي لا يرضى أن يؤذى رسول الله ﷺ ، ويقف هو مكتوف الأيدي لا يعبر عن غضبه ، ولا ينكر على من يسيء إلى دينه ونبيه بحجة أنه من ذوي الإعاقة الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً، فقد روى أن ابنُ أُمِّ مَكْتُومٍ نَزَلَ عَلَى يَهُودِيَّةٍ بِالْمَدِينَةِ كَانَتْ تَرْفُفُهُ وَتُوذِيهِ فِي النَّبِيِّ - ﷺ - فَتَنَّاوَلَهَا، فَضَرَبَهَا، فَفَتَلَهَا، فَرَفَعَ ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ - ﷺ - فَقَالَ هُوَ: أَمَا وَاللَّهِ إِنْ كَانَتْ لَتَرْفُفُنِي، وَلَكِنْ آذَنِي فِي اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ -: أْبَعَدَهَا اللَّهُ، قَدْ أَبْطَلْتُ دَمَهَا<sup>٢</sup>

- بشارة النبي ﷺ له بالجنة لصبوره على فقد بصره.

قَالَ أَبُو ظِلَالٍ: كُنْتُ عِنْدَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فَقَالَ: مَتَى ذَهَبَتْ عَيْنُكَ؟ قَالَ: ذَهَبَتْ وَأَنَا صَغِيرٌ. فَقَالَ أَنَسٌ: إِنَّ جَبْرَائِيلَ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - وَعِنْدَهُ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ فَقَالَ: مَتَى ذَهَبَ بَصْرُكَ؟ قَالَ: وَأَنَا غُلَامٌ. [فَقَالَ: قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: إِذَا مَا أَخَذْتُ كَرِيمَةً عَبْدِي لَمْ أَجِدْ لَهُ بِهَا جَزَاءً إِلَّا الْجَنَّةَ]<sup>٣</sup>.

وقد كان فقد بصره سبباً لزيادة ثقة النبي ﷺ فيه ، عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ، أَنَّ أَبَا عَمْرٍو بْنَ حَفْصٍ طَلَّقَهَا الْبَتَّةَ، وَهُوَ غَائِبٌ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا وَكَيْلُهُ بِشَعِيرٍ، فَسَخَطَتْهُ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا لِكَ عَلَيْنَا مِنْ شَيْءٍ، فَجَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «لَيْسَ لِكَ عَلَيْهِ نَفَقَةٌ»، فَأَمَرَهَا أَنْ تَعْتَدَّ فِي بَيْتِ أُمِّ شَرِيكٍ، ثُمَّ قَالَ: «تِلْكَ

<sup>١</sup> أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه باب ذكر فضل الصفا والمروة وعظم شأنهما ج ٢ ص ٢٣٧-٢٣٨ المحقق: د. عبد الملك

عبد الله دهيش الناشر: دار خضر - بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٤

<sup>٢</sup> سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٣٦٣ ط الرسالة.

<sup>٣</sup> شعب الإيمان للبيهقي ج ٧ ص ١٩٢ ح رقم ٩٩٥٩

امرأةً يَعِشَاهَا أَصْحَابِي، اعْتَدِي عِنْدَ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ أَعْمَى تَضَعِينَ ثِيَابَكَ، فَإِذَا حَلَلْتِ فَأَذِينِي»، قَالَتْ: فَلَمَّا حَلَلْتُ ذَكَرْتُ لَهُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ، وَأَبَا جَهْمٍ حَطْبَانِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا أَبُو جَهْمٍ، فَلَا يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ، وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ لَا مَالَ لَهُ، انكِحِي أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ» فَكَرِهْتُهُ، ثُمَّ قَالَ: «انكِحِي أُسَامَةَ»، فَتَكَرَّهْتُهُ، فَجَعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا، وَاعْتَبَطْتُ بِهِ<sup>١</sup>

وهذا يدل على ثقة رسول الله ﷺ في عبدالله بن أم مكتوم ، حيث جعل هذه المرأة تعتد في بيته ، وليس ذلك انتقاصاً منه بل ثقة فيه ، فلما دعت الحاجة للاحتجاب أمر نساءه ﷺ بالاحتجاب عنه "فعن أم سلمة ؓ قالت : كنت عند النبي ﷺ وعنده ميمونة فأقبل ابن أم مكتوم ، - وذلك بعد أن أمر بالاحتجاب - فقال رسول الله ﷺ احتجبا منه ، فقلنا : يا رسول الله أليس أعمى ولا يبصرنا ولا يعرفنا قال " أفعمياوان أنتما أستماتا تبصرانه"<sup>٢</sup>

### - استخلاف رسول الله ﷺ - له على المدينة.

مع أن عبدالله ابن أم مكتوم كان كفيف البصر إلا أنه كان سديد الرأي حسن القيادة لذا كان رسول الله ﷺ يستخلفه على المدينة إذا خرج غازياً ، فقد فعل ذلك غير مرة ، وهذا يدل على أهليته لهذا الأمر .

فقد استخلفه رسول الله ﷺ على المدينة يوم بدر وفي غزوة قرقرة الكدر للنصف من الحرم على رأس ثلاثة وعشرين شهراً من مهاجره<sup>٣</sup>

<sup>١</sup> مسلم باب المطلقة ثلاثاً لا نفقة لها ج ٢ ص ١١٤ ح رقم ١٤٨٠

<sup>٢</sup> مسند احمد ٦ / ٢٩٦ .

<sup>٣</sup> الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٢٣ .

كما استخلفه في غزوة أحد<sup>١</sup>، وفي حمراء الأسد<sup>٢</sup>، وعندما خرج لإجلاء بني النضير<sup>٣</sup>، وفي غزوة الخندق<sup>٤</sup>، وعندما سار إلى بني قريظة<sup>٥</sup> وفي غزوة بني لحيان في شهر ربيع الأول سنة ست من مهاجره<sup>٦</sup>، وفي غزوة الغابة في شهر ربيع الأول سنة ست من مهاجره<sup>٧</sup>، واستخلفه في غزوة الحديبية عندما خرج للعمرة في ذي القعدة سنة ست من مهاجره<sup>٨</sup> واستخلفه في فتح مكة، وذلك يوم الأربعاء لعشرة خلون من شهر رمضان بعد العصر<sup>٩</sup>

وقد ذكر كتاب السير أن رسول الله ﷺ " استخلف ابن ام مكتوم على المدينة ثلاث عشرة مرة في غزواته<sup>١٠</sup>

ومعلوم أن رسول الله ﷺ لا يولي إلا أهل الكفاءة والخبرة، وقد جاءه بعض الصحابة يسأله أن يستعمله فلم يجبه ﷺ إلى ذلك - رغم ما له من صحبة وسبق في الإسلام -

فعن أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال قلت : يا رسول الله ألا تستعملني ؟ قال : فضرب بيده على منكبي ثم قال : يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها<sup>١١</sup>

١ السابق ج ٢ ص ٢٩

٢ السابق ج ٢ ص ٣٨

٣ السابق ج ٢ ص ٤٤

٤ السابق ج ٢ ص ٥١

٥ السابق ج ٢ ص ٥٧

٦ السابق ج ٢ ص ٦٠

٧ السابق ج ٢ ص ٦٢

٨ السابق ج ٢ ص ٧٣

٩ السابق ج ٢ ص ١٠٩

١٠ أسد الغابة ج ٤ ص ٢٥١ ط العلمية، الإصابة في تمييز الصحابة ج ٤ ص ٤٩٥

١١ مسلم باب كراهة الإمارة بغير ضرورة ج ٣ ص ١٤٥٧



وأما عبدالله بن أم مكتوم فرغم اعاقته إلا أنه كان من أعلم الناس فعن مجمع بن حارثة ، قال كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون : أرأف الناس بالناس أبو بكر وأشدهم في دين الله عمر وأصدقهم حياء عثمان ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، وعند ابن أم مكتوم علم" <sup>١</sup>

كما كان ﷺ يصلي بالناس في فترة استخلافه على المدينة ، فعن أبي خيثمة قال : استخلف رسول الله ﷺ على المدينة ابن أم مكتوم حين خرج في غزوة قرقرة الكدر إلى بني سليم وغطفان ، وكان يجمع بهم ويخطب إلى جنب المنبر ، يجعل المنبر عن يساره" <sup>٢</sup>

**— جهاده في سبيل الله .**

عن سهل بن سعد الساعدي، أنه قال: رأيت مروان بن الحكم جالسا في المسجد، فأقبلت حتى جلست إلى جنبه، فأخبرنا أن زيد بن ثابت أخبره: " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أملى عليه: { لا يستوي القاعدون من المؤمنين } <sup>٣</sup> { والمجاهدون في سبيل الله } "، قال: فجاءه ابن أم مكتوم وهو يملها علي، فقال: يا رسول الله، لو أستطيع الجهاد لجاهدت - وكان رجلا أعمى - فأنزل الله تبارك وتعالى على رسوله ﷺ ، وفخذه على فخذي، فثقلت علي حتى خفت أن ترض فخذي، ثم سري عنه، فأنزل الله عز وجل: { غير أولي الضرر } <sup>٤</sup>

ولا عجب أن ينزل الله عذر ابن أم مكتوم ، فقد عاتب الله في نبيه من قبل وأنزل فيه قرآناً يتلى إلى يوم القيامة.

كما أن هذا الرجل مشمول بالآية التي تكلمت عن أصحاب الأعدار في الجهاد ، قال تعالى "لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ

<sup>١</sup> ابن عساکر ، تاریخ دمشق ج ٥٨ ص ٤٠٢ تحقيق محي الدين العمري ط دار الفكر.

<sup>٢</sup> الطبقات الكبرى ج ٤ ص ١٥٦ ط العلمية.

<sup>٣</sup> [النساء: ٩٥]

<sup>٤</sup> صحيح البخاري ج ٤ ص ٢٥



يُطِيعُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبُهُ عَذَابًا أَلِيمًا "

١

ومع هذه الرخصة التي سأها ابن أم مكتوم ، فإنه لم يركن إليها بل كان ﷺ دائماً متقدماً الصفوف حاملاً راية المسلمين ، يقف شامخاً لا يهاب الموت ولا يفر إذا حمي الوطيس عند لقاء العدو ، يريد أن ينال شرف الشهادة في سبيل الله .

فقد كان يغزو ويقول : " اذْفَعُوا إِلَيَّ اللَّوَاءَ ، فَإِنِّي أَعْمَى لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَفِرَّ ، وَأَقِيمُوا بَيْنَ الصَّفَيْنِ " ٢ وأخرج النسائي من حديث قتادة عن أنس أن ابن أم مكتوم كانت معه راية سوداء في بعض مشاهد النبي ﷺ ٣ وروى عطية ابن أبي عطية أنه رأي ابن أم مكتوم يوماً من أيام الكوفة عليه درع سابعة يجرها في الصف أو في الصيف ٤ وعن أنس ﷺ أن عبدالله بن أم مكتوم يوم القادسية كانت معه راية سوداء وعليه درع له ٥ هذا المجاهد من ذوي الاحتياجات الخاصة قد نال الشهادة بصدق يوم القادسية ، يقول صاحب أسد الغابة " وشهد فتح القادسية ، ومعه اللواء ، وقتل بالقادسية شهيداً ٦ "

### المطلب الثاني : عمرو ابن الجموح ﷺ

الإعاقاة التي ابتلي بها ﷺ : العرج الشديد.

١ الفتح ١١٧

٢ سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٣٦٤ ط الرسالة

٣ النسائي ٨٥٥١ وهو حديث حسن

٤ التاريخ الكبير للبخاري ج ٧ ص ١١

٥ سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٣٦٤

٦ اسد الغابة ج ٤ ص ٢٧١ ط العلمية وراجع الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٤ /

١١٩٩

١- نسبه : عَمْرُو بْنُ الْجُمُوحِ بْنِ زَيْدِ بْنِ حَرَامِ ابْنِ كَعْبِ بْنِ عَنَمِ بْنِ كَعْبِ بْنِ سَلِيمَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَسَدِ بْنِ سَارِدَةَ بْنِ تَزِيدَ بْنِ جُشَمِ بْنِ الْخَزْرَجِ الْأَنْصَارِيِّ، السَّلْمِيِّ، الْعَنْمِيُّ، وَالِدُ مُعَاذٍ، وَمُعَوِّذٍ، وَخَلَادٍ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَهَنْدٍ. <sup>١</sup>

## ٢- اسلامه

كان عمرو بن الجموح رضي الله عنه من أشرف قومه قبل الإسلام ، وكعادة السادات أنهم كانوا يتأخرون في إسلامهم عن أفراد قومهم لما لهم من مكانة في أقوامهم يخافون إن هم أقدموا على شيء دونهم أن يفقدوا هذا الشرف والسيادة ، إلا أن عمراً كان ذا قلب ذكي ، وعقل سديد .

فقد أخرج أبو نعيم من طريق بن إسحاق بن يسار - إمام المغازي - عن رجل من بني سلمة ، قال : لما أسلم فتيان بني سلمة ، قال عمرو ابن الجموح ابن زيد بن حرام بن كعب الأنصاري السلمي لابنه معاذ أخبرني ما سمعت من هذا الرجل ، وكان قد أسلم قبل أبيه فقراً عليه " الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَا لِكَ يَوْمَ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ " <sup>٢</sup> فقال " عمرو لابنه: "ما أحسن هذا وأجمله، أوكل كلامه مثل هذا؟ قال: يا أبت وأحسن من هذا" قال ابن إسحاق: كان عمرو بن الجموح سيِّداً من سادات بني سلمة، وشريفاً من أشرفهم، وكان قد اتخذ في داره صنماً من خشب يعظمه، فلما أسلم فتيان بني سلمة منهم ابنه معاذ، ومعاذ بن جبل كانوا يدخلون على صنمه فيطرحونه في بعض حصر بني سلمة، فيغدو عمرو، فيجده منكباً لوجهه في العذرة، فيأخذه ويغسله ويطيبه ويقول: لو أعلم من صنع بك هذا لأضربنّه، ففعلوا ذلك مراراً، ثم جاء بسيفه فعلقه

<sup>١</sup> سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٢٥٢ ط الرسالة.

<sup>٢</sup> الفاتحة ١- ٦

عليه، وقال: إن فيك خير فامتنع، فلمَّا أمسى أخذوا كلبًا ميتًا، فربطوه في عنقه، وأخذوا السيف، فأصبح، فوجده كذلك، فأبصر رشده وأسلم.<sup>١</sup>

ويروى<sup>٢</sup> أنه لما جاء مصعب بن عمير إلى المدينة يدعو إلى الإسلام بعث إليه عمرو بن الجموح فقال له " ما هذا الذي جئتمونا به ؟ قالوا ان شئت جئناك فأسمعناك فواعدهم يوما فقرأوا عليه: {الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا} <sup>٣</sup>

فقال إن لنا مؤامرة في قومنا وكان سيد بني سلمة قال فخرجوا فدخل على مناف فقال يا مناف تعلم والله ما يريد القوم غيرك فهل عندك من نكير فقلده السيف وخرج لحاجته فقام أهله فأخذوا السيف فلما رجع دخل عليه فلم ير السيف فقال أين السيف ويحك والله إن العنز لتمنع استها والله ما أرى في أبي جعار غداً من خير ثم قال إني ذاهب إلى مالي بعلياء المدينة فاستوصوا بمناف خيراً فاني أكره أن أرى له يوم سوء فذهب فأخذوه فربطوه وكسروه وربطوه إلى جنب كلب ميت والقوه في بئر فلما جاء قال كيف أنتم؟ قالوا : بخير يا سيدنا وسع الله عز وجل في منازلنا وطهر بيوتنا من الرجس قال والله إني لأراكم قد أسأتم خلافتي في مناف قالوا : هو ذاك انظر إليه في جنب البئر فأشرف فإذا هم قد ربطوه إلى جنب كلب فبعث إلى قومه فجاءوا فقال ألستم على ما أنا عليه قالوا بلى أنت سيدنا قال فيني أشهدكم أني قد آمنت بما أنزل على محمد ﷺ "

وكان إسلام عمرو بركة على قومه ما يغادر واحد من بني سلمة إلا أسلم ثم أنشأ يقول : شكراً لله الذي هداه مما كان فيه من العمى والضلالة ، وحين عرف من الله ما عرف وأبصر من شأنه :

<sup>١</sup> أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن محمد الزرقاني المالكي ، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ج ٦ ص ٤٣٤ دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٦م

<sup>٢</sup> جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفي: ٥٩٧هـ) ج ١ ص ٢٤٧ وما بعدها صفة الصفة الناشر: دار الحديث، القاهرة، مصر الطبعة:

٢٠٠٠هـ/٢٠٠٠م

<sup>٣</sup> [يوسف: ١- ٢]

الحمد لله العليّ ذي المنن ..... الواهب الرزاق ديان الدّين  
هو الذي أنقذني من قبل أن ... أكون في ظلمة قبرٍ مُرَّهَنٍ  
والله لو كنت إلهًا لم تكن ... أنت وكلبٌ وسط بئر في قرنٍ  
أُفٍّ لمثواك إلهًا مُسْتَدِنٌ ..... فالآن فَتَشْنَاكَ عن شر العَبْنِ  
وقال عمرو بن الجموح أيضًا :

أتوب إلى الله مما مضى ..... وأستنقذ الله من ناره  
وأحمد ربي بآلائه ..... إله الحرام وأحجاره  
فسبحانه عدد الخاطئين ..... وقطر السماء و مداره  
هدائي وقد كنت في ظلمة ..... حليف منافٍ وأحجاره<sup>١</sup>  
فهذا الرجل اتبع الحق لأنه يبحث عنه، فلما رأى أن هذه الأصنام لا تستطيع أن تدفع  
عن نفسها ضراً ولا تجلب نفعاً أيقن أنها لا تصلح أن تكون معبوداً من دون الله ،  
فتركها واتبع الدين الحق.

### ٣- شرفه في قومه - ﷺ -

كان عمرو بن الجموح من أشرف قومه - وإن كان قد تأخر إسلامه عنهم - فقد  
اختاره رسول الله ﷺ ليكون سيد قومه .  
عن جابر ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ( مَنْ سَيِّدُكُمْ يَا بَنِي سَلَمَةَ؟ ) قُلْنَا: جَدُّ بَنِي  
قَيْسٍ، عَلَى أَنَّا نُبِخَلُّهُ. قَالَ: ( وَأَيُّ ذَايَ أَدَوَى مِنَ الْبُخْلِ، بَلْ سَيِّدُكُمْ: عَمْرُو بْنُ الْجُمُوحِ )  
وكان عمرو على أصنامهم في الجاهلية، وكان يؤلم عن رسول الله ﷺ إذا تزوج<sup>٢</sup>.  
فقد كان عمرو ابن الجموح الذي أسلم قلبه وجوارحه لله رب العالمين، مفطوراً على  
الجود والكرم والسخاء، وزاده الإسلام على ذلك فاستحق السؤدد والريادة.  
وقد أنشأ أحد شعراء الأنصار في ذلك فقال:

<sup>١</sup> محمد بن سعد بن منيع الزهري الطبقات الكبير ج ٤ ص ٣٧٥ مكتبة الخانجي- القاهرة  
الطبعة: الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م  
<sup>٢</sup> البخاري ، الأدب المفرد باب البخل ج ١ ص ١٥٣ ح رقم ٢٩٦ .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - والحق قوله ... لمن قَالَ منا: من تسمون سيدا فقالوا له: جد بن قيسٍ على التي ... نبخله فيها وإن كَانَ أسودا فتى مَا تخطى خطوةً لدينيةٍ ..... ولا مد في يومٍ إِلَى سوءةٍ يدا فسودَ عَمْرُو بنِ الجموحِ لجوده ... وحق لعمرُو بالندى أَن يسودا إذا جاءه السؤَال أَذهب ماله ..... وَقَالَ: خذوه إنه عائدُ غدا

فلو كنت يا جد بن قيسٍ على التي .. على مثلها عمرو لكنت مسوداً<sup>١</sup> ومما يدل على كرمه أن قوله تعالى " يَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَإِنَّ السَّبِيلَ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٢١٥) نزلت فيه ﷺ .

قال الخازن في تفسيره "قوله عز وجل: يَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ نزلت في عمرو بن الجموح، وكان شيخاً كبيراً ذا مال، فقال يا رسول الله بماذا نتصدق وعلى من نفق؟ فأنزل الله تعالى " يَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ " أي مال والمعنى: وما تفعلوا من إنفاق شيء من المال قل أو أكثر فللوالدين وإنما قدم الإنفاق على الوالدين لوجوب حقهما على الولد لأنهما كانا السبب في إخراجهم من العدم إلى الوجود.

"وَالْأَقْرَبِينَ" وإنما ذكر بعد الوالدين الأقربين لأن الإنسان لا يقدر أن يقوم بمصالح جميع الفقراء فتقديم القرابة أولى من غيرهم "وَالْيَتَامَى" وإنما ذكر بعد الأقربين اليتامى لصغرهم، ولأنهم لا يقدرون على الاكتساب، ولا لهم أحد ينفق عليهم.

"وَالْمَسَاكِينِ" وإنما أخرجهم لأن حاجتهم أقل من حاجة غيرهم "وَأَنَّ السَّبِيلَ" يعني المسافر فإنه بسبب انقطاعه عن بلده قد يقع في الحاجة والفقر فانظر إلى هذا الترتيب الحسن العجيب في كيفية الإنفاق.

<sup>١</sup> أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٣ ١١٦٩ دار الجيل، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م وانظر الإصابة في تمييز الصحابة ج ٣ ص ٥٠٧

ثم لما فصل الله هذا التفصيل الحسن الكامل أتبعه بالإجمال فقال تعالى: " وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ " وما تفعلوا من خير مع هؤلاء أو غيرهم طلباً لوجه الله تعالى ورضوانه "فإن الله به عليم" فيجازيكم عليه وذكر علماء التفسير أن هذه الآية منسوخة قال ابن مسعود نسختها آية الزكاة وقال الحسن إنها محكمة ووجه إحكامها أن الله ذكر فيها من تجب النفقة عليه مع فقره وهما الوالدان. وقال ابن زيد: هذا في النفل، وهو ظاهر الآية فمن أحب التقرب إلى الله تعالى بالإنفاق فالأولى به أن ينفق في الوجوه المذكورة في الآية، فيقدم الأول فالأول.

بقي في الآية سؤال: وهو أنه كيف طابق السؤال الجواب وهو أنهم سألوا عن بيان ما ينفق فأجيبوا ببيان المصرف، وأجيب عن هذا السؤال بأنه قد تضمن قوله: " ما أنفقتم من خير " بيان ما ينفقونه وهو المال ثم ضم إلى جواب السؤال ما يكمل به المقصود، وهو بيان المصرف لأن النفقة لا تعد نفقة إلا أن تقع موقعها قال الشاعر:

إن الصنعة لا تعد صنعة ... حتى يصاب بها طريق المصنع<sup>١</sup>

وقال صاحب تفسير البسيط " وقوله تعالى: { وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ } نزل في سؤال عمرو بن الجموح، لما نزل قوله: { فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ } في سؤاله أعدد السؤال وسأل عن مقدار ما ينفق، فنزل قوله: { قُلِ الْعَفْوَ } قال ابن عباس: العفو: ما فضل من المال عن العيال"<sup>٢</sup>

#### ٤- جهاده في سبيل الله - تعالى -

كان عمرو بن الجموح رضي الله عنه أعرج شديد العرج وحالته تلك تجعله من ذوي الأعدار الذين سقط عنهم وجوب الجهاد في سبيل الله قال تعالى " لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ

<sup>١</sup> علاء الدين علي بن محمد المعروف بالخازن لباب التأويل في معاني التنزيل ج ١ ص ١٤٤ دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ

<sup>٢</sup> أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، التفسير البسيط ج ٤ ص ١٥٥ عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ



وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا<sup>١</sup>

قال الإمام الفخر الرازي في تفسير هذه الآية "بَيَّنَّ مَنْ يَجُوزُ لَهُ التَّحَلُّفُ وَتَرْكُ الْجِهَادِ وَمَا بِسَبَبِهِ يَجُوزُ تَرْكُ الْجِهَادِ وَهُوَ مَا يَمْتَنِعُ مِنَ الْكَرْ وَالْفَرِّ وَبَيَّنَّ ذَلِكَ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ الْأُولَى: الْأَعْمَى فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُهُ الْإِقْدَامُ عَلَى الْعَدُوِّ وَالطَّلَبِ وَلَا يُمْكِنُهُ الْإِحْتِرَازُ وَالْهَرَبُ، وَالْأَعْرَجُ كَذَلِكَ وَالْمَرِيضُ كَذَلِكَ، وَفِي مَعْنَى الْأَعْرَجِ الْأَقْطَعُ وَالْمُقْعَدُ، بَلْ ذَلِكَ أَوْلَى بِأَنْ يُعْذَرَ، وَمَنْ بِهِ عَرَجٌ لَا يَمْتَنِعُ مِنَ الْكَرْ وَالْفَرِّ لَا يُعْذَرُ، وَكَذَلِكَ الْمَرَضُ الْقَلِيلُ الَّذِي لَا يَمْتَنِعُ مِنَ الْكَرْ وَالْفَرِّ كَالطُّحَالِ وَالسُّعَالِ إِذْ بِهِ يَضْعُفُ وَبَعْضُ أَوْجَاعِ الْمَفَاصِلِ لَا يَكُونُ عُذْرًا.

وَفِيهِ مَسَائِلُ:

المسألة الأولى: أَنَّ هَذِهِ أَعْدَارٌ تَكُونُ فِي نَفْسِ الْمُجَاهِدِ وَلَنَا أَعْدَارٌ خَارِجَةٌ كَالْفَقْرِ الَّذِي لَا يَتِمَّكُنُ صَاحِبُهُ مِنْ اسْتِنصَاحِ مَا يَخْتَاجُ إِلَيْهِ وَالِاسْتِعْجَالِ بِمَنْ لَوْلَاهُ لَضَاعَ كَطِفْلٍ أَوْ مَرِيضٍ، وَالْأَعْدَارُ تُعَلِّمُ مِنَ الْفَهْمِ وَتُحْنُ نَبَحْتُ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالتَّفْسِيرِ فِي بَيَانِ مَسَائِلِ:

المسألة الأولى: ذَكَرُ الْأَعْدَارِ الَّتِي فِي السَّفَرِ، لِأَنَّ غَيْرَهَا مُمَكِّنُ الْإِزَالَةِ بِخِلَافِ الْعَرَجِ وَالْعَمَى.

المسألة الثانية: افْتَصَرَ مِنْهَا عَلَى الْأَصْنَافِ الثَّلَاثَةِ، لِأَنَّ الْعُذْرَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ بِإِحْلَالِ فِي عَضْوٍ أَوْ بِإِحْتِلَالِ فِي الْقُوَّةِ، وَالَّذِي بِسَبَبِ إِحْلَالِ الْعَضْوِ، فِيمَا أَنْ يَكُونَ بِسَبَبِ إِحْتِلَالِ فِي الْعَضْوِ الَّذِي بِهِ الْوُصُولُ إِلَى الْعَدُوِّ وَالِانْتِقَالِ فِي مَوَاضِعِ الْقِتَالِ، أَوْ فِي الْعَضْوِ الَّذِي تَبِمُّ بِهِ فَائِدَةُ الْحَصُولِ فِي الْمَعْرَكَةِ وَالْوُصُولِ، وَالْأَوَّلُ: هُوَ الرَّجُلُ، وَالثَّانِي: هُوَ الْعَيْنُ، لِأَنَّ بِالرَّجْلِ يَحْصُلُ الْإِنْتِقَالُ، وَبِالْعَيْنِ يَحْصُلُ الْإِنْتِفَاعُ فِي الطَّلَبِ وَالْهَرَبِ.

وَأَمَّا الْأُذُنُ وَالْأَنْفُ وَاللِّسَانُ وَعَيْرُهَا مِنَ الْأَعْضَاءِ، فَلَا مَدْخَلَ لَهَا فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَمْرَيْنِ، بَقِيَتِ الْيَدُ، فَإِنَّ الْمَقْطُوعَ الْيَدَيْنِ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ، وَهُوَ عُذْرٌ وَاضِحٌ وَمَ يَذْكُرُهُ، نَقُولُ: لِأَنَّ فَائِدَةَ الرَّجْلِ وَهِيَ الْإِنْتِقَالَ تَبْطُلُ بِالْحَلْلِ فِي إِحْدَاهُمَا، وَفَائِدَةُ الْيَدِ وَهِيَ الضَّرْبُ وَالْبَطْشُ لَا تَبْطُلُ إِلَّا بِطُلَانِ الْيَدَيْنِ جَمِيعًا، وَمَقْطُوعُ الْيَدَيْنِ لَا يُوجَدُ إِلَّا نَادِرًا، وَلَعَلَّ فِي جَمَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مَقْطُوعَ الْيَدَيْنِ فَلَمْ يَذْكُرُهُ، أَوْ لِأَنَّ الْمَقْطُوعَ يُنْتَفَعُ بِهِ فِي الْجِهَادِ، فَإِنَّهُ يُنْظَرُ وَلَوْلَاهُ لَأَسْتَقَلَّ بِهِ مُقَاتِلٌ فَيُمْكِنُ أَنْ يُقَاتِلَ، وَهُوَ غَيْرُ مَعْدُورٍ فِي التَّخَلُّفِ، لِأَنَّ الْمُجَاهِدِينَ يَنْتَفِعُونَ بِهِ بِخِلَافِ الْأَعْمَى، فَإِنْ قِيلَ كَمَا أَنَّ مَقْطُوعَ الْيَدِ الْوَاحِدَةَ لَا تَبْطُلُ مَنْفَعَةُ بَطْشِهِ كَذَلِكَ الْأَعْوَرُ لَا تَبْطُلُ مَنْفَعَةُ رُؤْيَيْهِ، وَقَدْ ذَكَرَ الْأَعْمَى، وَمَا ذَكَرَ الْأَشْلَّ وَأَقْطَعَ الْيَدَيْنِ، فَلَنَا لِمَا بَيَّنَّا أَنَّ مَقْطُوعَ الْيَدَيْنِ نَادِرٌ الْوُجُودِ وَالْآفَةُ النَّازِلَةُ بِالْأَعْمَى لَا تَعْمُهُمَا وَالْآفَةُ النَّازِلَةُ بِالْعَيْنِ الْوَاحِدَةِ تَعْمُ الْعَيْنَيْنِ لِأَنَّ مَنْبَعَ النُّورِ وَاحِدٌ وَهُمَا مُتَجَاذِبَانِ وَالْوُجُودُ يُفَرِّقُ بَيْنَهُمَا، فَإِنَّ الْأَعْمَى كَثِيرُ الْوُجُودِ وَمَقْطُوعَ الْيَدَيْنِ نَادِرٌ.

المسألة الثالثة: قَدَّمَ الْآفَةَ فِي الْآلَةِ عَلَى الْآفَةِ فِي الْقُوَّةِ، لِأَنَّ الْآفَةَ فِي الْقُوَّةِ تَزُولُ وَتَطْرُقُ، وَالْآفَةُ فِي الْآلَةِ إِذْ طَرَأَتْ لَا تَزُولُ، فَإِنَّ الْأَعْمَى لَا يَعُودُ بَصِيرًا فَالْعُذْرُ فِي مَحَلِّ الْآلَةِ أَثَمُّ. الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: قَدَّمَ الْأَعْمَى عَلَى الْأَعْرَجِ، لِأَنَّ عُذْرَ الْأَعْمَى يَسْتَمِرُّ وَلَوْ حَضَرَ الْقِتَالَ، وَالْأَعْرَجُ إِنْ حَضَرَ رَاكِبًا أَوْ بِطَرِيقٍ آخَرَ يَقْدِرُ عَلَى الْقِتَالِ بِالرَّمِيِّ وَغَيْرِهِ.<sup>١</sup>

قال ابن الكلبي: كان عمرو بن الجموح آخر الأنصار إسلاماً، ولما ندب رسول الله ﷺ الناس إلى بدر، أراد الخروج معهم، فمنعه بنوه بأمر رسول الله ﷺ لشدة عرجه<sup>٢</sup> لقد كان لهذا الصحابي أربعة بنون كأنهم الليوث الهادرة يقاتلون في سبيل الله، ويكفي أن معاذ ابنه هو من قتل فرعون هذه الأمة أبا جهل في غزوة بدر، فروى ابن اسحاق " أنه هو الذي قطع رجل أبي جهل وصرعه، وضربه عكرمة بن أبي جهل فقطع يده،

<sup>١</sup> مفاتيح الغيب ج ٢٨ ص ٧٨  
<sup>٢</sup> أسد الغابة ج ٤ ص ١٩٤ ط العلمية.

وبقيت متعلقة بالجلدة، ثم ضرب معوذ بن عفراء أبا جهل حتى أثبتته، ثم تركه وبه رمق، فذفف عليه ابن مسعود<sup>١</sup>.

وقد أثنى عليه رسول الله ﷺ مع كبار الصحابة رضوان الله عليهم فعن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: نعم الرجل أبو بكر، نعم الرجل

عمر، نعم الرجل أبو عبيدة، نعم الرجل أسيد بن حضير، نعم الرجل ثابت بن قيس، نعم الرجل معاذ بن جبل،

نعم الرجل معاذ بن عمرو بن الجموح<sup>٢</sup>

وكان هؤلاء الأسود يظنون أنهم يكفون أبوهم مؤنة الجهاد لما به من عذر، فلا حاجة لخروجه لأنهم يرون في أنفسهم الكفاية، لكن هذا الرجل الذي باع نفسه وماله لله، ليشتري جنة عرضها السماوات والأرض، لم يهدأ له بال وحزن حزناً شديداً لمنعه من الخروج إلى بدر، فقال لبنية: أنتم منعموني الجنة يوم بدر، والله لئن لقيت لأدخلن الجنة، فبلغ ذلك عمر، فلقبه، فقال: أنت القائل كذا وكذا، قال: فلما لقي يوم أحد، قال عمر: فلم يكن لي همٌ غيره، وطلبتته، فإذا هو في الرعي الأول<sup>٣</sup>.

فلما أراد رسول الله ﷺ الخروج إلى أحدٍ منعه بنوه من الخروج، وقالوا: قد عذرك الله وبك من الزمانة ما بك، فأثنى عمرو رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن بني يريدون أن يجبسوني عن الخروج معك إلى هذا الوجه، والله إني لأرجو أن أظأ بعرجتي هذه في الجنة، فقال رسول الله ﷺ: أما أنت فقد عذرك الله ولا جهاد عليك، ثم قال لبنية: لا عليكم أن لا تمنعوه، لعل الله يرزقه الشهادة، فخلوا عنه، قالت امرأته هند بنت عمرو بن حرام: كأني أنظر إليه مولياً قد أخذ درقته، وهو يقول: اللهم لا تردني إلى أهل حُرْبِي وهي منازل بني سلمة.

<sup>١</sup> السابق ج ٥ ص ١٩٤

<sup>٢</sup> السابق ج ١ ص ٤٥١

<sup>٣</sup> محمد بن سعد بن منيع الزهري الطبقات الكبير ج ٤ ص ٣٧٣ المحقق: علي محمد عمر الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة الطبعة: الأولى، ٢٠٠١ م

قال أبو طلحة: فنظرت إلى عمرو بن الجموح حين انكشف المسلمون، ثم تابوا وهو في الرعيل الأول، لكأني أنظر إلى ظلّع - عرج شديد - في رجله، يقول: أنا والله مشتاق إلى الجنة، ثم أنظرُ إلى ابنه خلادٍ يعدو في أثره حتى قتلا جميعاً.<sup>١</sup>

إنه من الرجال القلائل الذين إن أقسموا على الله أبرهم ، فعن جابر رضي الله عنه قال جاء عمرو بن الجموح إلى رسول الله ﷺ يوم أحد ، فقال : يا رسول الله من قتل اليوم دخل الجنة قال : نعم ، قال فو الذي نفسي بيده لا أرجع إلى أهلي حتى أدخل الجنة ، فقال له عمر بن الخطاب ، يا عمرو لا تأل على الله ، فقال رسول الله مهلا يا عمر فإن منهم من لو أقسم على الله لأبره ، منهم عمرو بن الجموح ، يخوض في الجنة بعرجته<sup>٢</sup>

فها هي تلتحم الصفوف وتتساقط الهامات ، فيقول رسول الله ﷺ "قوموا بنا إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين" فقام - عمرو بن الجموح - وهو أعرج فقال والله لأخفرن<sup>٣</sup> أعليها في الجنة فقاتل حتى قتل<sup>٤</sup>

هؤلاء " رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه " فصدقهم الله تعالى وأقسموا على ربهم فبر أيمانهم ، " فلما قتل يوم أحد ومثل به المشركون جاءت زوجته هند بنت عمرو بن حرام فحملته ، وحملت أخاها عبدالله بن عمرو بن حرام على بعير ، ودفنا جميعاً في قبر واحد لأنهما كانا متحابين متصاحبين في الدنيا .

<sup>١</sup> الطبقات الكبير ج ٤ ص ٣٧٦

<sup>٢</sup> أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفي: ١٤٢٠ هـ) صحيح موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان ج ٢ ص ٣٩٤ الناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م

<sup>٣</sup> أي لأتركن آثار أقدامي فيها التفسير الوسيط د. محمد سيد طنطاوي ج ٦ ص ٣٨١

<sup>٤</sup> جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفي: ٥٩٧ هـ) صفة الصفوة ج ١ ص ٢٤٧ المحقق: أحمد بن علي الناشر: دار الحديث، القاهرة، الطبعة: ١٤٢١ هـ/٢٠٠٠ م

<sup>٥</sup> الأحزاب ٢٣

روى ابن أبي شيببة في مصنفه " أنه أتى رسول الله ﷺ يوم أحد بعبد الله بن عمرو بن حرام وعمرو بن الجموح ممثلين فقال ادفنوهما في قبر واحد فإنهما كانا متصاحبين في الدنيا<sup>١</sup> وفي رواية " ادفنوا هذين المتحابين في الدنيا في قبر واحد"<sup>٢</sup>

هذان المتحابان في الله استحقا الولاية من الله فقد روى الإمام أحمد " عَنْ عَمْرِو بْنِ الْجُمُوحِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَحِقُّ الْعَبْدُ حَقَّ صَرِيحِ الْإِيمَانِ حَتَّى يُحِبَّ لِلَّهِ، وَيُبْغِضَ لِلَّهِ، فَإِذَا أَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، فَقَدْ اسْتَحَقَّ الْوَلَاءَ مِنَ اللَّهِ، وَإِنَّ أَوْلِيَاءِي مِنْ عِبَادِي، وَأَحِبَّائِي مِنْ خَلْقِي الَّذِينَ يُذَكَّرُونَ بِذِكْرِي، وَأُذَكَّرُ بِذِكْرِهِمْ»<sup>٣</sup>

ومن الآثار الصحيحة الدالة على فضل الشهداء عموماً وفضل هذا الصحابي على جهة الخصوص ما رواه مالك في «الموطأ» أنه بلغه أن عمرو بن الجموح، وعبد الله بن عمرو الأنصاريين تمَّ السُّلَمِيُّنَ كَانَا قد حفر السَّيْلَ قَبْرَهُمَا، وَكَانَ قَبْرُهُمَا مِمَّا يَلِي السَّيْلَ، وَكَانَا فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ، وَهَمَا يَمُنَّ اسْتَشْهَدَ يَوْمَ أُحُدٍ، فَحَفَرَ عَنْهُمَا لِيَعْبَرَا مِنْ مَكَانِهِمَا، فَوُجِدَا لَمْ يُعْبَرَا، كَأَنَّمَا مَاتَا بِالْأَمْسِ، وَكَانَ أَحَدُهُمَا قَدْ جُرِحَ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى جُرْحِهِ، فَذَفَنَ، وَهُوَ كَذَلِكَ، فَأَمِطَتْ يده عَنْ جُرْحِهِ، ثُمَّ أُرْسِلَتْ، فَرَجَعَتْ، كَمَا كَانَتْ، وَكَانَ بَيْنَ أُحُدٍ، وَبَيْنَ يَوْمِ حَفْرِ عَنْهُمَا سِتُّ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً.

قال أبو عمر في «التمهيد»: حديث مالك هذا يتصل من وجوه صحاح بمعنى واحد متقارب، وعبد الله بن عمرو هذا هو والد جابر بن عبد الله، وعمرو بن الجموح هو ابن عمه، ثم أسند أبو عمر، عن جابر بن عبد الله، قال: لما أراد معاوية أن يُجْرِيَ الْعَيْنَ بِأُحُدٍ، نُودِيَ بِالْمَدِينَةِ: مَنْ كَانَ لَهُ قَتِيلٌ، فليأت قتيله، قال جابر: فأتيناهم، فأخرجناهم

<sup>١</sup> أبو بكر بن أبي شيببة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خوستي العبسي (المتوفي: ٢٣٥هـ) الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار ج ٣ ص ١٥ المحقق: كمال يوسف الحوت الناشر: مكتبة الرشد - الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٠٩

<sup>٢</sup> عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن السلطان (المتوفي: ١٤٢٢هـ) موارد الظمان لدروس الزمان، خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وأداب وأخلاق حسان ج ١ ص ١١٦. الطبعة: الثلاثون، ١٤٢٤ هـ

<sup>٣</sup> مسند الإمام أحمد ج ٣ ص ٤٣٠ ط عالم الكتب

رطاباً يَتَشَنُّونَ، فأصابتِ المِسْحَاةُ أُصْبِعَ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فانفطرت دَمًا، قال أبو سعيدٍ الخُدْرِيُّ: «لَا يُنْكَرُ بَعْدَ هَذَا مُنْكَرٌ أَبَدًا» وفي رواية: «فاستخرجهم - يعني: معاوية-، بعد ستِّ وأربعين سنةً لَيْتَةً أجسادهم، تتثنى أطرافهم» ، قال أبو عمر: الذي أصابتِ المِسْحَاةُ أُصْبِعُهُ هو حمزةٌ رضي الله عنه.

ثم أسند عن جابرٍ قال: رَأَيْتُ الشَّهَدَاءَ يَخْرُجُونَ عَلَى رِقَابِ الرِّجَالِ كَأَنَّهُمْ رِجَالٌ نُومٌ حَتَّى إِذَا أَصَابَتِ المِسْحَاةُ قَدَمَ حمزة رضي الله عنه : «فانتعبت دَمًا»<sup>١</sup>.  
يقول الأستاذ خالد محمد خالد معلقاً على هذه القصة " ودفن الحبيبان الشهيدان الصديقان في قبر واحد، تحت ثرى الأرض التي تلتقت جثمانيهما الطاهرين، بعد أن شهدت بطولتهما الحارقة.

وبعد مضي ست وأربعين سنة على دفنهما، نزل سيل شديد غطى أرض القبور، بسبب عين من الماء أجراها هناك معاوية، فسارع المسلمون الى نقل رفات الشهداء، فاذا هم كما وصفهم الذين اشتركوا في نقل رفاتهم: " لَيْتَةً أجسادهم..تتثنى أطرافهم"!!  
وكان جابر بن عبد الله لا يزال حيا، فذهب مع أهله لينقل رفات أبيه عبد الله بن عمرو بن حرام، ورفات زوج عمته عمرو بن الجموح..فوجدهما في قبرهما، كأخهما نائمان.. لم تأكل الأرض منهما شيئا، ولم تفارق شفاهما بسمة الرضا والغبطة التي كانت يوم دعيا للقاء الله..أتعجبون..؟ كلا، لا تعجبوا..فان الأرواح الكبيرة، النقية، النقية، التي سيطرت على مصيرها.. تترك في الأجساد التي كانت موثلا لها، قدرا من المناعة يدرأ عنها عوامل التحلل، وسطوة التراب.."<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: ٨٧٥هـ) المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود الجواهر الحسان في تفسير القرآن ج ٢ ص ١٣٩ وما بعدها الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى -

١٤١٨ هـ وانظر الموطأ ج ٢ ص ٤٧١

<sup>٢</sup> خالد محمد خالد ، رجال حول الرسول ص ٣٥٤ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م



رحم الله عمر بن الجموح رضي الله عنه لقد ضرب أروع الأمثلة لمن باع نفسه لله ، ليس لأصحاب الأعدار فقط بل لجميع الناس صغيرهم وكبيرهم صحيحهم وسقيمهم. وصدق ربنا حين وصفهم بقوله " مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٣) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا"<sup>١</sup> بهذه القلوب السليمة والعزائم القوية ، والنفوس النقية التي خالط الإيمان شغافها، ارتفعت كلمة الحق وعزت كلمة الإسلام.



## المطلب الثالث : سعيرة الأسدية

الإعاقاة التي أصيبت بها : الصرع .

أولاً : تعريف الصرع : نوبات فجائية تقترن بالتشنج وتتفاوت في شدتها ومعدل ترددها، وفي الفترة التي تستغرقها، وقد تكون النوبة هينة عابرة لا تكاد تلاحظ، وقد تكون بالغة الشدة، وقد تقع النوبة بغتة بلا نذير، وقد ينذر بها حس سابق يعترى أحد الحواس.

وقيل : الصرع هو علة في الجهاز العصبي تصحبها غيبوبة في العضلات<sup>١</sup>

١- سببه : ريح غليظة تنحبس في منافذ الدماغ، أو بخار رديء، يرتفع إليه من بعض الأعضاء، وقد يتبعه تشنج في الأعضاء، فلا يبقى الشخص معه منتصباً، بل يسقط، ويقذف بالزبد؛ لغلظ الرطوبة<sup>٢</sup>

وهذا في الصرع الذي من الأخلاط وأما " صرع الجنّ للإنس فهو لأسباب ثلاثة تارة يكون الجنّي يحب المصروع ليتمتع به وهذا الصرع يكون أرفق من غيره وأسهل وتارة يكون الإنسي آذاهم إذا بال عليهم أو صب عليهم ماء حاراً أو يكون قتل بعضهم أو غير ذلك من أنواع الأذى هذا أشد الصرع وكثيراً ما يقتلون المصروع وتارة يكون بطريق العبث به كما يعبث سفهاء الإنس بأبناء السبيل<sup>٣</sup>

٢- أعراضه : عندما تعترى المريض نوبة الصرع : " يعقب ذلك وقوع المريض على الأرض فاقداً وعيه، وقد يقع صارخاً ثم تملكه رعدة تشنجية، قد يتوقف فيها التنفس مؤقتاً، ويعض المريض لسانه في أثناء النوبة، وقد تحدث له إصابات أو حوادث مرضية

<sup>١</sup> تعليق مصطفى البغا على فتح الباري ج ١٠ ص ١١٤

<sup>٢</sup> البحر النجاج ج ٤ ص ٤٧٧

<sup>٣</sup> تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفي: ٧٢٨هـ) دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية ج ٢ ص ١٣٧ وانظر مجموع الفتاوى ج ١٣ ص ٨٢ المحقق: د. محمد السيد الجلیند الناشر: مؤسسة علوم القرآن - دمشق لطبعة: الثانية، ١٤٠٤

خطيرة من جراء هذه النوبات ويعقب النوبة خور في القوى واستغراق في النوم يصحو منه المريض خالي الذهن من تذكر ما حدث له.<sup>١</sup>

### ٣- أنواعه : الصرعُ ضربان :

أ- صرعُ مِنَ الأرواحِ الحَبِيثَةِ الأَرْضِيَّةِ.

ب- وَصرعُ مِنَ الأَخْلَاطِ الرَّدِيَّةِ.

وَالثَّانِي: هُوَ الَّذِي يَتَكَلَّمُ فِيهِ الأَطِبَاءُ فِي سَبَبِهِ وَعِلاجِهِ.

- وَأَمَّا صرْعُ الأرواحِ، فَأَيْمَّةٌ - الأَطِبَاءُ - وَعُقْلَانُهُمْ يَعْتَرِفُونَ بِهِ، وَلَا يَدْفَعُونَهُ، وَيَعْتَرِفُونَ بِأَنَّ عِلاجَهُ بِمُقَابَلَةِ الأرواحِ الشَّرِيفَةِ الحَيَّةِ العُلُويَّةِ لِتِلْكَ الأرواحِ الشَّرِيفَةِ الحَبِيثَةِ، فَتُدَافِعُ آثارَهَا، وَتُعَارِضُ أَفعالَهَا وَتُبْطِلُهَا، وَقَدْ نَصَّ عَلَى ذَلِكَ بِقِرَاطٍ فِي بَعْضِ كُتُبِهِ، فَذَكَرَ بَعْضَ عِلاجِ الصَّرَعِ، وَقَالَ: هَذَا إِمَّا يَنْفَعُ مِنَ الصَّرَعِ الَّذِي سَبَبُهُ الأَخْلَاطُ وَالْمَادَّةُ. وَأَمَّا الصَّرَعُ الَّذِي يَكُونُ مِنَ الأرواحِ، فَلَا يَنْفَعُ فِيهِ هَذَا العِلاجُ.<sup>٢</sup>

وهذا النوع من الصرع لا يقع إلا من النفوس الحبيثة من الجن ، إما لاستحسان بعض الصور الإنسية، وإما لإيقاع الأذية به.<sup>٣</sup>

<sup>١</sup> حمزة محمد قاسم راجعه: الشيخ عبد القادر الأرنؤوط عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري ج ٥ ص ١٩٩ الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق عام النشر: ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

<sup>٢</sup> الطب النبوي لابن القيم ج ١ ص ٥١

<sup>٣</sup> أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ١٠ ص ١١٤ الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩

رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز وانظر البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج كتاب الفضائل ج ٤٠ ص ٤٧٧ وانظر منة المنعم في شرح صحيح مسلم ج ٤ ص ١٨٢

- وعلاج هذا النوع : يكون بأمرين: أمر من جهة المصروع، وأمر من جهة المعالج، فالذي من جهة المصروع يكون بقوة نفسه وصدق توجهه إلى فاطر هذه الأرواح وبارئها، والتعوذ الصحيح الذي قد تواطأ عليه القلب واللسان، فإن هذا نوع محاربة، والمحارب لا يتم له الانتصاف من عدوه بالسلاح إلا بأمرين: أن يكون السلاح صحيحاً في نفسه جيداً، وأن يكون الساعد قوياً، فمتى تخلف أحدهما لم يغن السلاح كثير طائل، فكيف إذا عدم الأمران جميعاً: يكون القلب خراباً من التوحيد، والتوكل، والتقوى، والتوجه، ولا سلاح له.

والثاني: من جهة المعالج بأن يكون فيه هذان الأمران أيضاً حتى إن من المعالجين من يكتفي بقوله: " اخرج منه ". أو بقول: " بسم الله "، أو بقول: " لا حول ولا قوة إلا بالله ". والنبي ﷺ كان يقول: ( «اخرج عدو الله أنا رسول الله» )

وشاهدت شيخنا<sup>١</sup> يرسل إلى المصروع من يخاطب الروح التي فيه، ويقول: قال لك الشيخ: اخرجي، فإن هذا لا يحل لك، فيفوق المصروع، وربما خاطبها بنفسه، وربما كانت الروح ماردة فيخرجها بالضرب فيفوق المصروع ولا يحس بألم، وقد شاهدنا نحن وغيرنا منه ذلك مرارا.

وكان كثيرا ما يقرأ في أذن المصروع: {أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون} <sup>٢</sup>

وبالجمله فهذا النوع من الصرع وعلاجه لا ينكره إلا قليل الحظ من العلم والعقل والمعرفة، وأكثر تسلط الأرواح الخبيثة على أهله تكون من جهة قلة دينهم، وخراب قلوبهم وألسنتهم من حقائق الذكر، والتعاويد، و التحصينات النبوية والإيمانية، فتلقى الروح الخبيثة الرجل أعزل لا سلاح معه، وربما كان عريانا فيؤثر فيه هذا.

ولو كشف الغطاء لرأيت أكثر النفوس البشرية صرعى هذه الأرواح الخبيثة، وهي في أسرها وقبضتها تسوقها حيث شاءت، ولا يمكنها الامتناع عنها ولا مخالفتها، وبها

<sup>١</sup> يقصد بذلك ابن تيميه - رحمه الله -

<sup>٢</sup> ابن القيم زاد المعاد ج ٦ ص ٦٠ وما بعدها

الصرع الأعظم الذي لا يفيق صاحبه إلا عند المفارقة والمعاناة، فهناك يتحقق أنه كان هو المصروع حقيقة، وبالله المستعان.

وعلاج هذا الصرع باقتران العقل الصحيح إلى الإيمان بما جاءت به الرسل، وأن تكون الجنة والنار نصب عينيه وقبله قلبه، ويستحضر أهل الدنيا وحلول المثالات والآفات بهم، ووقوعها خلال ديارهم كمواقع القطر، وهم صرعى لا يفيقون، وما أشد داء هذا الصرع ولكن لما عمت البلية به بحيث لا يرى إلا مصروعاً، لم يصر مستغرباً ولا مستنكراً بل صار لكثرة المصروعين عين المستنكر المستغرب خلفه.

فإذا أراد الله بعبد خيراً أفاق من هذه الصرعة، ونظر إلى أبناء الدنيا مصروعين حوله يميناً وشمالاً على اختلاف طبقاتهم فمنهم من أطبق به الجنون، ومنهم من يفيق أحياناً قليلة ويعود إلى جنونه، ومنهم من يفيق مرة ويجن أخرى فإذا أفاق عمل عمل أهل الإفاقة والعقل، ثم يعاوده الصرع فيقع في التخطب.<sup>١</sup>

- وأما الصرع الذي يكون بسبب مرض عضوي في المصروع وهو ما يسميه ابن القيم بصرع الأخطا فهو " عِلَّةٌ تَمْنَعُ الْأَعْضَاءَ النَّفْسِيَّةَ عَنِ الْأَفْعَالِ وَالْحَرَكَةِ وَالْإِنْتِصَابِ مَنْعًا غَيْرَ تَامٍّ، وَسَبَبُهُ خِلْطٌ غَلِيظٌ لَزِجٌ يَسُدُّ مَنَافِذَ بَطُونِ الدِّمَاغِ سَدَّةً غَيْرَ تَامَّةٍ، فَيَمْتَنِعُ نَفُودُ الْحِسِّ وَالْحَرَكَةِ فِيهِ وَفِي الْأَعْضَاءِ نَفُودًا تَامًا مِنْ غَيْرِ انْقِطَاعِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَقَدْ تَكُونُ لِأَسْبَابٍ أُخَرَ كَرِيحٍ غَلِيظٍ يُجْتَبَسُ فِي مَنَافِذِ الرُّوحِ، أَوْ بُخَارٍ رَدِيٍّ يَرْتَفِعُ إِلَيْهِ مِنْ بَعْضِ الْأَعْضَاءِ، أَوْ كَيْفِيَّةٍ لَادِعَةٍ، فَيَنْقَبِضُ الدِّمَاغُ لِدَفْعِ الْمُؤَذِي، فَيَتَبَعُهُ تَشَنُّجٌ فِي جَمِيعِ الْأَعْضَاءِ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَبْقَى الْإِنْسَانُ مَعَهُ مُنْتَصِبًا، بَلْ يَسْقُطُ، وَيُظْهَرُ فِي فِيهِ الرَّبْدُ عَالِيًا.

وَهَذِهِ الْعِلَّةُ تُعَدُّ مِنْ جُمْلَةِ الْأَمْرَاضِ الْحَادَّةِ بِاعْتِبَارِ وَقْتِ وُجُودِهِ الْمُؤَلَّمِ خَاصَّةً، وَقَدْ تُعَدُّ مِنْ جُمْلَةِ الْأَمْرَاضِ الْمُزْمِنَةِ بِاعْتِبَارِ طُولِ مُكْثَتِهَا، وَعُسْرِ بُرُئِهَا، لَا سِيَّمَا أَنْ تَجَاوَزَ فِي السِّنِّ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَهَذِهِ الْعِلَّةُ فِي دِمَاغِهِ، وَخَاصَّةً فِي جَوْهَرِهِ، فَإِنَّ صَرَغَ هَؤُلَاءِ يَكُونُ لِزِمًا قَالَ أَبُقْرَاطُ: إِنَّ الصَّرَعَ يَبْقَى فِي هَؤُلَاءِ حَتَّى يَمُوتُوا.<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> السابق نفسه

<sup>٢</sup> الطب النبوي ج ١ ص ٥٢

#### ٤- خلاف العلماء في حقيقة صرع الجن للإنسان.

هناك جدال كبير بين العلماء في اثبات ونفي النوع الأول من الصرع ( صرع الجن للإنسان ) وهذا الخلاف ليس فقط بين علماء الشرع والعلماء التجريبيين بل بين علماء الشرع أنفسهم .

#### أ- المنفون لصرع الجن للإنسان.

هناك طائفة من العلماء القدامى والمحدثين ينكرون تأثير الجن في مسألة الصرع وينفونها تماماً فقد " أَتَكَرَّ الْمُعْتَزِلَةُ وَبَعْضُ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ يَكُونُ لِلشَّيْطَانِ فِي الْإِنْسَانِ غَيْرٌ مَّا يُعْبَرُ عَنْهُ بِالْوَسْوَسَةِ" <sup>١</sup>

قال الزمخشري " يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ أَي الْمَصْرُوعِ. وَتَخَبَطُ الشَّيْطَانِ مِنْ زَعَمَاتِ الْعَرَبِ ، يَزْعُمُونَ أَنَّ الشَّيْطَانَ يَخَبَطُ الْإِنْسَانَ فِيصْرَعُ.

والخبط الضرب على غير استواء كخبط العشواء ، فورد على ما كانوا يعتقدون. والمس الجنون .

ورجل ممسوس ، وهذا أيضاً من زعماتهم ، وأن الجنى يمسه فيختلط عقله ، وكذلك جن الرجل : معناه ضربته الجن ، ورأيتهم لهم في الجن قصص وأخبار وعجائب ، وإنكار ذلك عندهم كإنكار المشاهدات. فإن قلت: بم يتعلق قوله مِنَ الْمَسِّ؟ قلت: ب"لا يقومون، أي لا يقومون من المس الذي بهم إلا كما يقوم المصروع، ويجوز أن يتعلق ب"يقوم" ، أي كما يقوم المصروع من جنونه.

والمعنى أنهم يقومون يوم القيامة مخلبين كالمصروعين، تلك سيماهم يعرفون بها عند أهل الموقف. <sup>٢</sup>

ويقول الفخر الرازي : الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: قَالَ الْجُبَّائِيُّ: النَّاسُ يَقُولُونَ الْمَصْرُوعُ إِذَا حَدَّثَتْ بِهِ تِلْكَ الْحَالَةَ لِأَنَّ الشَّيْطَانَ يَمْسُهُ وَيَصْرَعُهُ وَهَذَا بَاطِلٌ، لِأَنَّ الشَّيْطَانَ ضَعِيفٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى صَرْعِ النَّاسِ وَقَتْلِهِمْ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ وَجُوهٌ:

<sup>١</sup> المنار ج ٣ ص ٨١

<sup>٢</sup> الزمخشري: الكشاف ج ١ ص ٣٢٠



أَحَدَهَا: قَوْلُهُ تَعَالَى حِكَايَةً عَنِ الشَّيْطَانِ " وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي " ١ وَهَذَا صَرِيحٌ فِي أَنَّهُ لَيْسَ لِلشَّيْطَانِ قُدْرَةٌ عَلَى الصَّرَعِ وَالْقَتْلِ وَالْإِيْدَاءِ .

وَالثَّانِي: الشَّيْطَانُ إِمَّا أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ كَثِيفُ الْجِسْمِ، أَوْ يُقَالَ: إِنَّهُ مِنَ الْأَجْسَامِ اللَّطِيفَةِ، فَإِنْ كَانَ الْأَوَّلَ وَجِبَ أَنْ يُرَى وَيُشَاهَدَ، إِذْ لَوْ جَاَزَ فِيهِ أَنْ يَكُونَ كَثِيفًا وَيَحْضُرُ ثُمَّ لَا يُرَى لَجَاَزَ أَنْ يَكُونَ بِحَضْرَتِنَا شُمُوسٌ وَرُغُودٌ وَبُرُوقٌ وَجِبَالٌ وَنَحْنُ لَا نَرَاهَا، وَذَلِكَ جَهَالَةٌ عَظِيمَةٌ، وَلَائِنَّهُ لَوْ كَانَ جِسْمًا كَثِيفًا فَكَيْفَ يُمْكِنُهُ أَنْ يَدْخُلَ فِي بَاطِنِ بَدَنِ الْإِنْسَانِ، وَأَمَّا إِنْ كَانَ جِسْمًا لَطِيفًا كَالهَوَاءِ، فَمِثْلُ هَذَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ فِيهِ صَلَابَةٌ وَقُوَّةٌ، فَيَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ قَادِرًا عَلَى أَنْ يَصْرَعَ الْإِنْسَانَ وَيَقْتُلَهُ.

الثَّالِثُ: لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَصْرَعَ وَيَقْتُلَ لَصَحَّ أَنْ يَفْعَلَ مِثْلَ مُعْجَزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَذَلِكَ يَجْرُ إِلَى الطَّغْنِ فِي النُّبُوَّةِ الرَّابِعُ: أَنَّ الشَّيْطَانَ لَوْ قَدَرَ عَلَى ذَلِكَ فَلِمَ لَا يَصْرَعُ جَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِمَ لَا يَخْطُبُهُمْ مَعَ شِدَّةِ عِدَاوَتِهِ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ، وَلِمَ لَا يَعْصِبُ أَمْوَالَهُمْ، وَيُفْسِدُ أَحْوَالَهُمْ، وَيُفْشِي أَسْرَارَهُمْ، وَيُرِيْلُ عُقُوبَهُمْ؟ وَكُلُّ ذَلِكَ ظَاهِرُ الْفَسَادِ.

وَاحْتَجَّ الْقَائِلُونَ بِأَنَّ الشَّيْطَانَ يَقْدِرُ عَلَى هَذِهِ الْأَشْيَاءِ بِوَجْهَيْنِ :  
الأوَّلُ: مَا رُوِيَ أَنَّ الشَّيْطَانِ فِي زَمَانِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ كَانُوا يَعْمَلُونَ الْأَعْمَالَ الشَّقَاةَ عَلَى مَا حَكَى اللَّهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَتَمَاثِيلٍ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِي وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ .

وَالْجَوَابُ عَنْهُ: أَنَّهُ تَعَالَى كَلَّفَهُمْ فِي زَمَنِ سُلَيْمَانَ فَعِنْدَ ذَلِكَ قَدَرُوا عَلَى هَذِهِ الْأَفْعَالِ وَكَانَ ذَلِكَ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ لِسُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالثَّانِي: أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ وَهِيَ قَوْلُهُ يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ صَرِيحٌ فِي أَنْ يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ بِسَبَبِ مَسِّهِ.

وَالْجَوَابُ عَنْهُ: أَنَّ الشَّيْطَانَ يَمْسُهُ بِوَسْوَسَتِهِ الْمُؤْذِيَةِ الَّتِي يَخْدُثُ عِنْدَهَا الصَّرَعُ، وَهُوَ كَقَوْلِ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ "أَبِي مَسْنِي الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ" <sup>١</sup> وَإِنَّمَا يَخْدُثُ الصَّرَعُ عِنْدَ تِلْكَ الْوَسْوَسَةِ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَهُ مِنْ ضَعْفِ الطَّبَاعِ، وَعَلَبَةِ السَّوْدَاءِ عَلَيْهِ بَحِثٌ يَخَافُ عِنْدَ الْوَسْوَسَةِ فَلَا يَجْتَرِئُ فَيُصْرَعُ عِنْدَ تِلْكَ الْوَسْوَسَةِ، كَمَا يُصْرَعُ الْجَبَانُ مِنَ الْمَوْضِعِ الْحَالِيِّ، وَلِهَذَا الْمَعْنَى لَا يُوجَدُ هَذَا الْخَبْطُ فِي الْفَضَاءِ الْكَامِلِينَ، وَأَهْلِ الْحُرْمِ وَالْعُقْلِ وَإِنَّمَا يُوجَدُ فِيمَنْ بِهِ نَقْصٌ فِي الْمِرْجَاحِ وَخَلَلٌ فِي الدِّمَاغِ فَهَذَا جُمْلَةٌ كَلَامِ الْجَبَائِيِّ فِي هَذَا.

وذكر القفال فيه وجه آخر، وهو أَنَّ النَّاسَ يُضَيِّفُونَ الصَّرَعَ إِلَى الشَّيْطَانِ وَإِلَى الْجِنِّ، فَحُوطِبُوا عَلَى مَا تَعَارَفُوهُ مِنْ هَذَا، وَأَيْضًا مِنْ عَادَةِ النَّاسِ أَنَّهُمْ إِذَا أَرَادُوا تَفْصِيحَ شَيْءٍ أَنَّ يُضَيِّفُوهُ إِلَى الشَّيْطَانِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُؤْسُ الشَّيَاطِينِ. <sup>٢</sup>

ونحو ذلك قال البيضاوي في تفسيره "لَا يَقُومُونَ" إِذَا بَعَثُوا مِنْ قُبُورِهِمْ. "إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ" إِلا قِيَاماً كَقِيَامِ الْمَصْرُوعِ، وَهُوَ وَارِدٌ عَلَى مَا يَزْعَمُونَ أَنَّ الشَّيْطَانَ يَخْبَطُ الْإِنْسَانَ فَيَصْرَعُ، وَالْخَبْطُ ضَرْبٌ عَلَى غَيْرِ اتِّسَاقٍ كَخَبْطِ الْعَشْوَاءِ.

"مِنَ الْمَسِّ" أَي الْجَنُونِ، وَهَذَا أَيْضًا مِنْ زَعْمَاتِهِمْ أَنَّ الْجِنِّيَّ يَمْسُهُ فَيَخْتَلطُ عَقْلُهُ وَلِذَلِكَ قِيلَ: جَنَّ الرَّجُلُ، وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِ"لَا يَقُومُونَ" أَي لَا يَقُومُونَ مِنَ الْمَسِّ الَّذِي بِهِمْ بِسَبَبِ أَكْلِ الرِّبَا، أَوْ بِ"يَقُومُ" أَوْ بِ"يَتَخَبَطُ" فَيَكُونُ نَهْضُهُمْ وَسُقُوطُهُمْ كَالْمَصْرُوعِينَ لَا لِاخْتِلَالِ عَقُولِهِمْ وَلَكِنْ لِأَنَّ اللَّهَ أَرَادَ فِي بَطُونِهِمْ مَا أَكَلُوهُ مِنَ الرِّبَا فَأَثَقَلَهُمْ. <sup>٣</sup>

<sup>١</sup> ص: ٤١

<sup>٢</sup> [الصَّافَاتِ: ٦٥] مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ ج ٧ ص ٧٥ وَمَا بَعْدَهَا  
<sup>٣</sup> الْبَيْضَاوِيُّ أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ وَأَسْرَارُ التَّأْوِيلِ ج ١ ص ١٦٢

ويقول الشيخ المراغي في تفسيره " وتخبط الشيطان للإنسان من زعمات العرب، إذ يزعمون أنه يخبط الإنسان فيصرع، فورد القرآن على ما يعتقدون، وكذلك يعتقدون أن الجنى يمس الإنسان فيختلط عقله، ويقولون رجل ممسوس: أي مسه الجن، ورجل مجنون: إذا ضربته الجن، ولهم في ذلك قصص وأخبار وعجائب، وإنكار ذلك عندهم كإنكار المحسوسات.

فجاءت الآية وفق ما يعتقدون، ولا تفيد صحة هذا ولا نفيه، كما جاء قوله تعالى في وصف ثمر شجرة الزقوم التي تكون يوم القيامة في النار «طلعها كأنه رءوس الشياطين» وما رأي أحد رءوس الشياطين، لكنها جاءت بحسب ما يتخيلون ويزعمون.<sup>١</sup>

### ب - المشتون لصرع الجن للإنسان.

جماهير العلماء قديماً وحديثاً على اثبات قدرة الجن في إلحاق الضرر الحسي والمعنوي بالإنسان - إذا أذن الله بذلك -

ومن العلماء الذين تصدوا للرد على الزمخشري ومن تابعه الإمام القرطبي فقد قال: « في هذه الآية دليل على فساد إنكار من أنكر الصرع من جهة الجن، وزعم أنه من فعل الطبائع، وأن الشيطان لا يسئل في الإنسان ولا يكون منه مس، وقد مضى الرد عليهم فيما تقدم من هذا الكتاب. وقد روى النسائي عن أبي اليسر قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول: " اللهم إني أعوذ بك من التردّي والهلم والعرق والحريق وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مُدبراً وأعوذ بك أن أموت لديماً" <sup>٢</sup>.

وقال الشيخ أحمد بن المنير: ومعنى قول الزمخشري أن تخبط الشيطان من زعمات العرب، أي من كذباتهم وزخارفهم التي لا حقيقة لها، كما يقال في الغول والعنقاء ونحو

<sup>١</sup> تفسير المراغي ج ٣ ص ٦٣

<sup>٢</sup> تفسير القرطبي ج ٣ ص ٣٥٥

ذلك. وهذا القول من تخطب- الشيطان بالقدرية - أي المعتزلة - في زعماتهم المردودة بقواطع الشرع، ثم قال: واعتقاد السلف وأهل السنة أن هذه أمور على حقائقها واقعة كما أخبر الشارع عنها، والقدرية ينكرون كثيراً مما يزعمونه مخالفاً لقواعدهم.. من ذلك السحر، وخبطة الشيطان، ومعظم أحوال الجن وإن اعترفوا بشيء من ذلك فعلى غير الوجه الذي يعترف به أهل السنة وينبئ عنه ظاهر الشرع في خيط طويل لهم، والذي نراه أن ما عليه جمهور العلماء من أن التشبيه على الحقيقة هو الحق، لأن الشيطان قد يمس الإنسان فيصيبه بالجنون، ولأنه لا يسوغ لنا أن نتأول القرآن بغير ظاهره بسبب اتجاه لا دليل عليه.

وقوله: مِنْ الْمَسِّ متعلق بـ "يقومون" أي لا يقومون من المس الذي حل بهم بسبب أكلهم الربا إلا كما يقوم المصروع من جنونه.<sup>١</sup>

ويقول ابن تيمية - رحمه الله - " وأما رؤية كثير من الناس للجن حال الصرع وغير الصرع فهذا أكثر وأشهر من أن يذكر وما يدعيه الأطباء من أن الصرع كله من الأخلاط فغلظه ظاهر فإن دخول الجنى بدن الإنسي وتكلمه على لسانه بأنواع من الكلام وغير ذلك أمر قد علمه كثير من الناس بالضرورة وقد اتفق عليه أئمة الإسلام كما اتفقوا على وجود الجن وقد رأهم غير واحد من الناس وخاطبهم فهذا باب واسع..<sup>٢</sup>

ويقول ابن القيم - رحمه الله - " إنهم لم يصلوا إلى هذا النوع من الصرع فجعلوا يُنكرونه ويُحِيلون جميع أنواع الصرع إلى صرع الأعصاب والمخ وما أشبه ذلك، وصرع الجن للإنس معلوم بالمشاهدة أيضاً، فلا يُنكره إلا مُكابِر، لأنه شُوهد من يُصرع ويُخاطب

<sup>١</sup> التفسير الوسيط د. محمد سيد طنطاوي ج ١ ص ٦٣٣ - ٦٣٥

<sup>٢</sup> الرد على المنطقيين ج ١ ص ٤٧٠

الجِئِيُّ الذي صرعه مُحاطبَةً صَرِيحَةً وواضحة، وجرى ذلك على يد أئمة الإسلام كالإمام أحمد وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله، وغيرهم إلى يومنا هذا.<sup>١</sup>

ويقول الإمام الشوكاني " وفي الآية دليلٌ على فسادِ قولٍ من قال: إِنَّ الصَّرْعَ لَا يَكُونُ مِنْ جَهَةِ الْجِنِّ، وَزَعَمَ أَنَّهُ مِنْ فِعْلِ الطَّبَّاعِ، وَقَالَ: إِنَّ الْآيَةَ حَارِجَةٌ عَلَى مَا كَانَتْ الْعَرَبُ تَزْعُمُهُ مِنْ أَنَّ الشَّيْطَانَ يَصْرَعُ الْإِنْسَانَ، وَلَيْسَ بِصَحِيحٍ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَسْلُكُ فِي الْإِنْسَانَ وَلَا يَكُونُ مِنْهُ مَسٌّ، وَقَدْ اسْتَعَاذَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَنْ يَتَخَبَّطَهُ الشَّيْطَانُ، كَمَا أُخْرِجَهُ النَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُ.<sup>٢</sup>

ويقول ابن عثيمين - رحمه الله - " فَإِنَّ قِيلَ: هل يُمكن أن يدخل الجِئِيُّ في بدن الإنسان؟

فالجواب: نعم، ولا يحتاج إلى طلب الدليل؛ لأن هذا أمر واقع محسوس ثبتت به الأخبار وتواترت، وشاهدته الناس، وقد ذكرنا أن الإمام أحمد وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله يؤتى إليهم بالمصروع فيخاطبونه، ويكون الخطاب على من صرعه، ويضربونه أيضاً ويكون الضرب على من صرعه، أي: على الصارع لا على المصروع.

وفي القرآن ما يشير إلى ذلك في قوله سبحانه وتعالى: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ} <sup>٣</sup>، والمس معناه: الصرع؛ ولهذا يقال: (به مس من الجن)، أي: صرع، والذي يتخبطه الشيطان من المس؛ يعني: يكون مجبلاً لا يجس ولا يعرف؛ قال أهل العلم رحمهم الله: إِنَّ هَؤُلَاءِ يَقُومُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ كَمَثَلِ الْمَجَانِينِ الَّذِينَ أَصَابَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ.<sup>٤</sup>

ثانياً: الاختلاف في اسمها وكنيتها - رضي الله عنها -

<sup>١</sup> زاد المعاد ج ٦ ص ٦١

<sup>٢</sup> فتح القدير للشوكاني ج ١ ص ٣٣٩

<sup>٣</sup> البقرة: ٢٧٥

<sup>٤</sup> تفسير العثيمين - سورة سبأ ص ١ ص ١٠٩

يرى ابن الأثير في أسد الغابة أن اسمها "سعيرة الأسدية قال جعفر: في إسناد حديثها نظر، أوردها ابن منده، وغيره بالشين المعجمة وقال جعفر المستغفري: هو بالسين يعني: المهلمة أثبت.

عن عطاء بن أبي رباح، قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك إنسانا من أهل الجنة؟ قال: فأراني حبشية صفراء عظيمة، قال هذه سعيرة الأسدية، أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، إن بي هذه الموتة، تعني الجنون فادع الله أن يشفيني مما بي، فقال لها رسول الله ﷺ " إن شئت دعوت الله عز وجل أن يعافيك مما بك، ويكتب لك حسناتك وسيئاتك، وإن شئت فاصبري ولك الجنة؟ " فاخترت الصبر والجنة، أخرجها أبو موسى، وقال: قال محمد بن إسحاق بن خزيمة، أنا أبرأ من عهدة هذا الإسناد!.<sup>١</sup>

وقيل "شقيرة - بالشين والقاف - الأسدية حبشية، مولاة لهم"<sup>٢</sup>

قلت: ذكرها ابن مندة بالشين المعجمة والقاف، وأورد حديثها من هذا الطريق زيد ابن أبي زيد عن بشر بن ميمون، وتبعه أبو نعيم.<sup>٣</sup> ويقال: ستيرة. قال: وكانت حبشية"<sup>٤</sup> وذكر أيضا أنها بالكاف بدل القاف " وقد سماها المستغفري فيما حكاه أبو موسى عنه في ترجمة أم زفر شكيرة، بالكاف بدل القاف، وصوب أنها بالقاف"<sup>٥</sup>

وقد رجح العلماء أن اسمها سعيرة" قال المستغفري في كتابه: سعيرة بالشين المعجمة. والصحيح بالمهلمة.<sup>٦</sup>

<sup>١</sup> أسد الغابة ج ٧ ص ١٤٣ ط العلمية

<sup>٢</sup> السابق ص ١٦٣

<sup>٣</sup> الإصابة في تمييز الصحابة ج ٨ ص ١٧٩

<sup>٤</sup> التوضيح لشرح الجامع الصحيح ج ٢٧ ص ٢٨٠

<sup>٥</sup> السابق ص ٢٠٧

<sup>٦</sup> السابق ص ١٧٩



وقد أورد بعض العلماء أن سعيرة الأسدية نزل فيها قوله تعالى " وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزَاهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَالًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبُلُوكُمْ اللَّهُ بِهِ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ"<sup>١</sup>

قال ابن حجر في الإصابة " وأخرج قصتها أبو موسى، من طريق المستغفري، ثم من رواية محمد بن إسحاق بن خزيمة، عن المقدم بن داود، عن علي بن معبد، عن بشر بن ميمون، عن عطاء الخراساني به، قال بشر: وفي سعيرة هذه نزلت: وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزَاهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا " كانت تجمع الصوف والشعر والليف فتغزل كبة عظيمة، فإذا ثقلت عليها نقضتها، فقال: يا معشر قريش، لا تكونوا مثل سعيرة فتنقضوا أيمانكم بعد توكيدها، ثم قال ابن خزيمة: أنا أبرأ إلى الله تعالى عن عهدة هذا الإسناد.<sup>٢</sup> ولكن الصحيح أنها امرأة غيرها.

"قال بن عيينة عن صدقة "أنكاثا" هي خرقاء قال مقاتل هي ربطة بنت عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم كانت إذا أبرمت غزها نقضته ذكره السهيلي قلت وذكر ذلك البلاذري وغيره أيضا وزاد أن لقبها الحظياء قالوا وهي والددة أسد بن عبد العزى بن قصي وفي تفسير بن مردويه أنها المجنونة التي كانت تصرع فدعا لها النبي ﷺ بالصبر واسمها سعيرة الأسدية أخرجه من طريق بن عباس بسند ضعيف وسيأتي في الطب أنها أم زفر هارون الأعور عن شعيب هو بن الحبابة"<sup>٣</sup>

وقال ابن عطية " أن امرأة حمقاء كانت بمكة تسمى ربطة بنت سعد كانت تفعل ذلك، فيها وقع التشبيه، قاله عبد الله بن كثير والسدي ولم يسميا المرأة، وقيل كانت

<sup>١</sup> النحل ٩٢

<sup>٢</sup> الإصابة ج ٨ ص ١٧٩ وانظر التوضيح لشرح الجامع الصحيح ج ٢٧ ص ٢٨٠ وما بعدها وانظر معرفة الصحابة ج ٦ ص ٣٣٧٥

<sup>٣</sup> فتح الباري ج ١ ص ٣١٤

امرأة موسوسة تسمى خطية تغزل عند الحجر وتفعل ذلك، وقال مجاهد وقتادة، ذلك ضرب مثل لا على امرأة معينة<sup>١</sup>

وقال صاحب التحرير والتنوير " تشنيع لحال الَّذِينَ يَنْفُضُونَ الْعَهْدَ، وَعَطْفٌ عَلَى جُمْلَةِ وَلَا تَنْفُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَاعْتَمَدَ الْعَطْفُ عَلَى الْمُعَايِرَةِ فِي الْمَعْنَى بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ لِمَا فِي هَذِهِ الثَّانِيَةِ مِنَ التَّمثِيلِ وَإِنْ كَانَتْ مِنْ جِهَةِ الْمَوْقِعِ كَالْتَوْكِيدِ لِلْجُمْلَةِ وَلَا تَنْفُضُوا الْأَيْمَانَ. مُهْوَا عَنْ أَنْ يَكُونُوا مَضْرِبَ مَثَلٍ مَعْرُوفٍ فِي الْعَرَبِ بِالْإِسْتِهْزَاءِ، وَهُوَ الْمَرْأَةُ الَّتِي تَنْفُضُ عَزْلَهَا بَعْدَ شِدِّ فِتْلِهِ. فَالَّتِي نَفَضَتْ عَزْلَهَا امْرَأَةٌ اسْمُهَا رَيْطَةُ بنت سعد التيمية من بني تيم من قُرَيْشٍ. وَعَبَّرَ عَنْهَا بِطَرِيقِ الْمَوْصُولِيَّةِ لِاسْتِهْزَائِهَا بِمَضْمُونِ الصَّلَةِ وَلِأَنَّ مَضْمُونَ الصَّلَةِ، هُوَ الْحَالَةُ الْمُشَبَّهَةُ بِهَا فِي هَذَا التَّمثِيلِ، وَلِأَنَّ الْقُرْآنَ لَمْ يَذْكَرْ فِيهِ بِالْإِسْمِ الْعَلَمِ إِلَّا مَنْ اسْتَهْرَ بِأَمْرِ عَظِيمٍ مِثْلُ جَالُوتَ وَقَارُونَ.

وَقَدْ ذُكِرَ مِنْ قِصَّتِهَا أَنَّهُمَا كَانَتِ امْرَأَةً حَرْقَاءَ مُحْتَلَّةَ الْعَقْلِ، وَهَذَا جَوَارِي، وَقَدْ اتَّخَذَتْ مِعْزَلًا قَدَرَ ذِرَاعٍ وَصِنَارَةً مِثْلَ أَصْبُعٍ وَفَلَكَةٍ عَظِيمَةٍ عَلَى قَدْرِ ذَلِكَ، فَكَانَتْ تَغْزُلُ هِيَ وَجَوَارِيهَا مِنَ الْعُدَاةِ إِلَى الظُّهْرِ ثُمَّ تَأْمُرُهُنَّ فَتَنْفُضْنَ مَا عَزَلْنَهُ، وَهَكَذَا تَفْعَلُ كُلَّ يَوْمٍ، فَكَانَ حَالُهَا إِفْسَادَ مَا كَانَ نَافِعًا مُحْكَمًا مِنْ عَمَلِهَا وَإِرْجَاعَهُ إِلَى عَدَمِ الصَّلَاحِ، فَهِيَ عَنْ أَنْ يَكُونَ حَالُهُمْ كَحَالِهَا فِي نَفْضِهِمْ عَهْدَ اللَّهِ وَهُوَ عَهْدُ الْإِيمَانِ بِالرُّجُوعِ إِلَى الْكُفْرِ وَأَعْمَالِ الْجَاهِلِيَّةِ. وَوَجْهَ الشَّبْهِ الرُّجُوعُ إِلَى فِسَادٍ بَعْدَ التَّابُّسِ بِصَلَاحٍ.<sup>٢</sup>

- كنيته: تكنى بأمر زفر .

<sup>١</sup> ابن عطية المحرر الوجيز ج ٣ ص ٤١٧

<sup>٢</sup> التحرير والتنوير ج ١٤ ص ٢٤٠

أخرج البخاري عن عطاء "أنه رأى أم زُفر تلك المرأة الطويلة السوداء على ستر الكعبة"، قال في "الفتح": قوله: "أنه رأى أم زُفر" بضم الزاي، وفتح الفاء، وذكر أيضا صاحب الاستيعاب "أنها أم زفر"<sup>٢</sup> وكذا في الإصابة<sup>٣</sup>

ولكن هل أم زفر كنية لامرأة واحدة أم لامرأتين؟

قال ابن الأثير: روى ابن جريج، عن الحسن بن مسلم، عن طاووس قال: كان النبي ﷺ - يؤتى بالمجانين فيضرب صدر أحدهم فيبرأ، فأتي بمجنونة، يقال لها، أم زفر، فضرب صدرها فلم يخرج شيطانها، فقال - عليه السلام -: "هو يعيبها في الدنيا ولها في الآخرة خير".

ثم ذكر ما تقدم عن عطاء قال: وذكر عن ابن جريج قال: أخبرني عبد الكريم، عن الحسن أنه سمعه يقول: كانت امرأة تحمق، فجاء إخوتها فشكوا ذلك لرسول الله ﷺ - فقال: "إن شئتم دعوت الله فبرأت، وإن شئتم كانت كما هي ولا حساب عليها في الآخرة"

فخبرها إخوتها، فقالت: دعوني كما أنا. فتركوها.

قال ابن الأثير: أم زفر ماشطة خديجة كانت عجوزًا سوداء تغشاه - عليه السلام - في زمن خديجة.

ثم ذكر حديث عطاء، عن ابن عباس المذكور عند البخاري، وقال: أخرجها هكذا أبو موسى، ويحتمل أن تكون أم زفر التي ذكروها.

قال: كذا ذكرها أبو موسى، ثم ذكر حديث ابن عباس وابن جريج، وقال: هذان الحديثان يدلان أنهما واحدة، والذي ذكره أبو موسى عن ابن جريج في هذه الترجمة،

<sup>١</sup> فتح الباري ج ١٠ ص ١١٥

<sup>٢</sup> الاستيعاب لابن عبد البر ص ٩٥٢ رقم ٣٥١٨

<sup>٣</sup> الإصابة ٨/ ٣٩٦ رقم ١٢٠٣١

ذكره أبو عمر في الترجمة الأولى<sup>١</sup> وقوله في هذه: إنها العجوز التي كانت تغشى رسول الله - ﷺ - في حياة خديجة يدل أنها غير الأولى إلا أن يكون الصرع حدث بها<sup>٢</sup>.

لكن الذي يفهم من كلام الذهبي في تجريده " أن أم زفر غير السوداء المذكورة لأنه ذكر كل واحدة منهما في باب"<sup>٣</sup>

وما ذكره ابن حجر في الإصابة يرجح والله أعلم أنهما اثنتان وليست واحدة حيث قال عن أم زفر " ماشطة خديجة.

ذكر عبد الغني بن سعيد في «المبهمات» أنها المرأة التي قال النبي ﷺ وسلم فيها: «إنها كانت تغشانا في زمن خديجة»

فروى من طريق الزبير بن بكار، عن سليمان بن عبد الله بن سليم، أخبرني شيخ من أهل مكة، قال: هي أم زفر ماشطة خديجة- يعني العجوز التي قال النبي ﷺ «إنها كانت تغشانا في زمن خديجة».

قلت: ومضى في جثامة من أسماء النساء، من طريق أبي عاصم، عن أبي عامر الخزر عن ابن أبي مليكة، عن عائشة- ما يقتضي أنه كان اسمها جثامة المزنية، فغيره النبي ﷺ فقال: «بل أنت حضانة» وفي رواية «حسانة» ، فكونها مزنية واسمها حضانة يقوي أنها غير الحبشية، وإن اتفقا في الكنية<sup>٤</sup>

فحسانة المزنية هي الحولاء بنت تويت أم زفر، فعن عائشة قالت دخلت على رسول الله ﷺ امرأة فأبى رسول الله ﷺ بطعام فجعل يأكل من الطعام ويضع بين يديها فقلت يا رسول الله لا تعمم يدك فقال رسول الله ﷺ إن هذه كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد أو حفظ العهد من الإيمان قالت عائشة فلما ذكر خديجة أخذني ما

<sup>١</sup> الاستيعاب" ٤ / ٤٩١ (٣٥٨٧)

<sup>٢</sup> أسد الغابة" ٧ / ٣٣٣ ترجمة رقم (٧٤٤٣، ٧٤٤٤).

<sup>٣</sup> ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري ، ج ٨ ص ٣٤٥

<sup>٤</sup> الإصابة في تمييز الصحابة ج ٨ ص ٣٩٥

يَأْخُذُ النِّسَاءَ مِنَ الْعَيْرَةِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ أَبَدَلَكَ اللَّهُ بِكَبِيرَةٍ السِّنِّ صَغِيرَةٍ السِّنِّ فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ مَا ذَنْبِي أَنْ رَزَقَهَا اللَّهُ مِنِّي الْوَلَدَ وَلَمْ يَرْزُقْكَ قَالَتْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَذْكُرُهَا بَعْدَ هَذَا إِلَّا بِخَيْرٍ " فَالْمَرْأَةُ الْمَذْكُورَةُ ائْتَلَفَ فِيهَا فَتِيلٌ هِيَ حُسَانَةُ الْمَازِنِيَّةُ وَقِيلَ الْحَوْلَاءُ بِنْتُ تُوَيْتٍ .

وَالْحَجَّةُ فِي ذَلِكَ مَا رَوَى عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ جَاءَتْ عَجُوزٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لَهَا مَنْ أَنْتِ فَقَالَتْ أَنَا حَشَامَةُ الْمُرَيْتِيَّةُ فَقَالَ بَلْ أَنْتِ حُسَانَةُ الْمُرَيْتِيَّةُ كَيْفَ حَالُكُمْ كَيْفَ كُنْتُمْ بَعْدَنَا قَالَتْ بِخَيْرٍ يَا بِي أَنْتِ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلَمَّا حَرَجَتْ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَقْبَلُ عَلَيَّ هَذِهِ الْعَجُوزِ هَذَا الْإِقْبَالَ قَالَ إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا أَيَّامَ حَدِيحَةَ وَإِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ " قَالَ أَبُو عَمْرٍ هَذِهِ الرَّوَايَةُ أَوْلَى بِالصَّوَابِ مِنْ رِوَايَةِ مَنْ رَوَى ذَلِكَ فِي الْحَوْلَاءِ بِنْتُ تُوَيْتٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

وَالْحَدِيثُ عِنْدَ أَبِي عَاصِمٍ النَّبِيلِ ائْتَلَفَ عَلَيْهِ فِيهِ قَالَ أَبُو عَمْرٍ وَرَوَى أَبُو عَاصِمٍ الضَّحَّاكُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ ثَنَا صَالِحُ بْنُ رُسْتَمٍ عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ اسْتَأْذَنْتِ الْحَوْلَاءُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَذِنَ لَهَا وَأَقْبَلَ عَلَيْهَا وَقَالَ كَيْفَ أَنْتِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَقْبَلُ عَلَيَّ هَذِهِ الْإِقْبَالَ فَقَالَ إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا أَيَّامَ حَدِيحَةَ وَإِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ . قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ هَكَذَا رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى الشَّامِيُّ عَنْ أَبِي عَاصِمٍ بِإِسْنَادِهِ الْمَذْكُورِ اسْتَأْذَنْتِ الْحَوْلَاءُ وَلَمْ يَثَلُ بِنْتُ تُوَيْتٍ وَلَا نَسَبَهَا وَقَدْ غَلَطَ فِي ذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى الشَّامِيُّ وَاللَّهُ أَعْلَمُ لِأَنَّهُ رَوَى فِي هَذَا الْحَدِيثِ عَنْ أَبِي عَاصِمٍ بِخِلَافِ مَا رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى الشَّامِيُّ وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ .

وَقِيلَ هِيَ أُمُّ زُفَرٍ مَاشِطَةُ حَدِيحَةَ ، كَمَا أَنْبَأَ مُحَمَّدُ بْنُ عَتَّابٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَائِدٍ قَالَ ثَنَا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ قَالَ ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْأَنْصَارِيُّ قَالَ ثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ أَخْبَرَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْهَاشِمِيُّ قَالَ أَخْبَرَنِي

شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ قَالَ هِيَ أُمُّ زُفَرَ مَاشِطَةٌ حَدِيحَةٌ يَعْنِي السُّودَاءَ الْعَجُوزَ الَّتِي كَانَتْ تَعْتَسِي النَّبِيَّ ﷺ فِي حَيَاةِ حَدِيحَةٍ<sup>١</sup>

ولم يقل أحد ممن ترجم للمرأة التي تصرع أن اسمها كان حشامة أو حسانة أو الحولاء ، وهذا يدل أن هذه غير تلك وإن اتفقا في الكنية

قال صاحب التوضيح " وفي الصحابييات أم زفر اثنتان: الأولى كان بها مس من الجنون"<sup>٢</sup>

ومما يرجح لي أنهما اثنتان أن هذه كانت عجوزاً أيام خديجة فلا يعقل أن يراها عطاء ابن أبي رباح<sup>٣</sup> التابعي - وبينهما زمن طويل لا شك - وهي تمسك بأستار الكعبة بعد كل هذه الفترة، وهذا يدل على أن أم زفر الحبشية غير أم زفر ماشطة السيدة خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها والله أعلم.

### ثالثاً - ما نوع الصرع الذي تعاني منه هذه الصحابية؟

أسلفنا القول أن الصرع نوعان : نوع من الأخلاط ( ما يحال إلى أمور عضوية ) ونوع من الجن ( وهو ما يحال إلى جانب معنوي غير محسوس )

وقد اختلف علماء الشرع في نوع الصرع الذي تعاني منه هذه الصحابية - رضوان الله عليها -

فهناك من يرى أنه من صرع الجن ، ومن هؤلاء صاحب الفتح " وقد يؤخذ من الطرق التي أوردتها أن الذي كان بأم زفر كان من صرع الجن لا من صرع الخلط وقد أخرج البزار وابن حبان من حديث أبي هريرة شبيهاً بقصتها ولفظه جاءت امرأة بها لم إلى

<sup>١</sup> غوامض الأسماء المبهمة ج ١ ص ٢٨٩ - ٢٩١

<sup>٢</sup> التوضيح لشرح الجامع الصحيح ج ٢٧ ص ٢٨١

<sup>٣</sup> وَقَالَ عَمْرُ بْنُ قَبَيْسٍ: سَأَلْتُ عَطَاءَ: مَتَى وُلِدْتَ؟ قَالَ: لِعَامَيْنِ خَلُوتَا مِنْ خِلَافَةِ عُمَرَ وَ مَاتَ عَطَاءٌ سَنَةَ أَرْبَعِ عَشْرَةَ وَمِائَةٍ. راجع سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ٨٨ وانظر الثقات لابن حبان باب العين ج ٥ ص ٢٣١



رسول الله ﷺ فقالت ادع الله فقال إن شئت دعوت الله فشفاك وإن شئت صبرت ولا حساب عليك قالت بل أصبر ولا حساب علي<sup>١</sup>

ومنهم من يرى أنه من صرع الأخلاط، كابن القيم فقد قال بعد حديثه عن صرع الأخلاط " وهذه العلة تعد من جملة الأمراض الحادة باعتبار وقت وجوده المؤلم خاصة، وقد تعد من جملة الأمراض المزمنة باعتبار طول مكثها وعسر برئها لا سيما أن تجاوز في السن خمساً وعشرين سنة، وهذه العلة في دماغه وخاصة في جوهرة، فإن صرع هؤلاء يكون لازماً قال أبقراط: إن الصرع يبقى في هؤلاء حتى يموتوا.

إذا عرف هذا فهذه المرأة التي جاء الحديث أنها كانت تصرع وتتكشف يجوز أن يكون صرعها من هذا النوع فوعدها النبي ﷺ الجنة بصبرها على هذا المرض، ودعا لها أن لا تتكشف وخيرها بين الصبر والجنة، وبين الدعاء لها بالشفاء من غير ضمان فاخترت الصبر والجنة.<sup>٢</sup>

### رابعاً - صبرها على بلائها ﷺ

هذه المرأة التي ابتليت بالصرع حينما خيرها رسول الله ﷺ بين أن يدعو الله لها فتشفي بحول الله وقوته وتعيش كما يعيش الناس وبين أن تصبر على هذا البلاء وتحتسب الأجر والثواب عند الله ، فاخترت الصبر وأن تحتسب هذا البلاء عند الله تعالى، قال تعالى " وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ"<sup>٣</sup> والصابرون يوفون أجورهم بغير حساب كما قال تعالى " إِنَّمَا يُؤْتِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ"<sup>٤</sup>

<sup>١</sup> فتح الباري ج ١٠ ص ١١٥

<sup>٢</sup> زاد المعاد ج ٤ ص ٦٥

<sup>٣</sup> البقرة ١٥٥ - ١٥٧

<sup>٤</sup> الزمر ١٠

يقول الإمام الشوكاني " يُؤْفِيهِمُ اللَّهُ أَجْرَهُمْ فِي مُقَابَلَةِ صَبْرِهِمْ بِعَيْرِ حِسَابٍ، أَيْ: بِمَا لَا يَثْدُرُ عَلَى حَصْرِهِ حَاصِرٌ، وَلَا يَسْتَطِيعُ حُسْبَانُهُ حَاسِبٌ. قَالَ عَطَاءٌ: بِمَا لَا يَهْتَدِي إِلَيْهِ عَقْلٌ وَلَا وَصْفٌ. وَقَالَ مُقَاتِلٌ: أَجْرُهُمُ الْجَنَّةُ، وَأَرْزَاقُهُمْ فِيهَا بِعَيْرِ حِسَابٍ. وَالْحَاصِلُ أَنَّ الْآيَةَ تُدَلُّ عَلَى أَنَّ ثَوَابَ الصَّابِرِينَ وَأَجْرَهُمْ لَا نَهَايَةَ لَهُ، لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَدْخُلُ تَحْتَ الْحِسَابِ فَهُوَ مُتَنَاهٍ، وَمَا كَانَ لَا يَدْخُلُ تَحْتَ الْحِسَابِ فَهُوَ غَيْرُ مُتَنَاهٍ، وَهَذِهِ فَضِيلَةٌ عَظِيمَةٌ وَمَثُوبَةٌ جَلِيلَةٌ تَفْتَضِي أَنَّ عَلَى كُلِّ رَاغِبٍ فِي ثَوَابِ اللَّهِ، وَطَامِعٍ فِيمَا عِنْدَهُ مِنْ الْخَيْرِ أَنْ يَتَوَقَّفَ عَلَى الصَّبْرِ وَيَزِمَّ نَفْسَهُ بِرِمَامِهِ وَيُقَيِّدَهَا بِقَيْدِهِ، فَإِنَّ الْجَزَعَ لَا يُرَدُّ قَضَاءً قَدْ نَزَلَ، وَلَا يَجْلِبُ خَيْرًا قَدْ سَلِبَ، وَلَا يَدْفَعُ مَكْرُوهًا قَدْ وَقَعَ، وَإِذَا تَصَوَّرَ الْعَاقِلُ هَذَا حَقَّ تَصَوُّرِهِ وَتَعَقَّلَهُ حَقَّ تَعَقُّلِهِ عَلِمَ أَنَّ الصَّابِرَ عَلَى مَا نَزَلَ بِهِ قَدْ فَازَ بِهَذَا الْأَجْرِ الْعَظِيمِ، وَظَفَرَ بِهَذَا الْجَزَاءِ الْخَطِيرِ، وَغَيَّرَ الصَّابِرُ قَدْ نَزَلَ بِهِ الْقَضَاءُ شَاءَ أَمْ أَبِي، وَمَعَ ذَلِكَ فَاتَهُ مِنَ الْأَجْرِ مَا لَا يُقَادَرُ قَدْرُهُ وَلَا يُبْلَغُ مَدَاهُ، فَضَمَّ إِلَى مُصِيبَتِهِ مُصِيبَةً أُخْرَى وَمَلَّ يَظْفَرُ بِعَيْرِ الْجَزَعِ، وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ مَنْ قَالَ:

أَرَى الصَّبْرَ مَحْمُودًا وَعِنْتَهُ مَدَاهِبُ ..... فَكَيْفَ إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ عَنْهُ مَدَهَبُ

هُنَاكَ يَحِقُّ الصَّبْرُ وَالصَّبْرُ وَاجِبٌ ..... وَمَا كَانَ مِنْهُ لِلضَّرُورَةِ أَوْجِبُ<sup>١</sup>

ويكفي أهل البلاء بشارة تحملهم على صبرهم على ما ابتلوا به ، هذا الحديث العظيم عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "يُودُّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّ جُلُودَهُمْ فُرِضَتْ بِالْمَقَارِيضِ؛ مِمَّا يَرَوْنَ مِنْ ثَوَابِ أَهْلِ الْبَلَاءِ"<sup>٢</sup>

### خامساً - بشارة النبي صلى الله عليه وسلم لها بالجنة .

لا شك أن البشارة بالجنة هي أعظم بشارة يبشر بها المؤمن، فلا نعيم إلا نعيمها ولا بؤس إلا الحرمان منها عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: " يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ

<sup>١</sup> فتح القدير للشوكاني ج ٤ ص ٥٢١

<sup>٢</sup> السنن الكبرى للبيهقي ت التركي ج ٧ ص ١٦٧ رقم ٦٦٢٧

الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَعُ فِي النَّارِ صَبْعَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَبِّ وَوَيْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَعُ صَبْعَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ" ١

هذه المرأة السوداء الحبشية بشرها رسول الله ﷺ بأعظم جائزة وهي الجنة، عن عطاء بن أبي رباح، قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع، وإني أتكشف، فادع الله لي، قال: «إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك» فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشف، فادع الله لي أن لا أتكشف، فدعا لها حدثنا محمد، أخبرنا مخلد، عن ابن جريج، أخبرني عطاء: «أنه رأي أم زفر تلك امرأة طويلة سوداء، على ستر الكعبة» ٢

جاء في عمدة القاري شرح صحيح البخاري قوله: إن شئت صبرت، خيرها رسول الله ﷺ بين أن تصبر على هذه الهيئة ولها الجنة، وبين أن يدع الله تعالى فيعافيهها، فأختارت الصبر، ثم قالت: أخشى من كشف العورة، فدعا لها رسول الله ﷺ فأنقطع عنها التكشف. قوله: (فادع الله أن لا أتكشف) بالتاء المثناة من فوق، ويروى: فادع الله أن لا أنكشف، بالنون وبزيادة كلمة لي، وفيه فضيلة ما يترتب على الصبر على الصرع، وأن اختيار البلاء والصبر عليه يورث الجنة، وأن الأخذ بالشدّة أفضل من الأخذ بالرخصة لمن علم من نفسه أنه يطبق التماسي على الشدّة، ولا يضعف عن التزامها. ٣

١ مسلم ج ٤ ص ٢١٦٢ رقم ٢٨٠٧

٢ البخاري ج ٧ ص ١١٦ رقم ٥٦٥٢

٣ بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ج ٢١ ص

١١٥ دار إحياء التراث العربي - بيروت

هذه المرأة السوداء الحبشية التي لا يعبا بها عند أهل الدنيا، فإن منزلتها عظيمة عند الله في الآخرة فعن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ «لروحة في سبيل الله، أو غدوة، خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم من الجنة، أو موضع قيد - يعني سوطه - خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما، وملأته رجاً، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها»<sup>١</sup>

### سادساً - عفة هذه المرأة وعفافها.

هذه المرأة التي جاءت تشكو إلى رسول الله ﷺ مرضها فيوصيها رسول الله ﷺ بالصبر فتمتثل شاكرة صابرة على بلائها رجاء ما عند الله من جنة عرضها السموات والأرض، تطلب من رسول الله ﷺ طلباً آخر فقالت: إني أتكشف، فادع الله لي أن لا أتكشف"<sup>٢</sup> وعند البزار من وجه آخر، عن ابن عباس في نحو هذه القصة: "أنها قالت: إني أخاف الخبيث أن يُجرّديني، فدعا لها، فكانت إذا حشيت أن يأتيها تأتي أستار الكعبة، فتعلق بها فتقول له: احسأ فيذهب عنها."<sup>٣</sup>

هذه المرأة المسلمة العفيفة مع أنها من أصحاب الأعداء إلا أنها تسأل الرسول الله ﷺ أن يحفظ جسدها من التكشف، فهي تصبر على إيذاء هذا اللعين لها بالصرع لكن لا تقبل أن تكشف عورتها وهي مصروعة.

وهي بذلك قدوة للنساء المسلمات العفيفات اللاتي يرفضن أن يبدو منهن شيئاً لم يبح الشرع ابداءه قال تعالى " وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ

<sup>١</sup> البخاري ج ٤ ص ١٧ رقم ٢٧٩٦

<sup>٢</sup> سبق تخريجه

<sup>٣</sup> مسند البزار ، البحر الزخار ج ١١ ص ٢٨٠ رقم ٥٠٧٣

مَنْ الرِّجَالِ أَوْ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ  
مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ <sup>١</sup>

يقول الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية " عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ  
أَنَّهُ قَالَ: (لَا يَحِلُّ لِمَرْأَةٍ تُوْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ إِذَا عَرَكَتْ <sup>٢</sup> أَنْ تُظْهَرَ إِلَّا وَجْهَهَا  
وَيَدَيْهَا إِلَى هَاهُنَا وَقَبْضَ عَلَى نِصْفِ الذِّرَاعِ.

قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: وَيَظْهَرُ لِي بِحُكْمِ أَلْفَاظِ الْآيَةِ أَنَّ الْمَرْأَةَ مَأْمُورَةٌ بِالْأَلَا تُبْدِي وَأَنْ تَجْتَنِدَ فِي  
الْإِحْفَاءِ لِكُلِّ مَا هُوَ زِينَةٌ، وَوَقَعَ الْإِسْتِثْنَاءُ فِيمَا يَظْهَرُ بِحُكْمِ ضَرُورَةِ حَرَكَةِ فِيمَا لَا بُدَّ  
مِنْهُ، أَوْ إِصْلَاحِ شَأْنٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

" مَا ظَهَرَ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ مِمَّا تُؤَدِّي إِلَيْهِ الضَّرُورَةُ فِي النِّسَاءِ فَهُوَ الْمَعْفُوفُ عَنْهُ. قُلْتُ:  
هَذَا قَوْلٌ حَسَنٌ، إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا كَانَ الْغَالِبُ مِنَ الْوَجْهِ وَالْكَفَّيْنِ ظُهُورُهُمَا عَادَةً وَعِبَادَةً  
وَذَلِكَ فِي الصَّلَاةِ وَالْحَجِّ، فَيَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ الْإِسْتِثْنَاءُ رَاجِعًا إِلَيْهِمَا. يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ مَا  
رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ أَسْمَاءَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا  
دَخَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَيْهَا ثِيَابٌ رِفَاقٌ، فَأَعْرَضَ عَنْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ لَهَا:  
(يَا أَسْمَاءُ إِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا بَلَغَتِ الْمَحِيضَ لَمْ يَصْلُحْ أَنْ يَرَى مِنْهَا إِلَّا هَذَا) وَأَشَارَ إِلَى  
وَجْهِهِ وَكَفَّيْهِ.

فَهَذَا أَقْوَى مِنْ جَانِبِ الْإِحْتِيَاظِ، وَلِمُرَاعَاةِ فَسَادِ النَّاسِ فَلَا تُبْدِي الْمَرْأَةُ مِنْ زِينَتِهَا إِلَّا  
مَا ظَهَرَ مِنْ وَجْهِهَا وَكَفَّيْهَا، وَاللَّهُ الْمُؤْتِقُ لَا رَبَّ سِوَاهُ.

وَقَدْ قَالَ ابْنُ حُوَيْرِزٍ مَنَادٍ مِنْ عُلَمَائِنَا: إِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا كَانَتْ جَمِيلَةً وَخِيفَ مِنْ وَجْهِهَا  
وَكَفَّيْهَا الْفِتْنَةُ فَعَلَيْهَا سِتْرٌ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَتْ عَجُوزًا أَوْ مُقَبَّحَةً جَازَ أَنْ تَكْشِفَ وَجْهَهَا  
وَكَفَّيْهَا.

الرَّابِعَةُ- الزَّيْنَةُ عَلَى قِسْمَيْنِ: خَلْقِيَّةٌ وَمُكْتَسَبَةٌ، فَالْخَلْقِيَّةُ وَجْهَهَا فَإِنَّهُ أَصْلُ الزَّيْنَةِ وَجَمَالَ  
الْخَلْقَةِ وَمَعْنَى الْحَيَوَانِيَّةِ، لِمَا فِيهِ مِنَ الْمَنَافِعِ وَطُرُقِ الْعُلُومِ. وَأَمَّا الزَّيْنَةُ الْمُكْتَسَبَةُ فَهِيَ مَا

<sup>١</sup> النور ٣١

<sup>٢</sup> حاضت

تَحَاوَلُهُ الْمَرْأَةُ فِي تَحْسِينِ خِلْمَتِهَا، كَالثِّيَابِ وَالْحُلِيِّ وَالْكَحْلِ وَالْحِضَابِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: " خُذُوا زِينَتَكُمْ " وَقَالَ الشَّاعِرُ:

يَأْخُذْنَ زِينَتَهُنَّ أَحْسَنَ مَا تَرَى ... وَإِذَا عَطَلْنَ فَهِنَّ حَيْرَ عَوَاطِلِ

وَسَبَبُ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ النِّسَاءَ كُنَّ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ إِذَا عَطَيْنَ رُءُوسَهُنَّ بِالْأَحْمَرَةِ وَهِيَ الْمَقَانِيعُ سَدَلْنَهَا مِنْ وَرَاءِ الظَّهْرِ. قَالَ النَّعَّاشُ: كَمَا يَصْنَعُ النَّبْتُ، فَيَبْقَى النَّحْرُ وَالْعُنُقُ وَالْأُذُنَانِ لَا سَتْرَ عَلَى ذَلِكَ، فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِلَبِّي الْخِمَارِ عَلَى الْجُبُوبِ، وَهِيَئَةُ ذَلِكَ أَنْ تَضْرِبَ الْمَرْأَةُ بِخِمَارِهَا عَلَى جَبِيهَا لِتَسْتُرَ صَدْرَهَا.

رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ عَائِشَةَ أَهْمًا قَالَتْ: رَجِمَ اللَّهُ نِسَاءَ الْمُهَاجِرَاتِ الْأُولِ، لَمَّا نَزَلَ: " وَلِيَضْرِبَنَّ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُبُوبِهِنَّ " شَقْمُنَ أُزْرَهُنَّ فَاحْتَمَرْنَ بِهَا. وَدَخَلَتْ عَلَى عَائِشَةَ حَفْصَةَ بِنْتُ أُخِيهَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَقَدْ اخْتَمَرَتْ بِشَيْءٍ يَشْفُ عَنْ عُنُقِهَا وَمَا هُنَالِكَ، فَشَقَّمَتْهُ عَلَيْهَا وَقَالَتْ: إِنَّمَا يُضْرَبُ بِالْكَثِيفِ الَّذِي يَسْتُرُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَلَا يَضْرِبَنَّ بِأَرْجُلِهِنَّ) الْآيَةَ، أَي لَا تَضْرِبُ الْمَرْأَةُ بِرِجْلِهَا إِذَا مَشَتْ لِتَسْمَعَ صَوْتَ خَلْخَالِهَا، فإِسْمَاعُ صَوْتِ الزَّيْنَةِ كإِبْدَاءِ الزَّيْنَةِ وَأَشَدُّ، وَالْعَرَضُ التَّسْتُرُ. أَسْنَدَ الطَّبْرِيُّ عَنِ الْمُعْتَمِرِ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ قَالَ: زَعَمَ حَضْرَمِيُّ أَنَّ امْرَأَةً اتَّخَذَتْ بُرْتَيْنِ<sup>٢</sup> مِنْ فِضَّةٍ وَاتَّخَذَتْ جَزْعًا<sup>٣</sup> فَجَعَلَتْ فِي سَاقِهَا فَمَرَّتْ عَلَى الْقَوْمِ فَضْرَبَتْ بِرِجْلِهَا الْأَرْضَ فَوَقَعَ الْخُلْخَالُ عَلَى الْجَزْعِ فَصَوَّتْ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ. وَسَمَاعُ هَذِهِ الزَّيْنَةِ أَشَدُّ تَحْرِيكًا لِلشَّهْوَةِ مِنْ إِبْدَائِهَا، قَالَه الرَّجَّاجُ.

مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُنَّ فَرَحًا بِجُلِيهِنَّ فَهُوَ مَكْرُوهٌ. وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُنَّ تَبَرُّجًا وَتَعَرُّضًا لِلرِّجَالِ فَهُوَ حَرَامٌ مَذْمُومٌ.<sup>٤</sup>

<sup>١</sup> [الأعراف: ٣١].

<sup>٢</sup> البرة: الخلخال، وكل حلقة من سوار وقرط.

<sup>٣</sup> الجزع (بفتح الجيم) ضرب من الخرز.

<sup>٤</sup> القرطبي ج ١٢ ص ٢٣٥ - ٢٣٨ بتصريف واختصار.



فهذه المرأة العظيمة القدر والشأن - التي كانت تصرع ولكنها ترفض التكشف - حري بالنساء المسلمات أن يتخذنها قدوة وأسوة ، ولا يتبعن كل ناعق من الشرق أو الغرب فالخير كل الخير في اتباع من سلف.

### رابعاً- فضل الدعاء في رفع البلاء.

إن فضل الدعاء عظيم وقد علمتنا هذه المرأة أن نلجأ إلى الله عندما تعيننا أسباب الدنيا، وتغلق أسباب النجاة فإن أبواب الله لا تغلق قالت: **إِنِّي أَصْرَعُ وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي** " وهي تعلم من بركة رسول الله ﷺ أنه مستجاب الدعوة وإلا فهي توقن أن الله يستجيب لها .

قال تعالى **" وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**<sup>١</sup>

قال القرطبي " وأخرج سفيان بن عيينة، وعبد الله بن أحمد عن أبي قال: قال المسلمون يا رسول الله أقرب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله الآية **"أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ"** دليل للقرب وتقرير له فالقطع لكمال الاتصال، وفيه وعد الداعي بالإجابة في الجملة على ما تشير إليه كلمة إذا لا كليا فلا حاجة إلى التقييد بالمشيئة المؤذن به قوله تعالى في آية أخرى: **فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ**<sup>٢</sup> لا إلى أن القول بأن إجابة الدعوة غير قضاء الحاجة لأنها قوله سبحانه وتعالى لبيك يا عبدي وهو موعود موجود لكل مؤمن يدعو ولا إلى تخصيص الدعوة بما ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم، أو الداعي بالمطيع المحبت. نعم كونه كذلك أرجي للإجابة لا سيما في الأزمنة المخصوصة والأمكنة المعلومة، والكيفية المشهورة، ومع هذا قد تتخلف الإجابة مطلقاً وقد تتخلف إلى بدل، ففي الصحيح عن أبي سعيد قال: **«قال رسول الله ﷺ: ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله تبارك وتعالى إحدى ثلاث إما أن يعجل له دعوته وإما أن يدخر له وإما أن يكف عنه من سوء مثلها»**

<sup>١</sup> البقرة ١٨٦

<sup>٢</sup> [الإنعام: ٤١]

قوله "فَلَيْسَتْجِيْبُوْا لِي " أي فليطلبوا إجابتي لهم إذا دعوني أو فليجيبوا لي إذا دعوتهم للإيمان والطاعة كما أني أجيبهم إذا دعوني لحوائجهم<sup>١</sup> ويقول تعالى " أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ<sup>٢</sup>

قال الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية " فيه ثلاث مسائل: الأولى - قَوْلُهُ تَعَالَى: (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ ذُو الضَّرُورَةِ الْمَجْهُودُ. وَقَالَ السُّدِّيُّ: الَّذِي لَا حَوْلَ لَهُ وَلَا قُوَّةَ. وَقَالَ ذُو التُّونِ: هُوَ الَّذِي قَطَعَ الْعَلَائِقَ عَمَّا دُونَ اللَّهِ. وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَأَبُو عُثْمَانَ النَّيْسَابُورِيُّ هُوَ الْمَفْلَسُ. وَقَالَ سَهْلُ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ: هُوَ الَّذِي إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى اللَّهِ دَاعِيًا لَمْ يَكُنْ لَهُ وَسِيلَةٌ مِنْ طَاعَةٍ قَدَّمَهَا. وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ فَقَالَ: أَنَا أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ أَنْ تَدْعُوَ لِي فَأَنَا مُضْطَرٌّ، قَالَ: إِذَا فَاسَأَلْتَهُ فَإِنَّهُ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ. قَالَ الشَّاعِرُ:

وَإِنِّي لِأَدْعُو اللَّهَ وَالْأَمْرُ ضَيْقٌ ..... عَلَيَّ فَمَا يَنْفَعُكَ أَنْ يَتَفَرَّجَا

وَرُبَّ أَخٍ سُدَّتْ عَلَيْهِ وُجُوهُهُ ... أَصَابَ لَهَا لَمَّا دَعَا اللَّهَ مَخْرَجَا

الثانية - وفي مسند أبي داود الطيالسي عن أبي بكره قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي دُعَاءِ الْمُضْطَرِّ: "اللَّهُمَّ رَحْمَتِكَ أَرْجُو فَلَا تَكْلِنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ".

الثالثة - ضَمِنَ اللَّهُ تَعَالَى إِجَابَةَ الْمُضْطَرِّ إِذَا دَعَاهُ، وَأَخْبَرَ بِذَلِكَ عَن نَفْسِهِ، وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الضَّرُورَةَ إِلَيْهِ بِاللَّجَاءِ يَنْشَأُ عَنِ الْإِحْلَاصِ، وَقَطَعَ الْقَلْبَ عَمَّا سِوَاهُ، وَلِلْإِحْلَاصِ عِنْدَهُ سُبْحَانَهُ مَوْقِعٌ وَذِمَّةٌ، وَجَدَ مِنْ مُؤْمِنٍ أَوْ كَافِرٍ، طَائِعٍ أَوْ فَاجِرٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: " حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَبَ بِهَمِّ بَرِيحٍ طَيْبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ

<sup>١</sup> الألويسي روح المعاني ج ١ ص ٤٦٠

<sup>٢</sup> النمل ٦٢

عاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوَا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَعْنُ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ<sup>١</sup>

وَقَوْلُهُ: "فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ"<sup>٢</sup> فَأَجَابَهُمْ عِنْدَ ضَرُورَتِهِمْ وَوُقُوعِ إِخْلَاصِهِمْ، مَعَ عِلْمِهِ أَنَّهُمْ يَعُودُونَ إِلَى شِرْكِهِمْ وَكُفْرِهِمْ. وَقَالَ تَعَالَى: "فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ" فَيَجِيبُ الْمُضْطَّرَّ لِمَوْضِعِ اضْطِرَارِهِ وَإِخْلَاصِهِ.<sup>٣</sup>

وَفِي الْحَدِيثِ: "ثَلَاثَ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٍ لَا شَكَّ فِيهِنَّ دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ وَدَعْوَةُ الْمَسَافِرِ وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ"<sup>٤</sup> ذَكَرَهُ صَاحِبُ الشَّهَابِ، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِمُعَاذٍ لَمَّا وَجَّهَهُ إِلَى أَرْضِ الْيَمَنِ "وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَلَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ"<sup>٥</sup> وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ عَنْ نَفْسِهِ "وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ"<sup>٦</sup>

قَالَ الْإِمَامُ الْفَخْرُ الرَّازِي فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ "فَكُلُّ مَنْ دَعَا اللَّهَ وَفِي قَلْبِهِ ذَرَّةٌ مِنَ الْإِعْتِمَادِ عَلَى مَالِهِ وَجَاهِهِ وَأَقَارِبِهِ وَأَصْدِقَائِهِ وَجِدِّهِ وَاجْتِهَادِهِ، فَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ مَا دَعَا اللَّهَ إِلَّا بِاللِّسَانِ، أَمَّا بِالْقَلْبِ فَإِنَّهُ مُعَوَّلٌ فِي تَحْصِيلِ ذَلِكَ الْمَطْلُوبِ عَلَى غَيْرِ اللَّهِ، فَهَذَا الْإِنْسَانُ مَا دَعَا رَبَّهُ فِي وَقْتٍ، أَمَّا إِذَا دَعَا فِي وَقْتٍ لَا يَبْقَى فِي الْقَلْبِ النِّفَاتُ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ، فَالظَّاهِرُ أَنَّهُ تَحْصُلُ الْإِسْتِجَابَةُ"<sup>٧</sup>

فَاللَّهُ يَجِبُ مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَدْعُوهُ وَيُنَاجِيهِ وَيَسْأَلُهُ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "يَدْعُو اللَّهُ بِالْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُوقِفَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَيَقُولُ: عَبْدِي إِنِّي أَمَرْتُكَ أَنْ تَدْعُوَنِي وَوَعَدْتُكَ أَنْ أَسْتَجِيبَ لَكَ، فَهَلْ كُنْتَ تَدْعُوَنِي؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَمَّا إِنَّكَ لَمْ تَدْعُنِي بِدَعْوَةٍ إِلَّا اسْتَجَبْتُ لَكَ، فَهَلْ لَيْسَ دَعْوَتِي

<sup>١</sup> يونس ٢٢

<sup>٢</sup> العنكبوت ٦٥

<sup>٣</sup> القرطبي ج ١٣ ص ٢٢٣

<sup>٤</sup> سنن الترمذي ج ٤ ص ٣١٤ حديث حسن

<sup>٥</sup> صحيح مسلم ج ١ ص ٥٠ ح رقم ٢٩

<sup>٦</sup> غافر ٦٠

<sup>٧</sup> مفاتيح الغيب ج ٢٧ ص ٥٢٧

يَوْمَ كَذَا وَكَذَا لِعِمِّ نَزَلَ بِكَ أَنْ أُفْرَجَ عَنْكَ فَفَرَّجْتُ عَنْكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: فَإِنِّي عَجَّزْتُهَا لَكَ فِي الدُّنْيَا، وَدَعَوْتَنِي يَوْمَ كَذَا وَكَذَا لِعِمِّ نَزَلَ بِكَ أَنْ أُفْرَجَ عَنْكَ، فَلَمْ تَرَ فَرَجًا؟ قَالَ: نَعَمْ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ إِنِّي ادَّخَرْتُ لَكَ بِهَا فِي الْجَنَّةِ كَذَا وَكَذَا". قَالَ رَسُولُ اللَّهِ " فَلَا يَدْعُ اللَّهُ دَعْوَةً دَعَا بِهَا عَبْدُهُ الْمُؤْمِنُ إِلَّا بَيَّنَّ لَهُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ عُجَّلَ لَهُ فِي الدُّنْيَا، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ ادُّخَرَ لَهُ فِي الآخِرَةِ، قَالَ: فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ يَا لَيْتَنِي لَمْ يَكُنْ عُجَّلَ لَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ دُعَائِهِ " ١

ويجب أن يتوجه إليه العبد بكليته مخلصاً له الدعاء يقول تعالى " فَأَخَذْنَا هُمْ بِالْأَسَاءِ وَالضَّرَائِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ " ٢ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة ، واعلموا أن الله لا يقبل دعاء من قلب غافل لاه " ٣  
وعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا تعجزوا في الدعاء فإنه لا يهلك مع الدعاء أحد " ٤

وقد ورد في فضل الدعاء أحاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الدُّعَاءِ» ٥ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: " أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ [عَنِ] الدُّعَاءِ، وَأَبْجَلُ النَّاسِ مَنْ بَجَلَ بِالسَّلَامِ " ٦ وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: " مَا عَلَى الْأَرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللَّهَ بِدَعْوَةٍ إِلَّا آتَاهُ

١ أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥ هـ) المستدرک علی الصحیحین ج ١ [ص: ٦٧٧] رقم ١٨٧٠ المحقق: أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي دار النشر: دار الحرمين البلد: القاهرة - مصر سنة الطبع: ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م  
٢ الأنعام ٤٢ - ٤٣  
٣ المستدرک علی الصحیحین ج ١ ص ٦٧٥  
٤ المستدرک علی الصحیحین ط مقبل ج ١ ص ٦٧٦  
٥ الدعاء للطبرانی ج ١ ص ٣٠  
٦ الجامع الصحیح للسنن والمسانید ج ٣٢ ص ٢٦٨

اللَّهُ إِيَّاهَا ، أَوْ صَرَفَ عَنْهُ مِنَ الشُّؤْمِ مِثْلَهَا ، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةٍ رَحِمَ ، فَقَالَ رَجُلٌ  
مِنَ الْقَوْمِ: إِذَا نُكِّتِرُ ، قَالَ: " اللَّهُ أَكْثَرُ<sup>١</sup>

**ثامناً - جواز سؤال الدعاء من الغير.**

عن ربيعة بن كعب، قال: كنت أخدم رسول الله ﷺ نهارياً فإذا كان الليل أويت إلى باب رسول الله ﷺ فبت عنده، فلا أزال أسمعته يقول: «سبحان الله سبحان ربي» حتى أمل أو تغلبنى عيني فأنام، فقال ذات يوم: «يا ربيعة سلني فأعطيك» قلت: أنظري حتى أنظر، وتذكرت أن الدنيا فانية منقطعة فقلت: يا رسول الله، أسألك أن تدعو الله أن يجنبي من النار ويدخلني الجنة، فسكت رسول الله ﷺ، ثم قال: «من أمرك بهذا؟» قلت: ما أمرني به أحد، ولكني علمت أن الدنيا منقطعة فانية وأنت من الله بالمكان الذي أنت به أحببت أن تدعو الله قال: «إني فاعل، فأعني بكثرة السجود»<sup>٢</sup>

ففي هذا الحديث مشروعية سؤال الدعاء وخصوصاً ممن ترجى له الاستجابة، وفيه عدم الاكتفاء بالدعاء وحده عن التوسل

سأل هذا الصحابي النبي - ﷺ - أن يدعو له الله ولم يسأله هو أن يعطيه الجنة، لأن الذي يعطى هو الله تعالى، ولأن الذي يسأل منه العطاء هو الله تعالى، كما قال النبي - ﷺ - لابن عباس فيما رواه:

(وإذا سألت فاسأل الله)، فمن المخلوق تسأل الدعاء ومن الخالق تسأل العطاء. ومن

أدلة الأول هذا الحديث، ومن أدلة الثاني حديث ابن عباس المذكور.<sup>٣</sup>

وعن شريك بن عبد الله ابن أبي نمر أنه سمع مالكاً يذكر أن رجلاً دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر ورسول الله قائم يخطب فاستقبل رسول الله ﷺ قائماً فقال يا رسول الله هلكت المواشي وانقطعت السبل فادع الله يُعِينُنَا قَالَ فَرَفَعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

<sup>١</sup> السابق نفسه

<sup>٢</sup> المعجم الكبير للطبراني ج ٥ ص ٥٧

<sup>٣</sup> مجالس التذكير من أحاديث البشير النذير ج ١ ص ٤٩ - ٥٠

يَدِيهِ فَقَالَ اللَّهُمَّ اسْقِنَا اللَّهُمَّ اسْقِنَا اللَّهُمَّ اسْقِنَا " الحديث وفيه: سؤال الدعاء من أهل الخير ومن يُرجى منه القبول وإجابتهم لذلك.<sup>١</sup>

بل يجوز للفاضل أن يسأل المفضل الدعاء " عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه، قَالَ: اسْتَأْذَنْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فِي الْعُمْرَةِ، فَأَذِنَ لِي، وَقَالَ: «لَا تَنْسَنَا يَا أَحْيَى مِنْ دُعَائِكَ»، فَقَالَ كَلِمَةً مَا يَسُرُّنِي أَنْ لِي بِهَا الدُّنْيَا، قَالَ شُعْبَةُ، ثُمَّ لَقِيتُ عَاصِمًا بَعْدُ بِالْمَدِينَةِ، فَحَدَّثَنِيهِ، وَقَالَ: «أَشْرِكُنَا يَا أَحْيَى فِي دُعَائِكَ»<sup>٢</sup>

بل كان الناس يقطعون الأسفار ليسألوا الدعاء ممن توسموا فيهم الصلاح والخير عَنْ عَبْدِ اللَّهِ الرَّومِيِّ قَالَ (كُنَّا عِنْدَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -

رضي الله عنه) - فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا حَمَزَةَ إِنَّ إِحْوَانَكَ أَتَوْكَ مِنَ الْبَصْرَةِ - وَهُوَ يَوْمَعِدٍ بِالرَّوَابِغَةِ - لِيَدْعُوَ اللَّهَ لَهُمْ، قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا، وَارْحَمْنَا، وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَفَنَا عَذَابَ النَّارِ، فَاسْتَرَّادُوهُ، فَقَالَ مِثْلَهَا قَالُوا: زِدْنَا، فَأَعَادَهَا؛ فَقَالُوا: زِدْنَا، فَقَالَ: مَا تُرِيدُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا، فَقَدْ أُوتِيتُمْ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ<sup>٣</sup>

### تاسعاً - الدعاء يرد القدر بإذن الله تعالى.

أقدار الله لا يستطيع ملك مقرب ولا إنس ولا جن أن يردّها أو يؤخر منها شيئاً، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا أن الذي يرد القدر هو الدعاء عَنْ سَلْمَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم "لَا يَرُدُّ الْقَضَاءَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلَّا الْبِرُّ"<sup>٤</sup>

قَوْلُهُ: «لَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ» يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْقَدَرُ سَبِقَ الدُّعَاءِ، كَمَا سَبَقَ بِالْقَدَرِ، فَيُصْرَفُ الْمَكْرُوهُ الْمَقْدُورُ بِالدُّعَاءِ الْمَقْدُورِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَسُئِلَ: أَرَأَيْتَ

<sup>١</sup> عمدة القاري شرح صحيح البخاري ج ٧ ص ٣٧

<sup>٢</sup> سنن أبي داود ج ١ ص ٨٠ ح رقم ١٤٩٨ ورواه الترمذي ج ٥ ص ٥٥٩ ح رقم ٣٥٦٢ وقال هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ

<sup>٣</sup> الجامع الصحيح للسنن والمسند ج ١٧ ص ٤٥٥

<sup>٤</sup> المسند الموضوعي للجامع للكتب العشرة ج ٣ ص ١٨٢ [قال الألباني]: حسن الترمذي ت شاكر ج ٤ ص ٤٤٨



رُفِي نَسْتَرْقُهَا، وَدَوَاءٌ نَتَدَاوَى هَلْ يَرُدُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ تَعَالَى، فَقَالَ: «إِنَّهُ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ» هَذَا إِذَا كَانَ الْقَدَرُ سَبَقَ بِأَنَّ يَرُدَّ الْمَكْرُوهُ مِنَ الْقَدَرِ بِالدُّعَاءِ.

وَإِنْ كَانَ الْمَكْرُوهُ مَقْدُورًا أَنْ يُصِيبَهُ، وَيَفْعَ بِهِ، فَإِنَّ الدُّعَاءَ يُزِيلُ تَسْحُطَ ذَلِكَ الْمَكْرُوهِ، وَيَكُونُ الرِّضَا بِهِ مَقْدُورًا كَمَا كَانَ الْمَكْرُوهُ مَقْدُورًا، وَالْمَقْدُورُ إِذَا كَانَ يَكُونُ مَكْرُوهًا؛ لِأَنَّهُ مُؤَمَّمٌ مَسْحُوطٌ، شَدِيدُ التَّحْمُلِ، فَإِذَا زَالَ التَّسْحُطُ صَارَ الْمَكْرُوهُ مُحِبًّا، فَكَانَ الْمَكْرُوهُ الْمَقْدُورُ الْمُؤَمَّمُ قَدْ صُرِفَ عَنْهُ، وَجَرَى عَلَيْهِ مَقْدُورٌ مُحِبٌّ مُلِدٌّ، كَالْإِنْسَانِ يُسَمَّى دَوَاءً فَيَتَكَرَّهُ لِمَرَاتِهِ وَبَشَاعَتِهِ، فَيَدُوقُهُ لَا يَجِدُ لَهُ مَرَارَةً وَلَا بَشَاعَةً، فَيَتَلَذَّذُهُ وَإِنَّمَا يَصِيرُ الْمَكْرُوهُ مُحِبًّا بِالدُّعَاءِ؛ لِأَنَّ الدُّعَاءَ تَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، مِنْ قُرْبَةٍ اللَّهُ إِلَيْهِ قَالَ ﷺ «مَنْ أُذِنَ لَهُ بِالدُّعَاءِ لَا يُحْرَمُ الْإِجَابَةَ» فَالدَّاعِي مُقَرَّبٌ، فَالْمُقَرَّبُ مُشَاهِدٌ، أَمَا إِنْ شَاهَدَ عَاقِبَةَ الْمَكْرُوهِ بِالنَّوَابِ الْمَوْعُودِ فِي الْأَجْلِ، وَالْمَصْرُوفِ عَنْهُ بِهِ مِنَ الْمَكْرُوهِ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ فِي الْعَاجِلِ، أَوْ بِشُهُودِ الْمُقَدَّرِ لَهُ.<sup>١</sup>

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : الدُّعَاءُ يَنْفَعُ بِمَا نَزَلَ ، وَمَا لَمْ يَنْزَلِ ، فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِالدُّعَاءِ.<sup>٢</sup>

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ قَالَ: أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ قَاعِدٌ فِي ظِلِّ الْحُطِيمِ بِمَكَّةَ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أُتِيَ عَلَى مَالِ أَبِي فُلَانٍ بِسَيْفِ الْبَحْرِ فَذَهَبَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «مَا تَلَفَ مَالٌ فِي بَرٍّ وَلَا بَحْرٍ إِلَّا بِمَنْعِ الزَّكَاةِ، فَحَرِّزُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ وَدَاوُوا مَرْضَاتِكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَادْفَعُوا عَنْكُمْ طَوَارِقَ الْبَلَاءِ بِالدُّعَاءِ، فَإِنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ بِمَا نَزَلَ وَمَا لَمْ يَنْزَلِ، مَا نَزَلَ يَكْشِفُهُ وَمَا لَمْ يَنْزَلِ يَحْسِبُهُ»<sup>٣</sup>

عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَا يُعْنِي حَدَرٌ مِنْ قَدَرٍ، وَالدُّعَاءُ يَنْفَعُ بِمَا نَزَلَ وَمَا لَمْ يَنْزَلِ، وَإِنَّ الدُّعَاءَ وَالْبَلَاءَ لَيَعْتَلِجَانِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»<sup>٤</sup>

<sup>١</sup> بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخبار ج ١ ص ١٨٠

<sup>٢</sup> المستدرک للحاکم ج ١ ص ٤٩٣ رقم ١٨١٥ ط المعرفة

<sup>٣</sup> الدعاء للطبراني ج ١ ص ٣١ - ٣٢

<sup>٤</sup> السابق نفسه

عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «إِنَّ الْحَذَرَ لَا يُعْنِي مِنَ الْقَدْرِ ، وَإِنَّ الدُّعَاءَ يَدْفَعُ الْقَدَرَ ، وَهُوَ إِذَا دَفَعَ الْقَدَرَ فَهُوَ مِنَ الْقَدْرِ»<sup>١</sup>  
 وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «لَا يَنْفَعُ الْحَذْرُ مِنَ الْقَدْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَمْحُو بِالْدُّعَاءِ مَا شَاءَ مِنَ الْقَدْرِ»<sup>٢</sup>

وعنه رضي الله عنه في قول الله عز وجل: " { يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ }"<sup>٣</sup>  
 قَالَ: { يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ } مِنْ أَحَدِ الْكِتَابَيْنِ هُمَا كِتَابَانِ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ مِنْ أَحَدِهِمَا { وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ } أَي: جُمْلَةُ الْكِتَابِ " قَالَ الشَّيْخُ: وَالْمَعْنَى فِي هَذَا أَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَدْ كَتَبَ مَا يُصِيبُ عَبْدًا مِنْ عِبَادِهِ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْحَزْمَانِ وَالْمَوْتِ وَعَبَّرَ ذَلِكَ ، وَأَنَّهُ إِنْ دَعَا اللَّهُ تَعَالَى أَوْ أَطَاعَهُ فِي صَلَاةِ الرَّحْمِ وَعَبَّرَهَا ، لَمْ يُصِيبْ ذَلِكَ الْبَلَاءُ ، وَرَزَقَهُ كَثِيرًا وَعَمَّرَهُ طَوِيلًا وَكَتَبَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الْأَمْرَيْنِ فَالْمَحْوُ وَالِإِثْبَاتُ يَرْجِعُ إِلَى أَحَدِ الْكِتَابَيْنِ كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ؛

#### عاشراً - سؤال أهل العلم عند وقوع البلاء .

هذه المرأة المؤمنة الصابرة لما أصابها ما أصابها من الصرع ، لم تلجأ للدجل والشعوذة حتى تستشفى من مرضها ولكنها لجأت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سيد العلماء وإمام المرسلين ، وهذا يدعو المسلم عندما يصيبه شيء في أمر دينه ودنياه أن يلجأ إلى أهل العلم كل حسب تخصصه واختصاصه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رضي الله عنه - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم - " مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً ، عَلِمَهُ مِنْ عِلْمِهِ ، وَجَهَلَهُ مِنْ جَهْلِهِ إِلَّا السَّامَ ، وَهُوَ الْمَوْتُ " <sup>٥</sup>

فالعلماء هم مصابيح الهدى الذين يستهدى بهم في الظلمات عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَنَّهُ خَرَجَ يَوْمًا إِلَى مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَوَجَدَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ قَاعِدًا عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ

<sup>١</sup> القضاء والقدر للبيهقي ج ١ ص ٢١٢

<sup>٢</sup> القضاء والقدر للبيهقي ج ١ ص ٢١٢

<sup>٣</sup> [الرعد: ٣٩]

<sup>٤</sup> السابق ص ٢١٥

<sup>٥</sup> الجامع الصحيح للسنن والمسانيد ج ٤ ص ٤٦٤

يُنَبِّئُكَ؟ فَقَالَ: مَا يُنَبِّئُكَ؟ قَالَ: يُنَبِّئُنِي شَيْءٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شُرْكٌ، وَإِنَّ مِنْ عَادَى اللَّهِ وَلِيًّا، فَقَدْ بَارَزَ اللَّهُ بِالْمُحَارَبَةِ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْأَبْرَارَ الْأَتْقِيَاءَ الْأَخْفِيَاءَ، الَّذِينَ إِذَا غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا، وَإِنْ حَضَرُوا لَمْ يُدْعَوْا وَلَمْ يُعْرَفُوا، فُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الْهُدَى، يَخْرُجُونَ مِنْ كُلِّ عِبْرَاءٍ مُظْلِمَةٍ.<sup>١</sup> عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ<sup>٢</sup> وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَقِيهٌ وَاحِدٌ، أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ.<sup>٣</sup>

وَعَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ أَبِي الدَّرْدَاءِ فِي مَسْجِدِ دِمَشْقٍ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ، أَتَيْتُكَ مِنَ الْمَدِينَةِ، مَدِينَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِحَدِيثِ بَلَعِي أَنْتَ تُحَدِّثُ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: فَمَا جَاءَ بِكَ بِحَاذِرَةٍ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: وَلَا جَاءَ بِكَ غَيْرُهُ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَعْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى الْحَيَاتَانِ فِي الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّهِ وَافِرٍ.<sup>٤</sup>

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْعِلْمِ قَبْلَ أَنْ يُفْبَسَ، وَقَبْضُهُ أَنْ يُرْفَعَ، وَجَمَعَ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ الْوُسْطَى وَالَّتِي تَلِي الْإِصْبَاعَ هَكَذَا، ثُمَّ قَالَ: الْعَالِمُ وَالْمُتَعَلِّمُ شَرِيكَانِ فِي الْأَجْرِ، وَلَا خَيْرَ فِي سَائِرِ النَّاسِ بَعْدُ.<sup>٥</sup>

<sup>١</sup> سنن ابن ماجة ج ٥ ص ١٢٦ ح رقم ٣٩٨٩

<sup>٢</sup> السابق ج ١ ص ١٤٩ رقم ٢٢٠

<sup>٣</sup> السابق ص ١٥٠ رقم ٢٢٢

<sup>٤</sup> السابق رقم ٢٢٣

<sup>٥</sup> السابق رقم ٢٢٨

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، قَالَ : حَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ بَعْضِ حُجْرِهِ ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ ، فَإِذَا هُوَ بِحِلْمَتَيْنِ ، إِحْدَاهُمَا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ ، وَيَدْعُونَ اللَّهَ ، وَالْأُخْرَى يَتَعَلَّمُونَ وَيُعَلِّمُونَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ كُلُّ عَلَى خَيْرٍ ، هَؤُلَاءِ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ ، وَيَدْعُونَ اللَّهَ ، فَإِنْ شَاءَ أَعْطَاهُمْ ، وَإِنْ شَاءَ مَنَعَهُمْ ، وَهَؤُلَاءِ يَتَعَلَّمُونَ وَيُعَلِّمُونَ ، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا ، فَجَلَسَ مَعَهُمْ<sup>١</sup>.

والأحاديث في هذا الباب كثيرة ، وفضل العلم والعلماء في الإسلام لا ينكره إلا جاحد. ولكن كثر في زماننا الدجالون والمشعوذون الذين يستغلون حاجة الناس للاستشفاء من الجن ، بصرف الناس عن دينهم بالسحر والشعوذة زاعمين أنهم عندهم من العلم والمعرفة ما ليس عند غيرهم ، وهم في الحقيقة أولياء للشياطين وأتباع لمردة الجن ليضلوا الناس عن الهدى والدين الحق قال تعالى " شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١١٢) وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ "٢ وقال تعالى " وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ "٣

يقول الأستاذ محمد رشيد رضا عن هؤلاء وأضراهم " وَمِنَ الْمَصَائِبِ عَلَى الْبَشَرِ أَنَّ أَكْثَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِطَبِّ الدِّينِ الرَّوْحِيِّ فِي هَذِهِ الْقُرُونِ الْآخِرَةِ لَا يَقِفُونَ فِيهَا عِنْدَ حُدُودِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَمَا فَهَمَهُ مِنْهُ حَمَلَتُهُ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ ، بَلْ زَادُوا وَمَا زَالُوا يَزِيدُونَ فِيهِ مِنَ الْخُرَافَاتِ وَالْبِدَعِ وَالصَّلَاحَاتِ ، مَا جَعَلَهُمْ حُجَّةً عَلَى دِينِهِمْ وَفَنَنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِرُوهُمْ مِنْهُ - فَتَرَاهُمْ لَا يَتَّقُونَ الْوَسْوَاسَ الَّذِي يَجِدُونَهُ فِي حَوَاطِرِهِمْ كَمَا يَجِبُ .

وَإِنَّمَا يَتَّبِعُونَ فِي الْجَنِّ وَالشَّيَاطِينِ تَضْلِيلَ الدَّجَالِينَ وَالِدَّجَالَاتِ ، كَرَعَمِهِمْ أَنَّ الشَّيَاطِينَ مُرْضُونَ الْأَجْسَادَ وَيَخْطِفُونَ الْأَطْفَالَ . وَأَنَّ هَؤُلَاءِ الدَّجَالِينَ صِلَةٌ بِهِمْ وَتَأْثِيرًا فِي حَمَلِهِمْ

١ السابق رقم ٢٢٩

٢ الأنعام ١١٢ - ١١٣

٣ الأنعام ١٢١

عَلَى تَرْكِ الضَّرِّ وَالْمُسَاعَدَةِ عَلَى النَّفْعِ بِشِفَاءِ الْمَرْضَى وَرَدِّ الْمَفْقُودِينَ، وَالْحُبِّ وَالْبُعْضِ بَيْنَ الْأَزْوَاجِ وَالْعُشَّاقِ، وَمِنْ ذَلِكَ ( الزَّارِ ) الَّذِي يُخْرِجُونَ بِهِ الشَّيَاطِينَ مِنَ الْأَجْسَادِ بِرِعْمِهِمْ، وَلِهَذِهِ الْحُرَافَاتِ مَضَارٌّ وَرَزَايَا كَثِيرَةٌ فِي الْأَبْدَانِ وَالْأَزْوَاجِ وَالْأَمْوَالِ وَالْأَعْرَاضِ.

فَهِيَ بِذَلِكَ شَبْهَةٌ كَبِيرَةٌ لِلْمَادِّيِّينَ عَلَى الْمُتَدَيِّبِينَ الْمُقْلِدِينَ لِلْجَهَّالِ وَالِدَّجَالِيِّينَ. وَالَّذِينَ لَمْ يُنْبِتْ لِلشَّيَاطِينِ مَا يَزْعُمُهُ الدَّجَالُونَ، وَلَمْ يُنْبِتْ لَهُمْ وَلَا لِعَبْرِهِمْ مَا يَدَّعُونَهُ مِنَ التَّصْرِيفِ فِيهِمْ، وَإِنَّمَا يُنْبِتُ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى لِلشَّيَاطِينِ وَسَوْسَةٌ هِيَ مِنَ الْأَسْبَابِ الْعَادِيَّةِ لِلتَّأْثِيرِ فِي الْقُلُوبِ الْمُسْتَعْدَّةِ لَهَا كَتَأْثِيرِ جِنَّةِ الْهُوَامِّ فِي الْأَجْسَادِ الْمُسْتَعْدَّةِ. وَأَنَّ مُقَاوَمَةَ كُلِّ مِنْهُمَا فِي اسْتِطَاعَةِ الْإِنْسَانِ، وَقَدْ أُرْشِدُهُ إِلَيْهِ الْقُرْآنُ، وَصَرَخَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِأَنَّ الشَّيَاطِينَ يَرُونَ النَّاسَ مِنْ حَيْثُ لَا يَرَاهُمْ النَّاسُ، وَهَؤُلَاءِ الدَّجَالُونَ يَنْفُونَ مَا أَثَبَتَ كِتَابُ اللَّهِ وَيُثْبِتُونَ مَا نَفَاهُ. وَيَقُولُونَ بغيرِ عِلْمٍ.

ثم يقول - رحمه الله تعالى - " وَلَا حُجَّةَ لَهُؤُلَاءِ الدَّجَالِينَ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ جَهْلَةٍ الْعَوَامِّ بِالْبَاطِلِ، بَوْلَايَتِهِمْ لِلشَّيَاطِينِ وَوِلَايَةِ الشَّيَاطِينِ لَهُمْ، وَقَدْ حَوَّفُوا النَّاسَ مِنْهُمْ حَتَّى أَوْقَعُوا الرُّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ، وَأَوْقَعُوهُمْ فِي ضَلَالَاتٍ كَثِيرَةٍ.

إِنَّ مَفَاسِدَ ( الزَّارِ ) كَثِيرَةٌ مَشْهُورَةٌ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ، وَسَبَبُهَا اعْتِقَادُ الْكَثِيرَاتِ مِنَ النِّسَاءِ الْمَرِيضَاتِ بِأَمْرَاضٍ عَادِيَّةٍ - وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَتْ عَصِيْبَةً - أَنَّ الشَّيَاطِينَ قَدْ دَخَلَتْ فِي أَجْسَادِهِنَّ، وَأَنَّ صَانِعَاتِ ( الزَّارِ ) يُخْرِجُهُنَّ مِنْهَا بِإِضَائِهِمْ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِمْ بِالْقَرَابِينِ وَعَيْرِهَا، وَهَذَا نَوْعٌ مِنْ عِبَادَةِ الْجِنِّ الَّتِي كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَأَزَالَهَا الْإِسْلَامُ بِإِصْلَاحِهِ، وَلَمَّا جُهِلَ الْإِسْلَامُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْبِلَادِ عَادَتْ إِلَى أَهْلِهَا.<sup>١</sup> وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

<sup>١</sup> تفسير المنار ج ٨ ص ٢٢٧ - ٣٣١ بتصرف واختصار

## الخاتمة

- ١- استخدام مصطلح ذوي الاحتياجات الخاصة لم يكن موجوداً قبل العصر الحديث ولا بأس من استخدامه في ثقافتنا فإنه أرفق وأوفق لمراعاة نفسية صاحب الإعاقة بدل المصطلحات الأخرى.
  - ٢- أن القرآن الكريم تناول ذوي الاحتياجات الخاصة بأوصافهم وأصنافهم في اطار عام يدخل فيه كل من كانت له حال أو صفة من صفات ذوي الاحتياجات الخاصة.
  - ٣- أن السنة النبوية المطهرة لم تترك شارة ولا واردة فيما يخص التعامل مع صاحب الحاجة إلا بينتها ووضحتها خصوصاً كيفية تعامل المبتلى مع نفسه ومع من حوله ، وكيف يتعامل معه الأفراد والمجتمع .
  - ٤- حث الإسلام المسلم المبتلى عموماً على الصبر عند البلاء سواء أكان هذا المبتلى في نفسه أو ذويه من والديه وأبنائه واقاربه.
  - ٥- التشريعات الإسلامية راعت أحوال ذوي الاحتياجات الخاصة في المور التعبدية والتشريعية .
  - ٦- أن الإعاقة ليست مانهاً من العمل والجد والمثابرة، فقد رأينا نماذج من أصحاب الاحتياجات الخاصة ( العمي ) كيف كانوا ينشرون الإسلام ويدعون إليه ، وكيف أنهم يؤذنون للصلاة بل ويجاهدون في سبيل الله.
- كما رأينا صاحب العرج الذي يريد أن يطأ بعرجته في الجنة ، ليس ذلك فقط بل كان سيداً مطاعاً وكراماً جواداً وصاحب رأي وبصيرة نافعاً لدينه ومجتمعه وقبيلته.
- ورأينا صاحبة الصرع الحريصة على العفاف والتستر ، المبشرة بالجنة ، والقعدة للنساء المؤمنات ،



### مقترحات البحث

- ١- التوجه إلى مزيد من الاهتمام بذوي الاحتياجات الخاصة في جميع النواحي الصحية والعلمية والثقافية .
  - ٢- الاستعانة بذوي الخبرات في معالجة ما يستجد من أمور تخص ذوي الاحتياجات الخاصة.
  - ٣- إمطة اللثام عن تراثنا الثقافي لذوي الاحتياجات الخاصة.
  - ٤- ربط ذوي الاحتياجات الخاصة بدينهم وتراثهم وثقافتهم ، حتى يكون ذلك دافعاً لهم إلى تجاوز اعاقتهم ليكونوا عامل بناء ونهوض لمجتمعاتهم.
- سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت الحكيم العليم

د. عبداللطيف محروس محمد نورالدين

## الفهرس

### Contents

٩٩٠	ملخص البحث:
٩٩٣	المقدمة
٩٩٥	عملي في هذا البحث
٩٩٦	التمهيد
١٠٠٢	المبحث الأول
١٠٠٢	حديث القرآن والسنة عن ذوي الاحتياجات الخاصة
١٠٠٢	المطلب الأول : من مسميات ذوي الاحتياجات الخاصة في القرآن :
١٠٠٦	المطلب الثاني
١٠٠٦	حث السنة على الرحمة والعطف بذوي الاحتياجات الخاصة
١٠١١	المطلب الثالث :
١٠١١	فضل ذوي الاحتياجات الخاصة في الدنيا والآخرة
١٠١١	أولاً : فضل ذوي الاحتياجات الخاصة في الدنيا
١٠١٩	ثانياً - فضل ذوي الاحتياجات الخاصة في الآخرة
١٠٢٤	المبحث الثاني
١٠٢٤	الواجبات الشرعية لذوي الاحتياجات الخاصة
١٠٢٤	الأول : نظرة صاحب الحاجة الخاصة نفسه إلى نفسه
١٠٢٤	الثاني : نظرة المجتمع إليه
١٠٢٤	المطلب الأول: واجبات ذوي الاحتياجات الخاصة نحو أنفسهم
١٠٣٢	المطلب الثاني : واجب المجتمع أفراداً وجماعات نحو ذوي الاحتياجات الخاصة
١٠٣٢	أولاً : واجب السليم المعافي نحو ذوي الاحتياجات الخاصة
١٠٤١	ثانياً : واجب الأمة نحو ذوي الاحتياجات الخاصة
١٠٦٢	المبحث الثالث
١٠٦٢	نماذج من ذوي الاحتياجات الخاصة من الصحابة - رضوان الله عليهم -
١٠٦٣	المطلب الأول : عبدالله بن أم مكتوم ؓ
١٠٧٤	المطلب الثاني : عمرو ابن الجموح ؓ
١٠٨٧	المطلب الثالث : سعيرة الأسدية
١١٢١	الخاتمة

ذوووا الاحتياجات الخاصة من الصحابة

١١٢٢ ..... مقترحات البحث

١١٢٣ ..... الفهرس